هديتك مع العدد
براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

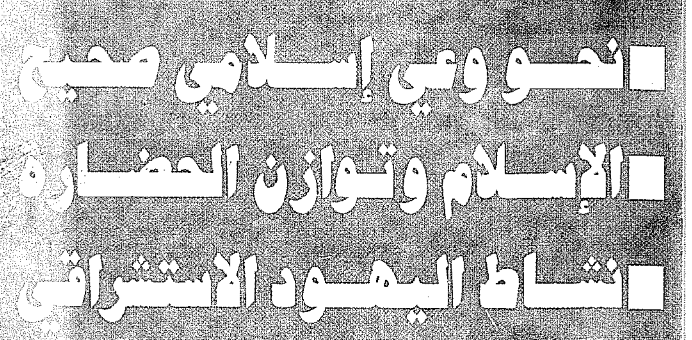
إسلامية شهرية جامعة

AL- WA E I AL- ISLA MI

العدد ٣٥٦ - ربيع الآخر ١٤١٦ هـ - سبتمبر (أيلول) ١٩٩٥ م

البوسنة.. ودمعٌ لا يكفكف

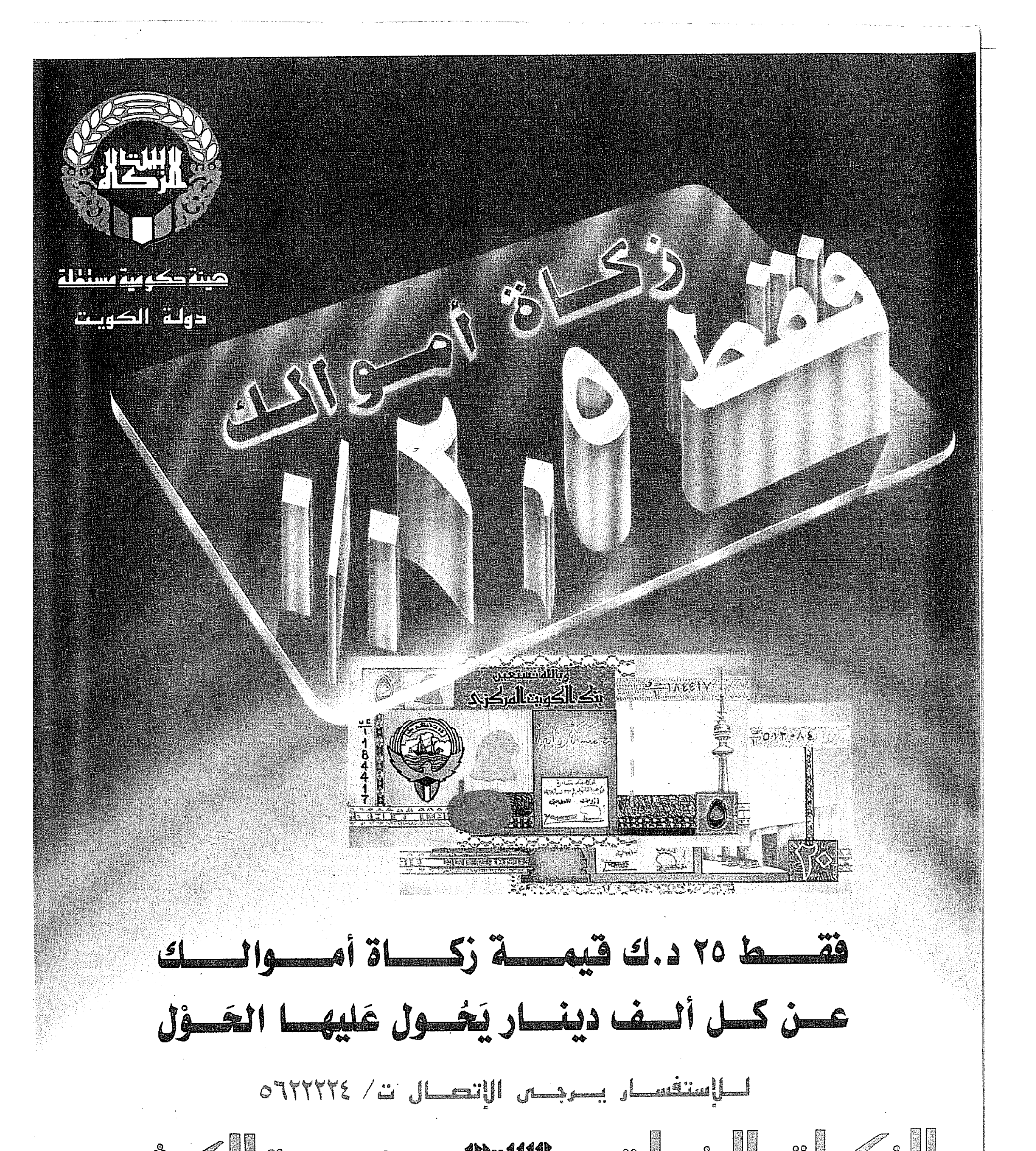
صور ومواقف وأرقام



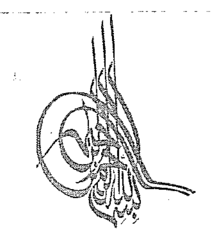
- نحو وعي إسلامي صحيح
- الإسلام وتوازن الحضارة
- نشاط اليهود الاستشراقي



عوائق أمام امتداد الصحوة الإسلامية



بيت الزكاة
هيئة حكومية مستقلة
دولة الكويت
فقط ٢,٥٪ زكاة أموالك
وبالله نستعين
بنك الكويت المركزي
فقط ٢٥ د.ك قيمة زكاة أموالك
عن كل ألف دينار يَحُول عليها الحَوْل
للإستفسار يرجى الإتصال ت/ ٥٦٢٢٢٢٤



الوعي الإسلامي

AWEI AL-ISLAMI

اسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry
Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٥٦ –السنة الثانية والثلاثون–ربيع الآخر ١٤١٦هـ/سبتمبر (أيلول) ١٩٩٥م

المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 ـ الكويت
كافة المراسلات باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2466300 - EXT:1005
FAX: 965-2431740

هاتف:

بدالة: ٢٤٦٦٣٠٠ (٩٦٥) داخلي(١٠٠٥)
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

وكيل التوزيع:

شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب:٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر
ت:٥/٤٨١٦٨٨٤–٤٨٣٥٠٤٧

كلمة العدد

الجسد الواحد..

أعلن وزير الإعلام الكويتي عن حملة رسمية وشعبية لجمع التبرعات لمساعدة مسلمي البوسنة والهرسك. ونفى الوزير للصحافيين أن تكون الكويت قد قصّرت تجاه هذه القضية، فالمساعدات لم تنقطع،بينما تقوم العملية على الصمت، دون بهرجة إعلامية أو مزايدات..

وتحدث وزير الأوقاف – لوسائل الإعلام – عن خطة تنفيذية ميدانية داخل أراضي البوسنة والهرسك، لإيواء المهجرين، تتم بالتنسيق مع الحكومة البوسنية، وبيّن أن فلسفة العمل الخيري الكويتي أن يكون الدعم متواصلاً ومستمراً، ويصب في مؤسسات ميدانية ترعاها دولة الكويت داخل البوسنة والهرسك.. وأضاف ان الدعم السياسي والإنساني الكويتي لهذه القضية واضح من خلال بيان مجلس الوزراء، وبيان مجلس الأمة، وجهود ومساعدات اللجان الخيرية الكويتية..

وموقف الكويت ليس غريباً عليها، حكومة وشعباً، وهي المعروفة بمساهماتها الواسعة والملحوظة في ميدان الخير، والفكر، والتنمية.. فمنذ أن أنعم الله عليها بثروتها الاقتصادية وللمسلمين ودول العالم النامية نصيبٌ ، يدفعها إلى ذلك شكر الله تعالى، ومن معالم الشكر الإنفاق في سبيله، ويحدوها في ذلك الاستجابة لقول النبي الأكرم ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»..

لقد ذاق الشعب الكويتي مرارة الاحتلال، وعرف قسوة الجبروت والتسلط على أيدي جيش العدوان في الثاني من أغسطس (آب) ١٩٩٠م، ولايزال الأسرى من الكويتيين واخوانهم المقيمين يقبعون في السجون العراقية، شهود حق على ظلم المعتدي وصَلَفه، وأحرار العالم يضغطون من أجل إرجاعهم إلى وطنهم وأهليهم وذويهم..

وبالرغم من كل الجراح، كانت الكويت صاحبة مبادرة إلى جانب الإخوة والأشقاء، والمجتمع الدولي، تواسي بما تستطيع، ولا تبخل بما تملك.. ولم ينجح العدوان الآثم في صرفها عن هذا المنهج.. أوَليس من الشكر لله مواساة عباده؟ ■

الاشتراكات

داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير — للمؤسسات ١٠ دنانير —
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية(أو مايعادلها) ـ للمؤسسات ١٢ دينار أ كويتياً (أو مايعادلها) ـ
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها) — للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً(أو مايعادلها)
* ترسل الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الاسعار

الكويت ٣٥٠ فلسا ـ السعودية ٤ ريالات ـ البحرين ٣٠٠ فلس ـ قطر ٤ ريالات ـ الامارات ٤ دراهم ـ سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة ـ الاردن ٥٠٠فلس ـ ج.م.ع جنيه مصري واحد ـ السودان ٥ جنيهات ـ موريتانيا ١٢٠ اوقية ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٥ دنانير ـ اليمن ٥ ريالات ـ لبنان ١٠٠٠ليرة ـ سوريا ٢٠ ليرة ـ المغرب ٥ دراهم ـ ليبيا ٥٠٠ مليم ـ اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله ـ أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR

بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

مدير التحرير
MANAGING EDITOR

د. صلاح الدين أرقه دان
Dr. S.S. ARKADAN

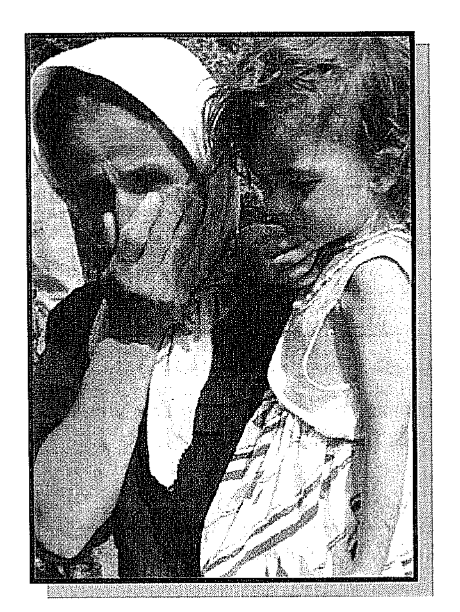
المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR

خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاشراف الفني
ART DESIGNER

صالح محمد صالح
S. M. Saleh

في هذا العدد



قضية البوسنة

القضية البوسنية تتفاعل إفـرازاتها على الساحتين العربية-الإسلامية والدولية، و(الوعي الإسلامي) تسجل أحداث القضية بالصور والمواقف شاهداً أمام التاريخ ليعطي حكمه فيها وفي إفرازاتها، سلبية أم إيجابية؟

٢٢

اقرأ في الأعداد القادمة



● د. يوسف القرضاوي

تنويه: إلى السادة القراء في جمهورية مصر العربية
بسبب ظروف اضطرارية قررت إدارة المجلة رفع سعر المجلة في جمهورية مصر العربية إلى جنيه مصري واحد يرجى أخذ العلم والله الموفق لما فيه الخير

التعليم العربي-الاسلامي في الفلبين

٨

يعد التعليم العربي – الاسلامي في الفلبين من أقوى الروابط التي تربط المسلمين بأمتهم.. ما هو واقع هذا التعليم؟ وما هي العقبات التي تقف في طريقه؟ وكيف يتم التغلب عليها؟

نحو وعي إسلامي صحيح



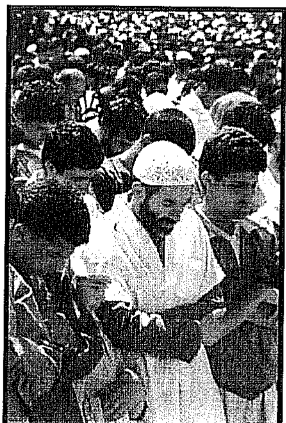
٣٠

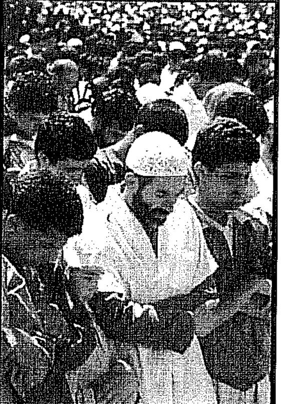
الغزو الفكري الذي تتعرض له الأمة المسلمة أضعف الوعي عند أبنائها، وظهرت مفهيم خاطئة لاتزال تعرقل تطبيق الحل الإسلامي بمفهومه الشامل.. إخراج الأمة من أزمتها هذه لن يكون إلا بتخطيط علمي صحيح يعي جوهر الدين ومهمته في دنيا الناس.

المراكز الاسلامية في الغرب

٥٤

الوجود الإسلامي في ديار الغرب له جذور ضاربة في القدم، تعود إلى القرن الهجري الأول، وما زال هذا الوجود ممتداً حتى عصرنا الحاضر يحاول أن يرسّخ الهوية العقائدية حتى لا تذوب الأقليات المسلمة في بوتقة المجتمعات الغربية. المراكز الإسلامية تضطلع بهذه المهمة في عصرنا الحاضر.







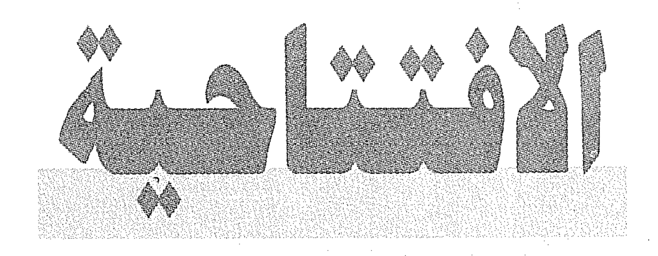
اليهود ونشاطهم الاستشراقي



٤٦

اليهود هم اليهود في كل عصر وحين.. مكائد ودسائس ومؤامرات، وهذه الأمور لا تنفذ اعتباطاً، وإنما تقوم على دراسات مسهبة يقف وراءها علماء صهيانة متخصصون في كل ألوان المعرفة وفنون الحياة ومنهم المستشرقون الذين يحاولون الطعن بالتاريخ الاسلامي من خلال بعض الثغرات ونقاط الضعف التي تعتري – أحياناً – المسيرة الإسلامية.

الفهرس



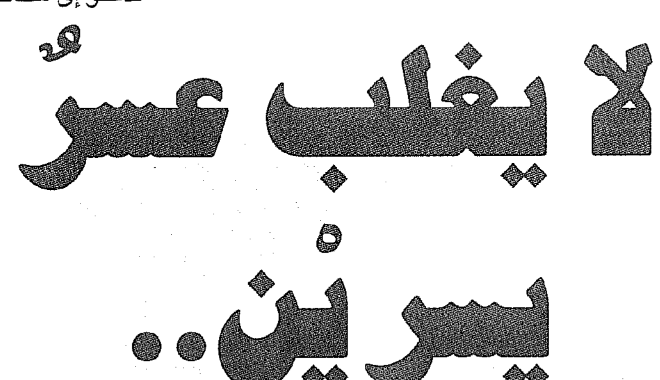
جاءت أحداث البوسنة الأخيرة، وبالتحديد مذبحة (سريبرنتسا) لتؤكد حقائق لا يصح تغافلها أو إهمالها، مهما كان حجم المأساة ومهما بلغ التردّي الذي يواجه القرار السياسي الدولي، ذلك لأن مسؤولية المسلم (الفرد والجماعة والأمة) الشرعية لا تقف عند حدود العاطفة، ولا التفاعل الروحي البعيد عن الأداء والمساهمة العملية، وما من آية في كتاب تتحدث عن الإيمان إلا وتقرنه بالعمل، وأكبر المقت عند الله ﴿أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [الصف/٣]..

وأول هذه الحقائق، أن صراع الحق والباطل قضية أزلية.. ابتدأت مع الإنسان، ولن تتوقف أمام نداءات الاستغاثة.. فالمصالح المتضاربة هي التي تحكم العلاقات المتوترة بين الأفراد والأمم، وتأخذ بعداً خطيراً وحجماً متزايداً كلما ابتعدت عن الروادع الإيمانية والأخلاقية، والزواجر المادية، والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن..

ونظرية سيادة السلام بعيداً عن المشاكل والحروب نظرية لا واقع لها، ولذلك كان الله تعالى رحيماً بعباده حيث بيّن لهم أحكام الحرب كما بيّن لهم أحكام السلم، فلا يقع الفرد ولا الجماعة ولا الدولة أو الأمة في حالة انتهاك للشرع من منطلق العاطفة، أو بسبب ردّات الفعل، وفي كل الأمور مطلوب من المسلم اتباع طريق (العدل) ولو مع قوم بينه وبينهم ما صنع الحدّاد: ﴿ولا يجرمنّكم شنآن قوماً على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إنّ الله خبير بما تعملون﴾ [المائدة/٨]..

ومن رحمة الله تعالى أن جعل مفهوم استخدام القوّة في الإسلام مرتبطاً بمفهوم نصرة المظلوم على الظالم، ولو كان هذا الأخير مسلماً، فالقصاص الذي شرعه الله لإيقاف مسيرة الشرّ لا يميّز بين دين ودين، ذلك لأن العدل نفسه لا ينحاز إلا إلى جانب صاحب الحقّ كائناً من كان، والقويّ في نظر الشرع ضعيف حتى يتم الاقتصاص للضعيف منه، كما قال خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه وأرضاه، فميزان القوة والضعف – في الاسلام – هو ميزان الحقّ لا ميزان السلطان والمال..

والحقيقة الأخرى أن الإسلام دين يبتعد عن العنصرية ابتعاده عن الشرك، والمسلم الذي يدعو إلى عصبية فيه «جاهلية» كما ورد في الحديث الشريف. وبالرغم من إعلان الصرب حرباً عنصرية واضحة المعالم على شركاء الوطن الواحد، وسعيهم إلى التطهير العرقي بكل ما توصّلت إليه أيديهم من وسائل إجرامية ولاأخلاقية كالاعتداء الجنسي، وقتل الرضّع، والتمثيل بالمعتقلين – أحياء وأمواتاً – إلا أن حكومة البوسنة بقيت محافظة على التزاماتها الأخلاقية والقانونية مترفّعة عن الانجرار إلى منزلق العفن العنصري أو التعامل مع الصرب داخل مناطق نفوذها بردّات الفعل التي تدعو إلى محاكاتهم فيما يفعلون من اغتصاب وقتل وتدمير وتهجير وإفساد في الأرض..



والحقيقة التي نراها مستمرة خلال التاريخ أن صاحب الحق أوْلى بحقه، وعليه ألا يتوقّع كبير مساهمة من الآخرين (ما حكّ جلدك مثل ظفرك)، لاسيما أولئك الذين لا يقفون وإيّاه على أرضية واحدة، وأولئك الذين يتخذون موقفاً معادياً لأسباب عقدية أو مصلحية، والمجتمع الدولي، وبالتحديد الموقف الأوروبي كان واضحاً في مسألة البوسنة، يصدق عليه القول: (قلوبهم معك وسيوفهم عليك)، لأن الضرر لا

يطال هذه الدول ومصالحها، ولأن الخشية – كما تعلن الدبلوماسية الأوروبية – من توسّع نطاق العمليات العسكرية بحيث تغرق أوروبا نفسها في دوّامة لا مخرج منها..

ولقد أشار النبي ﷺ إلى حقيقة أن الأمّة المسلمة أمّة واحدة، تتحمّل بالتكافل والتضامن – ما يجري على جزء منها، وشبّهها بالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى..

فالرحمة والتعاطف والتضامن عناوين ترفرف فوق هامات المسلمين، وبالرغم من كل المشاكل والمشاغل المحلية والإقليمية فقد هبّ العالم الإسلامي – ضمن الإمكانيات والفرص المتاحة – ليقف منذ اللحظة الأولى إلى جانب الحق البوسني – كما وقف إلى جانب قضايا ساخنة أخرى – وهو يعلم أن دولة البوسنة تضم مزيجاً من الإثنيات العرقية، والجماعات الدينية، منهم اليهود والنصارى، والكروات والصرب، وغيرهم، ذلك لأن الإسلام شمولي النظرة، ربّاني المصدر، بعيد عن الإنغلاق والتقوقع..

ولقد ساهم المسلمون – أفراداً وجماعات ودول – في الوقوف إلى جانب شعب البوسنة والهرسك في ميادين السياسة والإغاثة، فيما وقفت القرارات الدولية، وظروف موضوعية معقّدة، حاجزاً أمام المساعدات العسكرية، فقد حظّرت الدول الفاعلة في الساحة الدولية على البوسنة التزوّد بالأسلحة الدفاعية الضرورية، بينما بقي باب التسلّح مفتوحاً أمام الصرب الذين يعتمدون على اتصال أراضيهم بأراضي جمهورية صربيا، بالإضافة إلى ما تم الاستيلاء عليه من سلاح الجيش اليوغسلافي السابق، وسلاح القوات الدولية اللاحق..

فعلى الصعيد السياسي، لم تترك الدول الإسلامية فرصة لإعلان حق البوسنيين في إقامة دولتهم المستقلة، والدفاع عن أنفسهم، إلا وعملت فيه، بالاتصال بالمنظمات الدولية وبالتصويت في مجالس الأمم المتحدة المتخصصة، بالإضافة إلى الاتصالات الدبلوماسية بالأطراف المعنية والدول الفاعلة..

ولم تترك الدول الإسلامية فرصة المشاركة في قوات الأمم المتحدة إلا وساهمت فيها، وكان لأفراد هذه القوات من المسلمين مساهمات معروفة ومشهودة في تقديم يد المساعدة الطبية والغذائية لمن يلجأ إليها من البوسنيين، أو لمن كان في نطاق عملها، حتى قيل أن التخوّف من توسّع هذه المساهمات أدّى إلى تحديد أنواع الأسلحة التي تتسلّح بها القوات المسلمة العاملة تحت مظلّة الأمم المتحدة في البوسنة تخوّفاً من مساعدات عسكرية لجيش البوسنة نفسه..

وساهمت المؤسسات والمنظمات الإسلامية – الرسمية والشعبية – في عمليات الإغاثة الإنسانية، المتعلّقة بلقمة العيش أو تأمين مأوى للمهجّرين، والطبابة للمصابين.. ويأتي في واجهة ذلك إفطارات رمضان، والحصص التموينية، والعيادات الميدانية، والأدوية، والبطانيات والمستلزمات الأساسية والضرورية لحفظ الحد الأدنى من حياة الأطفال والنساء والشيوخ الذي أُكرهوا على ترك ديارهم وبيوتهم من جرّاء العدوان الصربي..

وقد أرسلت بعض الدول العربية والإسلامية – في هذا الإطار – بعثات طبية متخصصة، تؤدي قسطاً مما عليها تجاه شعب آمن أُخذ على حين غرّة..

كما استقبل عدد من دول العالم الإسلامي لاجئين، لاسيما من اليتامى والأرامل، عدا عن مشاريع (الكفالة) التي تتم داخل معسكرات اللاجئين وتحت رعاية الأسرة نفسها، فكثيرٌ من الرجال يساهم في صمود المدن البوسنية لاسيما سراييفو في الوقت الذي تقوم به المرأة برعاية أفراد الأسرة..

ولا ننسى ذكر استشهاد أفراد من العالم الإسلامي على أرض البوسنة أثناء قيامهم بواجب الإغاثة الإنسانية، منهم شهيد الكويت عادل الغانم رحمه الله..

ولقد نظمت عدة حملات للتبرعات المالية والعينية والطبية في الوطن الإسلامي، بما في ذلك القدس الشريف المحتل، مساهمة من المسلمين في دعم صمود أهل البوسنة والهرسك، وقياماً بجزء من الواجب، ولقد سجّلت بعض الدول مواقف طيبة ومتميّزة في اندفاعها بما تملك تجاه تأييد هذه القضية العادلة..

ونسجّل هنا إعلان منظمة المؤتمر الإسلامي عن رفع حظر توريد الأسلحة إلى البوسنة، ومبادرة رئيس وزراء ماليزيا بالتصريح عقب الإعلان ان بلاده مستعدة لبيع السلاح لحكومة البوسنة والهرسك، فيما سارعت منظمات شعبية في البلاد للإعلان بأنها بدأت بالفعل في جمع تبرعات شعبية لتوفير ثمن السلاح المطلوب..

ولقد وجّه الرئيس علي عزّت في وقت سابق رسالة شكر للكويت – حكومة وشعباً – على ما قدمته، ولمواقفها السياسية والإنسانية إلى جانب الجمهورية المظلومة..

ومما تناقلته الأخبار حملة تبرّع نظمتها وزارة الاعلام والهلال الأحمر في دولة الإمارات العربية المتحدة لمساعدة مسلمي البوسنة أسفرت عن جمع حوالي ٤٤ مليون دولار. ومن العلامات المشرقة في الحملة أن المواطنين تبرعوا – بالإضافة إلى النقد – بالحلي والذهب، وعلّقت الصحافة على خبر تبرع فتاة من دبي بفرس بلغ سعرها في المزاد العلني ١٩ ألف دولار، بينما تبرع بدوي بجمل.. ومثل هذا قامت به شعوب ومؤسسات وحكومات عربية وإسلامية كثيرة.. صورة تعيد إلى الأذهان ما عرفته أمتنا خلال مسيرتها الخيّرة الطويلة، ولله الحمد..

إن مأساة عالم اليوم المتمثلة بالظلم والعدوان، وبالأخص ما يقع على عاتق المسلمين، ينبغي أن لا ينسينا رحمة الله تعالى، وحكمته من اختباره، والاستعداد للخلاص منه، وكلما أوغل العدوان في صلفه كلما تذكّر المؤمن أن لكل ليل – مهما طال كلكله – فجر ساطع، وأن الفرج بعد الشدّة، وأن مع العسر يسراً، وصدق ربنا القائل: ﴿فإن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً﴾، فلا يظننّ أحدٌ أن عسراً يغلب يسرين■


● تلاميذ مدرسة العناية الاسلامية

تحيط بالأقلية المسلمة في الفلبين ظروف (حرجة) تهدد دينها وثقافتها وتراثها الإسلامي، ويعد التعليم العربي الإسلامي من أهم الروابط التي تربط مسلمي الفلبين بعقيدتهم وتقربهم من أمتهم الإسلامية، ومن هنا تبرز أهميته في الحفاظ على هويتهم المهددة وعلى مستقبل الإسلام بشكل عام في هذا الجزء من عالمنا الإسلامي.

التعليم العربي الإسلامي في الفلبين

(الواقع - المشكلات - الحلول)

واجه التعليم الإسلامي في الفلبين العديد من العقبات والمشكلات التي تعترض سبيله وتؤثر بشكل كبير على مسيرته

ومن منطلق هذه الأهمية نحاول اليوم إلقاء الضوء على واقع التعليم العربي الإسلامي في الفلبين والعقبات التي تعترض سبيله مع وضع تصور لكيفية التغلب على هذه العقبات كسبب من أسباب الحفاظ على حيوية الإسلام ومستقبل المسلمين في الفلبين.

التعليم العام في الفلبين:

ينقسم التعليم في الفلبين إلى نوعين رئيسين وهما: تعليم رسمي حكومي، وتعليم أهلي (خاص) غير حكومي.

١- التعليم الحكومي: - وهو الذي تتولى الدولة الإنفاق والإشراف عليه ولغة الدراسة في جميع مراحله هي اللغة الإنجليزية وتدرس في مدارسه جميع العلوم العصرية بالإضافة إلى اللغة الوطنية (التاجالوج).

٢- التعليم غير الحكومي: - أما

إعداد: محمد عبدالله

التعليم غير الحكومي (الخاص) فينقسم إلى ثلاث أقسام وهي: المدارس العربية الإسلامية - المدارس الإسلامية الإنجليزية - المدارس الدينية الكاثوليكية.

* واقع التعليم الإسلامي.

كما قدمنا فإن التعليم الإسلامي في الفلبين ينقسم إلى قسمين الأول منه وهو (التعليم العربي الإسلامي) وتقوم بالإشراف عليه لجان أهلية تشكل من أهالي الحي أو القرية التي تقع فيها المدرسة أو المعهد ويعتمد في تأمين نفقاته واحتياجاته المادية على تبرعات وصدقات الأهالي وبعض الرسوم الرمزية التي تحصل من الطلبة، وبعض هذه المدارس تتولى الإشراف عليها بعض الجمعيات الإسلامية، وتهتم هذه المدارس في المقام الأول بتعليم القرآن الكريم والدراسات الإسلامية واللغة العربية وعلومها وتضم ثلاث مراحل دراسية وهي (الإبتدائية - المتوسطة - الثانوية) ومدة كل مرحلة منها أربع سنوات، هذا بالإضافة إلى أن هناك البعض من هذه المدارس تفتح أبوابها يومي السبت والأحد من كل أسبوع (يومي العطلة في المدارس الحكومية) للطلاب المسلمين الذين يواصلون في المدارس الحكومية باقي أيام الأسبوع لتعليمهم قسطاً من العلوم الإسلامية واللغة العربية.

وهذا النوع من التعليم هو الأكثر انتشاراً في الفلبين ويلقى إقبالاً كبيراً من الطلاب المسلمين حيث يسود الاعتقاد بين الكثير من المسلمين إن دراسة أبنائهم في المدارس الإنجليزية الحكومية الخالية من العلوم الإسلامية والعربية حري أن يؤدي بهم إلى الردة والخروج من الدين.

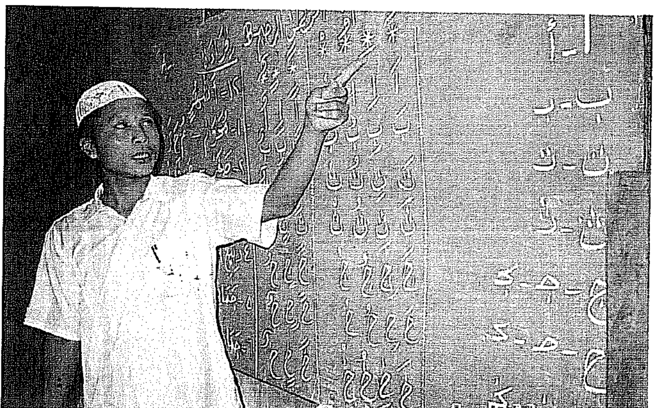
أما النوع الثاني فهو (المدارس الإسلامية الإنجليزية) وهذه المدارس

التعليم العربي الإسلامي هو الأكثر انتشاراً ورواجاً وقبولاً لدى مسلمي الفلبين

يديرها ويشرف عليها أشخاص من المسلمين وتقوم بتدريس المناهج الحكومية الإنجليزية مضافاً إليها مادتي اللغة العربية والدين الإسلامي. إلا أن عددها في الفلبين لا يكاد يتجاوز أصابع اليد الواحدة ولا يقبل عليها المسلمون بشكل كبير على الرغم من أن الحكومة تعترف بالشهادة الممنوحة لخريجيها الذين يتمتعون بجميع حقوق الطلاب الذين تخرجوا من المدارس الحكومية من حيث مواصلة الدراسة الجامعية أو التوظف، على عكس خريجي المدارس العربية الإسلامية الذين لا تعترف الحكومة بشهادتهم.

ولما كان التعليم العربي الإسلامي هو الأكثر انتشاراً ورواجاً وقبولاً لدى مسلمي الفلبين فسوف نفرد المجال للحديث عنه في هذا البحث الموجز.

والواقع أنه لما كانت هذه المدارس والمعاهد الإسلامية ليست لها وزارة أو جهة عليا تقوم بالإشراف عليها وتحديد برامجها وتنظيم عملها وتوفير الاعتمادات المالية اللازمة لها ـ كما عليه الحال في الدول الإسلامية ـ فقد واجه التعليم الإسلامي في الفلبين العديد من العقبات والمشكلات التي تعترض سبيله وتؤثر بشكل كبير على مسيرته، كما أصبحت صفة (الارتجالية) مسيطرة على حركته وهو الأمر الذي يؤثر بدوره على حجم عطائه وأهلية خريجيه ومستقبله بشكل عام.



● التعليم العلربي الاسلامي في الفلبين

* مشاكل التعليم الإسلامي.

الواقع أن مشاكل التعليم الاسلامي في الفلبين هي جزء لا يتجزأ من المشاكل العامة التي يعاني منها مسلمو هذه البلاد وقد ألقت حالة التردي في أوضاعهم المادية والحضارية والثقافية بظلالها على حاله التعليم، ومن أهم المشكلات والعقبات التي تعترض مسيرة التعليم الإسلامي مايلي:

١ـ ضعف الإمكانات المادية: لما كانت هذه المدارس في غالبها تعتمد على تبرعات وصدقات الأهالي كمصدر رئيسي لتمويلها والإنفاق عليها ولا توجد لها مصادر ثابتة للتمويل فقد باتت تعاني من أزمة مالية شديدة نظراً لأن المسلمين في الفلبين يعانون من حاله فقر عامة فرضتها عليهم ظروفهم كأقلية وصراعهم الطويل مع الحكومة التي تحكمهم الأمر الذي أثر على العملية التعليمية بمختلف جوانبها، فعلى صعيد بنايات المدارس والمعاهد ذاتها فإنها متواضعة بشكل كبير يجعل الكثيرمنها أقرب إلى الكتاتيب من المدارس وقد أقيم بعضها من الخشب والصفيح وبالتالي فهي مفتقدة للمرافق والخدمات بصورة شبه كاملة وخاصة تلك التي تقع منها في المناطق النائية حيث لا كهرباء ولا دورات مياه ولا مقاعد وطاولات كافية فضلاً عن المكتبات ووسائل الإيضاح التعليمية إلى آخر ذلك من أوجه النقص في المستلزمات التي لا تقوم المدارس والمعاهد العلمية إلا بها.

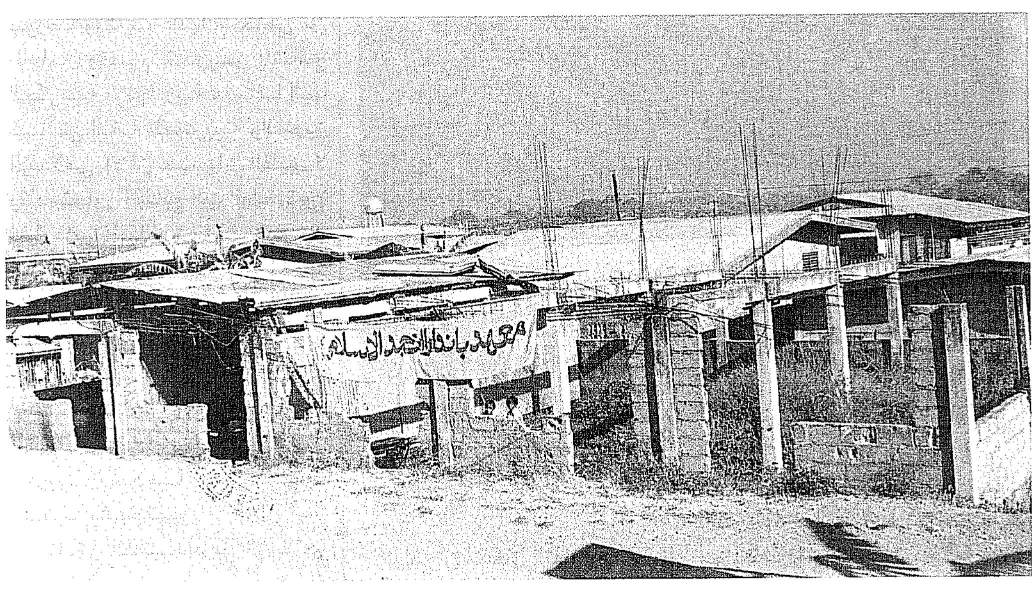
وقد أدت هذه الحالة المالية المتعثرة إلى عدم انتظام صرف رواتب المدرسين (الرمزية) والتي قد تنقطع لعدة شهور مما يؤثر على معنوياتهم وعطائهم ويؤدي بالكثير منهم إلى هجر عمله والبحث عن مصدر رزق آخر لتأمين احتياجات أسرته الحياتية.

٢ـ عدم وجود المنهج الدراسي الموحد: حتى اليوم وعلى الرغم من قدم عهد التعليم العربي الإسلامي في الفلبين إلا أنه لم يتم وضع واعتماد منهج موحد تلتزم به جميع المدارس والمعاهد الإسلامية وهو الأمر الذي أدى إلى تباين واختلاف منهج كل مدرسة عن الأخرى فنجد أن هناك مدرسة تدرس طلابها منهج الأزهر وأخرى تدرس منهج وزارة المعارف السعودية وثالثة تدرس منهج المدارس الكويتية ورابعه اجتهدت وجمعت قطوف من هنا وهناك. ومن آثار هذه



● امكانيات متواضعة في مدارس الاطفال

عدم توفر المعلمين المؤهلين علمياً وتربويا مشكلة تؤثر على المستوى العلمي للطلاب الدارسين للعلوم الإسلامية



المشكلة عدم وجود كتب دراسية يدرس منها الطلاب دروسهم وتعتمد بعض المدارس على ما يتوفر لمدرسيها من الكتب الصادرة عن بعض الدول العربية وهو الأمر الذي لا يتناسب مع قدرات وظروف الطلاب الفلبينيين حيث أن هذه الكتب أعدت أصلاً لتناسب مستوى الطلاب العرب.

٣ ـ عدم توفر المعلمين المؤهلين علمياً وتربوياً: ـ هذه المشكلة تؤثر بشكل سلبي كبير على المستوى العلمي للطلاب الدارسين للعلوم الإسلامية حيث أن عدم توفر معلمين أكفاء غدا أمراً أشبه ما يكون بالدائرة المغلقة تتوارثه أجيال الخرجيين حيث أن المعلم غير المؤهل لن يخرج إلا طالباً ضعيف المستوى العلمي وهذا الخريج قد يتحول غداً إلى معلم وهكذا تتوارث الأجيال هذا الضعف إلى أن يتم وضع حد لهذا الأمر. كما أنه إذا وجد المعلم المتمكن علمياً فإنه غالباً غير مؤهل من الناحية التربوية التي لا غنى عنها لهذا التخصص وتجدر الإشارة إلى أن اغلب المعلمين الذين يتولون التدريس في المدارس الإسلامية هم من خريجي المرحلة الثانوية ومع ذلك فهم (عمله نادرة) نظراً للأسباب المشار إليها في الفقرة الأولى.

٤ ـ عدم اعتراف الحكومة بالشهادة الممنوحة لخريجي المدارس العربية الإسلامية إن الحكومة الفلبينية لا تعترف بشهادات التخرج التي يحصل عليها خريجي هذا النوع من المدارس وبذلك فهم محرومون من مواصلة دراستهم الجامعية في الجامعات المحلية أو حتى التوظف في الوظائف العامة بشهاداتهم الثانوية وهو الأمر الذي أدى إلى توقف أعداد كبيرة منهم بعد الإنتهاء من هذه المرحلة ولا أمل لهؤلاء إلا بمواصلة دراستهم الجامعية في الكليات والمعاهد الإسلامية في الدول الإسلامية وهذا الأمر غير متاح للجميع حيث لا يتم إلا قبول أعداد محدودة جداً كل عام في هذه الكليات والذي لا يتناسب مع عدد أولئك الخريجين وهذا ما دفع البعض من المسلمين من ذوي الثقافة الغربية إلى الإعراض عن هذه المدارس وعدم إلحاق أبنائهم بها وتفضيل المدارس الحكومية عليها بحجة أنها لا تضمن لهم مستقبلهم!!

الحلول المقترحة

.حتى يتطور التعليم العربي

الإسلامي في الفلبين وتتحسن صورته وظروفه ويعطي الثمرة المرجوة بالشكل المطلوب فلابد من تعاون المسلمين في الداخل والخارج والأخذ بعين الاعتبار التوصيات التالية:

١) العمل على توحيد المناهج الدراسية في جميع المدار س الإسلامية.

وهذه المهمة تقع على عاتق الخبراء والمختصين في هذا المجال من الدول الإسلامية لمساعدة إخوانهم في الفلبين على وضع منهج دراسي خاص يتلاءم مع ظروف وبيئة الطلاب الفلبينيين على أسس علمية وتربوية حديثة ومن ثم تعميم هذا المنهج على جميع المدارس والمعاهد، والجدير ذكره أن مسؤولي هذه المدارس يرحبون بهذا الأمر ويتوقون إليه.

٢) مساعدة مسلمي الفلبين على إقامة مطبعة خاصة بهم.

وذلك لطباعة الكتب الدراسية والكراسات واللوازم المدرسية الأخرى ومن الممكن أن يعهد لإحدى الجمعيات الإسلامية المحلية الموثوقة بالإشراف على هذه المطبعة.

٣ ـ ربط بعض المدارس المحلية الجادة بنظيرتها في الدول العربية والإسلامية.

بحيث تتولى وزارات التعليم من هذه الدول الإشراف علي هذه المدارس وتنظيم برامجها ومراقبة أعمالها وتوفير احتياجاتها المادية وربط الشهادات الدراسية لخريجيها بهذه الوزارات حتى تحصل على الاعتراف

المدارس العربية الإسلامية في الفلبين رغم بساطتها وقلة إمكاناتها لا يمكن إنكار دورها الكبير الذي لعبته في المحافظة على الإسلام



والصفة الرسمية على الأقل في دول العالم الإسلامي - كمرحلة أولى - وبعد ذلك يمكن التفاهم مع حكومة الفلبين عبر هذه الوزارات حول الاعتراف المحلي العلمي والأدبي بهذه الشهادات.

٤) تأسيس جامعة إسلامية في الفلبين.

لابد من تعاون الدول الإسلامية وليكن ذلك من خلال (رابطة العالم الإسلامي) للعمل على انشاء جامعة إسلامية متطورة، والإشراف عليها في (مندناو) حيث الحاجة لمثل هذه الجامعة ملحة جداً في ظل الظروف الراهنة وحتى يمكن استيعاب هذه الأعداد الكبيرة من خريجي المدارس الثانوية وإتاحة الفرصة لهم لمواصلة تعليمهم الشرعي وفي هذه الحالة لا تكون هناك حاجة لإرسال طلاب الفلبين للدراسة بالخارج وتوفير جانب كبير من النفقات التي تنفق عليهم ويتم الاستفادة منها في تعليم عدد آخر من الطلاب، ومن أهم الكليات التي يجب أن تتضمنها هذه الجامعة المقترحة:

أ: كلية التربية وإعداد المعلمين: - حتى يمكن خلق جيل من المعلمين المؤهلين علمياً وتربوياً ويكونون (حجر الزاوية) في تطوير التعليم الإسلامي في مراحله الإبتدائية والمتوسطة والثانوية وكسر تلك الدائرة المغلقة التي أشرنا إليها سالفاً والخروج منها، ومن ناحية أخرى سد العجز الحالي في هذا المجال.

ب - كلية اللغة العربية وعلومها: وذلك للعمل على نشر اللغة العربية على أسس سليمة متطورة بين مسلمي الفلبين الذين يتكلمون بسبع لغات مختلفة عن بعضها البعض على الرغم من أن عددهم لا يتجاوز عشرة ملايين نسمة ومن هنا يمكن جعل اللغة العربية لغة التفاهم فيما بينهم بالإضافة إلى الفوائد الأخرى التي لا تخفى من انتشار اللغة العربية.

حـ - كلية خاصة للبنات — من الملاحظ الإقبال الكبير من الفتيات على دراسة العلوم الإسلامية وزيادة أعدادهن عن عدد الشبان بشكل كبير، وهؤلاء الفتيات لا يتمكن من السفر لمواصلة دراستهن بالخارج والاستفادة منهن بعد ذلك في الدعوة وتعليم البنات.

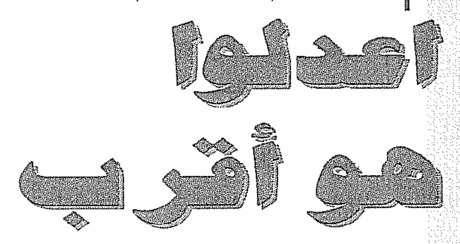
* وختاماً: — فإن المدارس العربية الإسلامية في الفلبين رغم بساطتها وقلة إمكاناتها لا يمكن إنكار دورها الكبير الذي لعبته في المحافظة على الإسلام واللغة العربية في هذه البلاد، فقد استطاعت أن تدافع عن العقيدة الإسلامية وتحافظ عليها خلال فترات طويلة من الحكم الإستعماري، كما استطاعت أن تصمد في وجه المنافسة التبشيرية بإمكاناتها الهائلة وخططها المنظمة، ولقد كان مخطط الأسبان ومن بعدهم القضاء على الإسلام في جزر الفلبين.

ولكن الفضل الأول في عدم تحقيق أهدافهم يرجع لله تعالى ثم إلى وجود هذه المدارس والمعاهد التي تميزت ببساطتها وملاءمتها لعادات المسلمين واعتمادها على دعمهم وتأييدهم، ولكي تستطيع هذه المدارس أن تؤدي رسالتها على الوجه الأكمل في تخريج الشباب المسلم الذي يستطيع قيادة المجتمع في كل ميادين الحياة فلابد من أن تقوم الدول الإسلامية بتوجيه العناية لهذه المؤسسات التعليمية ومساعدة القائمين عليها في تنظيمها ومدهم بالخبرات والكفاءات اللازمة حتى يتحسن مستواها وتكون في مستوى مثيلاتها من المدارس والمعاهد في الدول العربية وبذلك نكون قد أسدينا للإسلام والثقافة العربية دعماً وتوطيداً في هذه البلاد ولهذه المؤسسات التعليمية مساندة تستطيع بها منافسة مؤسسات التعليم الغربية الحكومية أو الدينية الكاثوليكية والتي تعمل ما في وسعها على جذب أبناء المسلمين إليها بما توفره لهم من إمتيازات ثم تكون نتيجة ذلك بعدهم عن دينهم وهجرهم لثقافتهم وتراثهم الإسلامي. ■

مداد القلم

لا تكاد الأمّة المسلمة تُجمع على صفة من صفات الإنسان كإجماعها على كرامته وحرمة دمه وماله وعِرْضه.. وعبوديته لله وحده.. حتى أصبح ذلك دستوراً يصف مجتمع المسلمين على مدار تاريخهم، وقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (متى استعبدتم النّاس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).. كلمات خالدات حفظها التاريخ ورددها الناس، تشكل نبراساً للحاكم المسلم في كل زمان ومكان، ومنارة إرشاد لكل مظلوم يدرك أن الظلم انحراف عن الجادة وليس طبعاً من طباع المسلمين..

ومع ذلك ابتلانا الله – كما ابتلى غيرنا من الأمم – في فترات من التاريخ القديم والمعاصر، بمن لا يخشاه تعالى ولا يرحمنا، وما نسمعه عمّا يجري في أنحاء متفرّقة من العالم ما هو إلا غيض من فيض، كشفته أجهزة الإعلام لأسباب تكاد لا تخفى على أحد، وكم من ملفّات الظلم المقفولة والمودعة في الأدراج



بقلم: د. صلاح الدين أرقه دان

تنتظر دورها على المسرح..

فأجهزة الإعلام العالمي والمحلي تكشف يوماً بعد يوم المعاناة المكبوتة التي يواجهها العزّل من الرجال والنساء والولدان وهم يُجبَرون على الهجرة من أرضهم والجلاء عن ديارهم بسبب نزوة حاكم يخشى على نفسه ويعيث في الأرض الفساد، يستعرض جبروته استعراض المطمئن إلى أنه لا رقيب عليه ولا حسيب: ﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾؟ [البلد/ ٥]..

ولم يقف الظلم عند حدّ أصحاب المواقف السياسية المعارضة، ولكن تجاوزهم إلى النبات والجماد، حتى ابتكر زبانية التشفّي تجفيف المياه وتحويل الأراضي الخضراء إلى أرض قاحلة، وإخراج الأنهار عن مسارها لإغراق أراضٍ أخرى، يهدفون تهجير النّاس المشكوك في ولائهم من أرضهم وحرمانهم من لقمة العيش، ولكنهم يحتجّون بالإصلاح الزراعي: ﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ [البقرة/ ١٢]..

الحرية صنو العدل ولاعدل أو إبداع الا تحت مظلة الحرية

والاستبداد أمر تاريخي، ارتبط بالإنسان وتصارع مع العدل منذ عرف الإنسان التمييز بين الحق والباطل، والعدل والظلم، وكان من مهام الأنبياء والرسل إصلاح ما فسد من فطرة الناس بسبب اعتيادهم – بعد الإكراه – العبودية والخنوع لغير الله، وأكثر ما يرد على ألسنتهم عليهم السلام تعليم الناس الكرامة وتحريضهم على الحرية ليكونوا مؤهّلين لحمل نور السماء والجهاد في سبيله..

ولقد بيّن الله لنا عدله ورحمته، ليكون المسلم أبعد ما يكون عن الظلم وأقرب ما يكون من العدل، سمحاً فيما يفعل وفيما يذر، مهما بلغت رتبته ومهما علا مقامه، بل المطلوب رقيّه في العدل وارتفاعه في درجات الرحمة وتذكر قدرة الله عليه كلما علت درجته وعظم سلطانه: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»..

ونصّ في كتابه، كما في سنّة نبيّه ﷺ على حقوق الإنسان فرداً أو جماعة، ذكراً أو أنثى، مؤمناً أو كافراً، وبيّن حريته وكرامته وقيمته وتفضيله على كثير ممن خلق تفضيلاً، على نحو واضح لا لبس فيه ولا غموض ولا اشتباه، حتى لا يبقي لأحد حجّة فيقع في الحمى ويتعدى حدود الله، ويرى المسلمون سبْق الإسلام (للإعلان العالمي لحقوق الإنسان) الذي أصدرته الجمعية العامّة للأمم المتحدة في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٨م بقرون طويلة، بل فاق الإسلام هذه الشرعة بأن جعل ما دعا إليه ديناً يلتزم الناس به التزامهم بالعبادة والشعائر، ويُحاسَبون عليه كما يحاسبون على حقوق الله تعالى..

وما أعظم البيان السياسي الأوّل بعد النبي ﷺ يتلوه خليفته أبو بكر رضي الله عنه، يلخّص فيه فلسفة الحكم ومفهوم الخلافة بكلمات ما زالت ترن في أذن التاريخ والناس: (ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني.. الصدق أمانة، والكذِب خيانة.. والضعيف فيكم قويّ عندي حتى أزيح علّته – إن شاء الله، والقويّ فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه – إن شاء الله)، وعلى دربه سار الراشدون جميعاً، فالسلطة والقوّة والعظمة لله، وفي وعي الأمة وعلمائها ومجالسها ضمانة لاستمرار النهج وتقويم المسار..

والطغيان يؤدي إلى مفاسد كثيرة تترك بصماتها على عقيدة الناس وفكرهم وشخصياتهم وحياتهم، ويكاد لا ينجو منها ركن من أركان الحياة، ولذلك كان الظلم ظلمات في الدنيا والآخرة، ومن أبرز ما يمكن رصده تحت ظل الطغاة الثقيل:

– زرع الشك والتنافر فيما بين أبناء الأمة، لأن اجتماعهم على قلب رجل واحد يؤثّر في استمرار الطغيان ويؤدي إلى إيقاف أهل الاستبداد عند حدود الشرع والقانون، وإلزامهم بما يحقق المصلحة، ويدفعهم إلى القيام بواجبهم واحترام حقوق العامّة عليهم، وقد يؤدي إلى عزلهم بالكامل إذا هم أغرقوا في الشطط وبالغوا في الانحراف..

– القضاء على أهل الحل والعقد، ممن يمكن أن يفيء الناس إليهم، حتى إذا فكّر الجمهور بالبديل عجز عن إيجاده، فلا يبقى بالإمكان أفضل مما كان، وكم سعت حركات تغيير إلى الإمساك بزمام الأمور في بلدانها فحال بينها وبين تحقيق ذلك عدم وجود البديل القادر والمقبول..

– الحجْر على الحريات العامة لاسيما ما يتعلّق منها بحق التعبير، وحرية الحركة، فالحرية صنو العدل، ولا عدل أو إبداع إلا تحت مظلة العدل، ولذلك كانت الحرية مما تُبذَل فيه الأرواح، وتُقدّم التضحيات، ويُسال على جوانبه الدم، ولم تكن العقيدة ولا العبادة مما يقبل بدون حريّة الإرادة وحرية الاختيار: ﴿لا إكراه في الدين﴾ [البقرة/ ٢٥٦]..

– إقامة نظام بوليسي يأخذ بالتهمة ويقتل بالظنّة، ويكثر في مستنقعاته المنتفعون ضعاف الشخصية، الإمّعات الذين لا وزن لهم ولا قيمة، الأمر الذي ينشر الخوف ويثير الفزع ويرفع الثقة، ويؤدي إلى طمس معالم الشخصية الإنسانية الكريمة، والإكثار من المتسلقين الذين يرهقون الوطن والمواطنين..

– غياب الرأي الآخر، مما يفوّت على الوطن فرصة الاستفادة من طاقات أبنائه ورأيهم وخبراتهم، ويشل حركة التقدّم والرقيّ بينهم، فالسكوت الذي هو من ذهب هو السكوت الذي يجنّبك الخوض في الباطل، وإلا فالساكت عن الحق شيطان أخرس، وعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بادر يوماً – وهو في أوج عطائه وسلطته – إلى تأنيب حاشية السوء من أصحاب التزلّف عندما حاول أحدُهم إسكات مواطن أبدى رأيه منتقداً قراراً للخليفة، فقال: (لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها)، وقصة المرأة التي اعترضته وهو ينهى عن المغالاة في المهور، وإقراره بصواب رأيها وخطأ قوله، معروفة مشهورة..

– انتشار الخمول واللامبالاة، ذلك لأن المبادرات في عهد الطغاة مكلفة، قد تودي بصاحبها غياهب السجن أو تحرم عياله من جناح الأب، وحنو المرحمة، ويتولّد عن موت المروءة أمراض اجتماعية أين منها نقائص الجاهلية وثغراتها..

– أخْذ النّاس بالشبهات، وحساب المشكوك في ولائهم أشد الحساب على ما يظن زبانية الاستبداد أنه يجري في نواياهم، وقد يصل الأمر إلى التنكيل والقتل، ويروى عن أحد المستبدين أنه قال في وصيته لوريثه من بعده: (إني تركت لك الناس ثلاثة أصناف: فقيراً لا يرجو إلا غناك، وخائفاً لا يرجو إلا أمنك، ومسجوناً لا يرجو الفرج إلا منك) ولعلّه لخّص في هذه الكلمات مفهوم (الفرعونية) بأجلى معانيه..

– والمستبد يمارس الحكم على الناس دون أن يخضع هو نفسه للقانون، فالقانون في نظره يصلح للمحكوم ولا يصلح للحاكم، ولذلك تراه لا يتورع عن الإقدام على أي أمر يزيد من سطوته ولو ضرب بالشريعة والقانون ومبادىء العدل عرض الحائط، وهو لا يكترث برضا الناس أو موافقتهم على حكمه، فالمهمّ حملهم على (السمع والطاعة) ولو بحد السيف..

ومظاهر القانون؛ إن وجدت؛ فما هي إلا صورة (ديكور) يتم تزيين المراسم بها، وبعد ذلك لا يهم أن تكون جوهرية أو قشرة خارجية، يكفيه أنها تستكمل الإجراءات الشكلية، وعلى الدنيا السلام..

– والمستبد من هؤلاء الطواغيت يؤلّه نفسَه ولا يرى أحداً كفؤاً له، ولذلك يحتكر الألقاب والمناصب، فهو: رئيس الجمهورية ، ورئيس مجلس الوزراء، والقائد العام للقوات المسلحة، ورئيس مجلس قيادة الثورة، والأمين العام للقيادة القومية أو القطرية، إلخ.. ولابد من صورة شخصية له كبيرة على مدخل كل قرية، تحيط بها أنوار الكهرباء القوية المحروم منها أبناء القرية أنفسهم..

– ولا يقف ظلم المستبد وتنكيله عند حد مخالفيه ومعارضيه، بل هو أشد انقلاباً على أقرب المقرّبين إليه، ولعلّ الاستوزار في بعض البلدان من أثقل الهموم على النفس وأكبر المصائب على الفرد وعائلته، لأن مسألة الرضى والسخط تخضع لمزاجية الحاكم لا للأحكام والقوانين والإنجازات، فكم من شخص سمي وزيراً؛ في مثل هذه الأجواء؛ فكتب وصيته وودّع أهله وأصحابه، لأنه لا يدري كيف تكون نهايته ومتى يغضب عليه (القائد الملهم)..

– وأعجب ما في أمر الطواغيت أهل الاستبداد أن يغلّفوا أعمالهم بقشرة رقيقة من تخفيف الظلم ليحسبه المتسرّع عدلاً، وبشيء من الشعارات البرّاقة التي ظاهرها الرحمة ومن قِبَلِها العذاب، وربطهم كل ما يقولونه أو يفعلونه بمصلحة الشعب التي يرونها وحدهم دون سواهم من الناس، فيكونون هم ومن تابعهم من الأخسرين أعمالاً: ﴿الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ [الكهف/ ١٠٤].. ألم يقل فرعون وملؤه عن موسى وهارون ودعوتهما إلى الخير: ﴿إنْ هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكما المثلى﴾ [طه/٦٣]؟ فالمقاييس مقلوبة عند المستبد، ليصبح أهل الباطل على الحق، وأهل الحق على الباطل، وهذا شأن الذئب مع الحَمَل، يعكّر عليه ويتّهمه ليلتهمه..

وكل الآفات المذكورة من الأمور التي حاربها الإسلام، وأراد بتعاليمه السامية أن يحقق للإنسان كرامته وعزّته، ويصقل قدراته، ويفجّر الطاقات الكامنة فيه ليكون بحق جديراً بالخلافة على الأرض ورباً لها بالحق..

والإسلام في معركته ضد الباطل يحرص على الوقوف في وجه الطاغوت ليرفع طغيانه عن غير المسلم كحرصه على رفعه عن المسلم نفسه، فعبْد الفكرة وعبْد الشهوة وعبْد السلطة لا يمكن أن يصل إلى الحقيقة التي تتمثل بتوحيد العبودية لله وخلع ما عداه، ولقد أدرك صناديد قريش وطواغيت العجم والروم ذلك فقال بعضهم لبعض تعليقاً على طلب النبي ﷺ أن يعطوه كلمة واحدة هي كلمة التوحيد: (إنها كلمة طالما تاقت نفوس عبيدكم إليها) فتوحيد الربوبية والألوهية يخرج الناس – أفراداً وجماعات – من ربقة الخنوع إلى رحاب العزّة التي كتبها الله لنفسه ولأنبيائه ولعباده المؤمنين..

لقد عمل النبي ﷺ خلال الفترة الأولى من دعوته على أن يستعيد المسحوقون في مكّة إنسانيتهم، وأن ينظر الناس بعضهم إلى بعض نظرة التساوي، وأنهم أمام الله سواء، فاللون واللسان والعِرْق أمور يخضع لها الإنسان دون إرادة منه: «لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى»، وهو يحاسب على ما قدّمت يداه، والتفاضل بين الناس بما ينفع بعضهم بعضاً: «خيرهم عند الله أنفعهم لعباده»، والتكريم لا يتعلّق بأمور الوراثة ولا الخلْق ولكن بمجاهدة النفس والارتقاء بالطاعة: ﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات/١٣]..

ومن أخطر ما ترتب على الاستبداد والواقع المر الذي تخبطت فيه أجزاء عزيزة من أمتنا، أن رفع البعض شعار: (المستبد العادل) وكأنه الكي الذي يكون آخر الداء، ولو نظروا في النصوص الشريفة، وفي تجارب التاريخ، وحقائق الواقع لما ارتضوا لأنفسهم ولغيرهم إلا ما ارتضاه الله لهم: «يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا». أفلا نستجيب؟ ■

يحرص الاسلام على تحقيق العدالة ورفع الظلم عن كل الناس بما في ذلك مخالفيه

(الحضارة) في الخطاب العلماني العربي

بقلم : محمود سلطان

في كتاب «الثقافة البدائية» الصادر عام ١٨٧١م استعمل (تايلور) (E.B.Tylor)، مفهوم (الثقافة) كمرادف للحضارة إذ يقول في مطلع كتابه (إن الثقافة، هي هذا المجموع المتشعب الذي يضم المعارف والمعتقدات، والفن والقانون، والاخلاق والتقاليد وجميع الامكانات والعادات الاخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معين).

ولقد اجمع علماء الاجتماع والانتروبولوجيا، على اعتماد رأي (تايلور)، إذ كانوا يستخدمون اصطلاح (ثقافة) بمعنى حضارة، ويعتبرون الاثنين (ثقافة وحضارة) من الممكن ان يحل احدهما محل الآخر. وهناك ثمة آراء، واجتهادات لإرساء التمايز بين مفهومي (الحضارة)، و(المدنية) إذ استقر الرأي على أن الأولى تعبر عن (مضامين روحية) بينما الثانية تتضمن (محتوى ماديا) وربما تشير ـ من وجهة نظر علماء الاجتماع الاشتراكيين ـ إلى منجزات المجتمع في ميدان التطور السياسي والحقوقي. وتقاس الحضارة عند الدكتور (حسين مؤنس) (بحسب ماتقدمه للإنسان من أمان واطمئنان وكفاية وتفاهم وتعاون ومحبة). أي انه ليس بالضرورة أن يفرز مجتمع متقدم (ماديا) (حضارة) تفي بحاجات بنيه، ربما تمنحهم الاحساس (باللذة الحسية)، ولكنها تفتقر إلى منظومة القيم التي تشعرهم بالامان. فالمجتمع العربي المسلم، ربما يعتبر متخلفاً، إذا ماتم النظر اليه بمعايير (التقدم المادي) ولكن إلتزام ابنائه (بالزكاة) مثلاً أو بالهدي النبوي الشريف «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» يعد اكثر تحضراً من نظيره الغربي، المتقدم عنه مادياً، والذي يستقي قيمه وتقاليده وعلاقاته من (تجميد الفردية) التي جعلت الإنسان ـ كما وضح ذلك (هوبز) ـ (ذئباً لأخيه الإنسان).

ثمة تباين بين مفهومي حضارة (ثقافة)، ومدنية (تقدم مادي)

نريد ان نقول ان ثمة تباين بين مفهومي حضارة (ثقافة)، ومدنية (تقدم مادي) وان النظر إليهما، وكأنهما مرادفان لمعنى واحد، يفضي إلى الانزلاق في مأزق (التبعية) الكاملة للطرف الاكثر تقدما (وليس للأكثر تحضراً) إذ أن (المغلوب) كما يقول ابن خلدون (يتشبه ابداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها واشكالها، بل وفي سائر أحواله) يقول ابن خلدون(السبب في ذلك أن النفس تعتقد الكمال في من غلبها).

والمثقف العلماني العربي، يقع في مأزق هذا الخلط بين هذين المفهومين ولاسيما عند تأطير شكل العلاقة بين (الأنا) العربية، والآخر (الغربي) ويتجلى ذلك عندما يستشار حول هذه الاشكالية التي لم ينفض الجدل بشأنها، منذ بدايات القرن الحالي، وإلى الآن، وهي (ماذا يؤخذ

الحضارة منهج هداية يضبط علاقة الإنسان

من الغرب المتقدم،وماذا يريد؟).واجابة المثقفين العرب — الذين يراهنون على (الانموذج) الغربي للتحديث، على هذا السؤال — تكاد تكون واحدة، وسجل اجماعهم على انه (يؤخذ كل ماتنتجه اوروبا، ولايرد منه شيء)، أي نقل (الآلة) بجانب (الثقافة) أو (مجموعة القيم السائدة، والتي تطورت الآلة في كنفها!!) ويعبر (طه حسين) عن هذا المنحى في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) بقوله (علينا ان نصبح اوروبيين في كل شيءقابلين مافي ذلك من حسنات وسيئات).

فالبرغم من ان (التقدم المادي) ليس هو (الحضارة) على نحو ماأشرنا إليه، فإنه لايزال ينظر إلى أن (النهضة) تعني نقل الحضارة (الثقافة)التي حدث هذا التقدم في اطارها، وقسر الواقع العربي، وجلده إلى ان ينصاع لها أملاً في إحداث (ثورة) صناعية توازي تلك التي ينعم الاوروبيون بها!!بل ان الأمر تطور الى اخطر من ذلك، إذ حلت (قيم) الغرب محل المعيار الرباني الخالد (القرآن والسنة)في قياس القيم السائدة في المجتمع، وماينفع المسلم، ومايضره!!إذ قاس قاسم أمين، قيمة حضارية اسلامية (الحجاب) بمعايير (حضارة) الغرب لانه الطرف الاكثر تقدماً مادياً، حين يقول (هل يظن المصريون.. أن اولئك القوم (يقصد الاوروبيون) بعد ان بلغوا من كمال العقل، والشعور مبلغاً مكنهم من اكتشاف قوة البخار، والكهرباء،يتركون الحجاب بعد تمكنه عندهم، لو رأوا فيه خيراً؟كلا!).

وقاسم أمين، ليس استثناء، إذ أن رواد مايسمى (بحركة النهضة الحديثة) اعتقدوا جميعاً بان (الحضارة) هي وليدة عبادة (العلم)،او ان يحل (العقل) محل (الله)!!ولعلنا نذكر عودة (شبلي شميل) الى تعويض الدين بالعلم وبالاخص العلم الطبيعي (الالحادي) وهكذا ذهب أقرانه من دعاة (الظلامية) والمتخذين من (التنوير) واجهة للتخريب الفكري والعقلي الذي مارسوه باسم (الاستنارة) و(التحديث) بينما الحضارة — وكما اجمع على ذلك خبراؤها — هي مرادف آخر لتشكيلة من القيم الاخلاقية المنبثقة من أسس دينية (إما من نبوة أو من دعوة حق)كما يقول ابن خلدون.وعليه فإن (التحضر) يعني (التدين)،لأن المتدين تضبط علاقاته بالمجتمع، والكون والعالم (مبدأ) أخلاقي معين،بينما من يتحرر من سلطة القيم والمثل والاخلاق، يعطي لنفسه الحق كل الحق في الحصول على ماينبغي، ولو كان على حساب الآخرين، ولنا أن نتوقع مايمكن ان يحدث لو ان المجتمع يشكله مثل هذا (الانموذج) الوحشي من البشر، ان النتيجة التي لايمكن تحاشيها — كما يقول هوبز— هي (حرب الجميع ضد الجميع).

والغريب هنا أن (هيغل) صاحب فلسفة (صراع التناقضات) التي تمخض عنها النمط السياسي القائم على (عبادة الدولة) يشهد (بتحضر) الرجل (المتدين) فهو يعتبر أن (الدولة تمثل الوحدة بين الذاتية والموضوعية كما انها تمثل نشاط الافراد،وتعبرعن إرادة الروح، وهي محور النشاط الفكري من فلسفة وفن وعلم وقانون وأخلاق، ويمثل الدين — بين مظاهر النشاط الإنساني — اسماها واكملها، إذ ان الدين يدعو إلى نبذ الاهواء الشخصية، وتجاوز نطاق الفرد، وبذلك فإن الدين اقرب صور النشاط تحقيقاً لاهداف الدولة، وان المتدينين هم اكثر الناس استعداداً لاداء الواجب).

فالتحضر أو الحضارة — اذن — ليست (الآلة) او (المصنع) أو التعري والسفور، أو تقليد الغرب، ولكنها منهج هداية يضبط علاقة الإنسان بمحيطه الاجتماعي، والمادي ايضا، وان غياب هذا المنهج يعني: الاستباحة والتحلل الاخلاقي، والتفسخ الاجتماعي يعني:(التخلف) بمعناه الشامل ■

مركز البحوث والدراسات الكويتية دافع عن الكويت في الحرب والسلم

مركز البحوث والدراسات الكويتية صرح من صروح الكويت الراسخة الذي دافع عنها في وقت الحرب وايضا في وقت السلم وذلك من خلال الكلمة الصادقة والحجة الراسخة المبنية على أساس تاريخي ووثائقي لدحض الافتراءات العراقية على شعب مسلم مسالم مد له يد العون في أحلك الظروف، ولكن رد الجميل لدى النظام العراقي له أوجه أخرى إذ تمثل في غزوه للكويت في الثاني من أغسطس من عام ١٩٩٠.

وكانت فترة الغزو كفيلة بأن تكون هناك جهة تقوم بالرد على الادعاءات العراقية فتكونت لجنتان للقيام بهذه المهمة احداهما في الطائف والأخرى في القاهرة وقامت هاتان اللجنتان بدحض الافتراءات العراقية التي تطالب بحقها في ضم الكويت اليها ،فجاء كتاب(الكويت وجوداً وحدوداً) وبعد التحرير تم تأسيس المركز الكويتي للبحوث والدراسات وذلك في سبتمبر من عام ١٩٩٢ ثم توالت اصداراته بعد ذلك.

وحول تأسيس المركز ونشاطاته كان لنا هذا الحوار مع الدكتور. عبد الله محارب مستشار المركز الذي سألناه:



● د. عبد الله محارب مستشار المركز

د. عبد الله محارب (مستشار المركز):

الوثائق العراقية تعترف بصمود وشجاعة المقاومة

حوار: أحمد فرغلي

هل لكم أن تشرحوا لنا الظروف التي تم فيها إنشاء المركز ومتى تم تأسيسه؟

– في الثاني من اغسطس ١٩٩٠ امتدت الايدي العراقية الاثيمة لغزو الكويت دون أي أسباب تبرر هذا العدوان الغادر، وبعد انتقال الحكومة الكويتية إلى المملكة العربية السعودية الشقيقة وإقامتها في الطائف ارتأت الحكومة الكويتية بأن تكون هناك لجنة يناط بها جمع الوثائق التاريخية التي تدلل على استقلالية الكويت والرد على الادعاءات العراقية التي تطالب بضم الكويت إليها، وكانت هناك في القاهرة لجنة أخرى مشابهة للجنة الطائف وأصدرت اللجنتان كتاب« الكويت وجوداً وحدوداً» والذي صدر عن مؤسسة الأهرام الصحفية بالقاهرة.

ويعتبر هذا الكتاب اول نتاج المركز قبل تأسيسه. وبعد التحرير ترك الجنود العراقيون وقادتهم كما هائلا من الوثائق وكان لابد من تصنيف هذه الوثائق ودراستها لانها تحمل الكثير من الموضوعات الهامة التي تدين الغزو. وفي اغسطس ١٩٩٢ ضمت اللجنتان لجنة الطائف ولجنة القاهرة لتكونا نواة للمركز والذي سمي باسم (مركز البحوث والدراسات الكويتية).

إذن ماهي أهداف المركز وماهو نظامه الهيكلي الوظيفي؟

— من أهداف المركز جمع الوثائق الخاصة بتاريخ الكويت وأيضا الوثائق الخاصة بالغزو العراقي والتي تركها العدو خلفه بعد التحرير.

– كما يهتم المركز بكل مايتعلق بتاريخ الكويت وشؤونها السياسية والاجتماعية.

أما عن الهيكل الوظيفي وأقسام المركز فهي كالتالي:

يرأس المركز الدكتور. عبد الله يوسف الغنيم وللمركز ثلاثة مستشارين هم

– د. عبد الله محارب.

– د. يعقوب الحجي.

– د. يوسف عبد المعطي.

ويضم المركز مجموعة من الأعضاء يمثلون قطاعات مختلفة مثل:

– جامعة الكويت

– معهد الكويت للأبحاث العلمية.

– موسسة الكويت للتقدم العلمي.

— المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

– منظمة اليونسكو.

كل هذه المؤسسات الوطنية تُمثّل في

في الثاني من اغسطس ١٩٩٠ امتدت الايدي العراقية الاثيمة لغزو الكويت دون أي أسباب تبرر هذا العدوان الغادر

مجلس إدارة مركز البحوث والدراسات الكويتية.

كما أن هناك لجنة تنفيذية منبثقة من هذا المجلس تقوم بدراسة المشاريع واجازتها.

وهناك أيضاً فرق عمل تشرف على تنفيذ المشاريع وكل مشروع له فريق عمل من المتخصصين يمثلون الهيئات العلمية التي ذكرتها ثم تنتهي علاقتهم بانتهاء العمل في المشروع.

الأرشيف الآلي

ونظراً لحاجة المركز إلى جمع وتصنيف المعلومات والوثائق فقد ضم المركز قسم الأرشيف الآلي فمن خلاله تصنف الوثائق وتحلل على (الكمبيوتر) ولدينا حالياً مشروع (سجل التحدي) والذي يستهدف توثيق الحياة اليومية وحوادثها للمواطنين أثناء الاحتلال العراقي، وقد تم توزيع السجل على ٥٠ ألف مواطن ممن كانوا في الكويت اثناء فترة الاحتلال وتم تسجيل افادتهم المتعلقة بما مر به الفرد من احداث تتصل بالجوانب المختلفة التي شملها السجل: صورة المشاركة في العصيان المدني، الاعتقال، التعذيب، الملاحقة المقاومة المسلحة ،ولدينا حالياً مايقرب من ١٧٦ وثيقة عراقية عن المقاومة الكويتية وهي برواية العراقيين أنفسهم تكشف عن مدى صمود المقاومة وهذه اعترافات نعتز بها عن المقاومة الكويتية اثناء الاحتلال وهذا يذكرني بقول الشاعر:

والفضل ماشهدت به الاعداء

ويجري حالياً تحليل البيانات وإعداد التقرير الختامي الخاص بمشروع سجل التحدي.

ويضم المركز مكتبة كبيرة تضم المئات من المراجع والكتب الهامة والتي يرجع اليها الباحثون عند كتابة بحوثهم.

كتابات مغرضة

هناك بعض الكتابات المغرضة تحاول النيل من الكويت فما موقف المركز من هذه الكتابات وكيف أمكن التصدي لها؟

- نعم..هناك بعض الكتابات المغرضة والتي تأخذ بوجهة النظر العراقية، والكل يعرف مدى افتراءات وادعاءات النظام العراقي التي يسعى دائما لترويجها وللأسف تجد هذه الادعاءات من يروج لها ،ولعل هذا كان واضحاً في كتاب محمد حسنين هيكل (حرب الخليج وأوهام القوة والنصر) وقام المركز بالرد على كتاب هيكل من خلال كتابين:



● مكتبة المركز

الأول: (الطغيان والانتحار القومي) للدكتور .عبد الرحمن شاكر.

والثاني:(زيارة لبيت العنكبوت) للدكتور. عبد الله محارب

كما توصلنا إلى ان هناك تناقضاً في كتاب محمد حسنين هيكل بين النسختين العربية والانجليزية.

أيضاً الكتاب الذي ينشر على صدر صفحات احدى الصحف الكويتية وهو (حرب تلد آخرى) لسعد البزاز به الكثير من الافتراءات ولكن قام المركز بالرد عليها من خلال كتاب (عدوان على العقل) وجاءت ردوده موضوعية بعيدة عن الانفعال والزيف الاعلامي الذي يتبعه النظام العراقي وأبواقه الإعلامية. ولنضرب مثالاً على هذه الادعاءات المزيفة، فبعد ترسيم الحدود بين الكويت والعراق من قبل المنظمة الدولية أرسل مجلس الشعب العراقي احتجاجاً إلى المنظمة الدولية يرفض فيه هذا التقسيم بحجة ان العراق مغلقة بحرياً وليس لها منفذ على الخليج ودحضا لهذه الاكذوبة قام المركز بالاتفاق مع شركة(سبوت ايمج) الفرنسية لتصوير الموانىء العراقية بالأقمار الصناعية لحساب المركز وتم تصويرها عام ١٩٩٤ وصدر كتاب موثق عن هذه الموانىء واتضح من خلال جميع الوثائق ان للعراق ٦ موانئ منها ثلاثة تجارية وثلاثة نفطية وان لها واجهة على البحر مباشرة امتدادها ٧٠ كيلومتر على الخليج كما ان لها ممرات مائية لاقامة موانىء عليها من ضمنها قناة البصرة التي انشأها العراق اثناء حربه مع ايران . وتفيد المعلومات التي لدينا انها اعمق من قناة السويس وهذا يجعل الواجهة العراقية البحرية تصل الى ٢٣٥ كيلومتر وصدر بذلك كتاب باسم(موانيء البحرية العراقية) بالتعاون مع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وخبراء من معهد الكويت للابحاث العلمية.

محاكمة مجرمي الحرب

بمناسبة الذكرى الخامسة للغزو العراقي الغاشم على الكويت ماذا أعد المركز لهذه المناسبة؟

- تم إصدار كتاب جديد بعنوان (مجرمو الحرب العراقيون وجرائمهم خلال الاحتلال العراقي للكويت).

وهو من إعداد العقيد حقوقي حسين عيسى مال الله ويتضمن هذا الكتاب أبرز جرائم النظام العراقي ضد دولة الكويت، وبيان أحكام القانون الدولي في هذه الجرائم بعد تحريرها من واقع الوثائق العراقية التي خلفتها قوات الاحتلال بعد

سجل التحدي يستهدف توثيق الحياة اليومية وحوادثها للمواطنين أثناء الاحتلال العراقي

بمناسبة الذكرى الخامسة للغزو..

مشروع لمحاكمة مجرمي الحرب العراقيين

تدريس ملخصات البحوث لطلاب التربية

مشروع شهادات من أقبية السجون العراقية يقدم الأدلة على ماقام به العراق اثناء الغزو

فرارها من الكويت منهزمة أمام قوات التحالف الدولي في حرب تحرير الكويت. ويمثل هذا الكتاب دعوة موجهة إلى دول العالم والمنظمات الدولية لاتخاذ إجراءات قانونية نحو محاكمة مجرمي الحرب العراقيين الذين ارتكبوا أبشع الجرائم المادية والمعنوية، ليس فقط ضد الكويت الآمنة وشعبها المسالم. بل ـ أعتبره ـ ضد مستقبل الأمة العربية ومقدرات الأمة الإسلامية والمجتمع الدولي.

وفي نفس الوقت تطالب هذه الدراسة ـ دول العالم والمنظمات الدولية خصوصا وأن الأمم المتحدة تحتفل هذه الأيام بمرور خمسين عاماً على انشائها تطالب كل هؤلاء أن يقتصوا من الذين ارتكبوا أبشع الجرائم في حق الإنسانية تحت شعارات وادعاءات زائفة.

أقبية السجون العراقية

هناك مشروع آخر وهو (مشروع شهادات من أقبية السجون العراقية) ويهدف هذا الاصدار إلى تقديم الأدلة على ماقام به العراق من اختطاف أبناء الكويت والاحتفاظ بهم أسرى. وأيضاً الأساليب التي يعذب بها هؤلاء الأسرى، وتتضمن هذه الدراسة شهادات لعدد ممن ضمتهم السجون العراقية ومنهم الصحفي المشهور (بوب سايمون) صاحب كتاب (٤٠ يوماً في السجن) وشهادة الدكتورة العراقية(ليلى) التي صدر عنها كتاب (القسوة) وشهادة عزيزة المفرج في كتاب «زنزانة رقم ٦٠» وكذلك مانشر عن أسرار القبندي والنساء اللاتي كن مسجونات معها مما ورد في كتاب (أسرار الكويت) لنورية السداني.

مجرمو الحرب العراقيون وجرائمهم

خلال الاحتلال العراقي للكويت

إعداد

العقيد حقوقي

حسين عيسى مال الله

مركز البحوث والدراسات الكويتية

الكويت ١٩٩٥م

● آخر كتب المركز بمناسبة الذكرى الخامسة للغزو

إشعال آبار النفط

أيضا هناك مشروع توثيق قيام النظام العراقي بإشعال آبار النفط وتم جمع الوثائق التي تبرهن على ان النظام العراقي تعمد إشعال آبار النفط منذ اول يوم لاحتلاله الكويت .

يتضح من خلال هذا اللقاء أن كل أو معظم إصدارات المركز ذات صلة بالغزو العراقي للكويت..

فماذا قدم المركز في المجالات الأخرى كالتنمية والتربية وغير ذلك؟

ـ أعد المركز كتابا بعنوان« الكويت والتنمية الاجتماعية» وصدر هذا الكتاب باللغتين الانجليزية والفرنسية إلى جانب العربية. وقدمه صاحب السمو أمير البلاد في مؤتمر (كوبنهاجن) وتم جمع معلوماته من وزارات مختلفة وجاء بأسلوب البحث العلمي وبعيداً عن الأسلوب الادعائي.

ـ هناك ايضا مشروع توثيق النشاط البحري الكويتي ويهدف إلى إبراز الدور الكويتي المتميز في السفر والغوص والعلاقات التجارية والنشاط البحري ويأتي هذا المشروع بالتعاون مع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، وتم شراء البوم «فتح الخير» والذي بنى عام ١٩٣٨ وعمل أكثر من ٥٠ عاماً في نقل البضائع والسفر. والعجيب ان هذا البوم عثر عليه د. يعقوب الحجي بالصدفة مملوكا لاحد القباطنة الايرانيين في دبي وتم التعرف عليه وشراؤه. والغريب ايضا ان الرجل الذي صنعه والنوخذة الذي قاده لايزالان على قيد الحياة. ويجري الآن تحويله إلى متحف بحري.

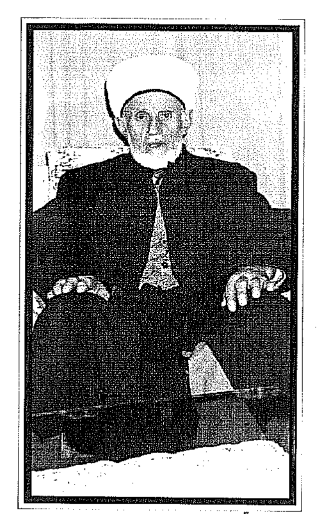
– هل هناك نية لتدريس إصدارات المركز لطلاب المدارس؟

ـ نعم لقد أعددنا مشروعاً مشتركا مع وزارة التربية يهدف إلى تأصيل المفاهيم والجهود التي تنمي الاعتزاز والولاء العميق للوطن. واتفقنا مع وزارة التربية لعمل ملخصات مدرسية تبث في المناهج التي تدرس لطلاب التربية للاستفادة منها.■

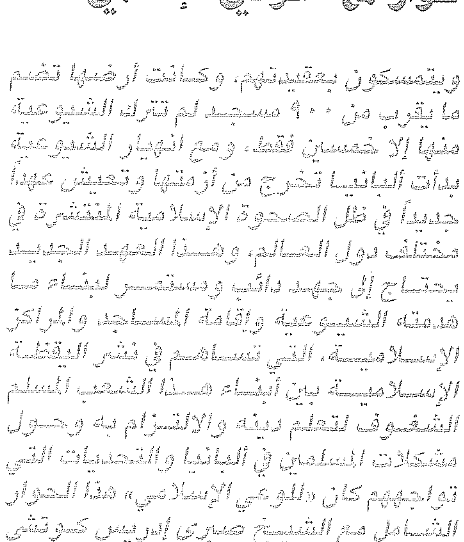


● مركز الأرشيف الآلي

الشيخ صبري كوتشي رئيس المشيخة الإسلامية والمفتي العام لألبانيا في حوار مع «الوعي الإسلامي»:



لا شك أن ألبانيا وهي أول دولة إسلامية في أوروبا قد ذاقت في ظل العهد الشيوعي البغيض صنوف الظلم والاضطهاد ومصادرة الحريات والعقائد، حيث عمد الشيوعيون إلى محاربة الإسلام وهدم المساجد وإغلاق أبوابها، واعتقال العلماء وسجنهم وإحراق المصاحف والكتب الدينية، وفرض العزلة الكاملة على الشعب الألباني المسلم خاصة عن العالم الإسلامي، حتى أصبح هذا الشعب الذي يمثل أغلبية السكان لايعرف عن دينه إلا ما يسمعه الأبناء من الآباء والأجداد وقبل دخول الشيوعية إليها وسيطرتها على مقاليد الأمور هناك كانت ألبانيا من أطيب الدول، وكان جميع أهلها يدينون بالإسلام



ويتمسكون بعقيدتهم، وكانت أرضها تضم ما يقرب من ٩٠٠ مسجد لم تترك الشيوعية منها إلا خمسين فقط. ومع انهيار الشيوعية بدأت ألبانيا تخرج من أزمتها وتعيش عهداً جديداً في ظل الصحوة الإسلامية المنتشرة في مختلف دول العالم، وهذا العهد الجديد يحتاج إلى جهد دائب ومستمر لبناء ما هدمته الشيوعية وإقامة المساجد والمراكز الإسلامية، التي تساهم في نشر اليقظة الإسلامية بين أبناء هذا الشعب المسلم الشغوف لتعلم دينه والالتزام به وحول مشكلات المسلمين في ألبانيا والتحديات التي تواجههم كان «للوعي الإسلامي» هذا الحوار الشامل مع الشيخ صبري إدريس كوتشي رئيس المشيخة الإسلامية والمفتي العام بألبانيا:

وضعت الكنيسة برنامجاً منظماً لتنصير مسلمي ألبانيا

● انهيار الشيوعية — التي سيطرت على ألبانيا وغيرها من دول أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي — كان له أثر طيب على المسلمين، فما هي معالم هذا العهد الجديد في ألبانيا؟

●● لا شك أن الشعب الألباني المسلم — الذي يمثل أغلبية السكان حيث تبلغ نسبته ٨٥٪ من عددهم — قد عاش ظروفاً قاسية لا مثيل لها في التاريخ، فالحزب الشيوعي فرض العزلة الكاملة على ألبانيا، حتى أصبحت من أفقر شعوب العالم، ومارس صنوف الاضطهاد والتعذيب والكبت والحرمان ضد المسلمين، وقام بهدم المساجد وسجن العلماء ويكفي أن نعلم أنه كان في ألبانيا في بداية القرن العشرين ما يقرب من ٩٠٠ مسجد فانخفض هذا العدد إلى خمسين مسجداً فقط.

أجرى الحوار:
أحمد أبوزيد

ومع انهيار الشيوعية شاء الله أن تتغير الأمور في البلدان الشيوعية وقد كان لهذا التغيير أثر طيب على المسلمين حيث ولدت الروح الإسلامية من جديد والتي كانت حية في قلوب الناس وبدأنا الطريق من جديد لبناء ألبانيا المسلمة ونشر الوعي الديني، ولكن هناك عقبات كثيرة تواجهنا وتعوق مسيرتنا الإسلامية فالشيوعية من قبل هدمت كل شيء وأزالت كل ما هو إسلامي من مساجد ومراكز حتى أصبحت ألبانيا خالية من المراكز الإسلامية والمدارس والمساجد، ولابد من بناء كل ما تهدم لمواكبة الصحوة الإسلامية التي انتشرت في البلاد.

نقص العلماء والدعاة

● وما هي أهم المشكلات التي يواجهها الشعب الألباني المسلم في هذه الفترة؟

●● أهم المشكلات التي تواجه الشعب الألباني المسلم نقص عدد العلماء والدعاة المؤهلين الذين يحتاج إليهم الشباب للتعريف بالإسلام والثقافة الإسلامية، فالشباب الألباني يحب الإسلام ولديهم لهفة شديدة للتفقه فيه ومعرفة أحكامه وتعاليمه ولكنهم لايجدون من يعلمهم أو يدعوهم، فنحن الآن في أشد الحاجة إلى الدعاة والأئمة والكتب الإسلامية لكي نرفع من جديد قواعد البنيان الإسلامي في بلادنا التي كانت في الماضي

لاشك أن القائم حالياً من المساجد والمراكز الإسلامية لايكفي لسد حاجة الشعب الألباني المسلم

قلعة الإسلام في شبه جزيرة البلقان وعلى مدى خمسة قرون.

الفقر والبطالة

وبعد نقص العلماء والدعاة يعاني الشعب الألباني المسلم من الفقر الشديد وضعف الإمكانات والبطالة التي انتشرت بين الشباب فهناك أيد عاملة شابة في ألبانيا لا تجد من يستغلها وينقذها من مخاطر التنصير التي تتعرض لها بسبب الفقر والبطالة، فهؤلاء الشباب يتعرضون لضغوط كبيرة من أجل العمل في اليونان وإيطاليا حيث تفرض عليهم السلطات ــ هناك ــ شرطين أساسيين للعمل الأول: تبديل أسمائهم الإسلامية، والثاني: تعليق الصليب في أعناقهم حيث لايمكن لهم أن يحصلوا على فرص عمل دون الالتزام بهذين الشرطين.

ولذلك فإني أدعو أصحاب رؤوس الأموال من المسلمين أن يمدوا يد العون والمساعدة لألبانيا حتى تواجه هذه المخاطر التي تتعرض لها.

الغزو الصليبي لألبانيا

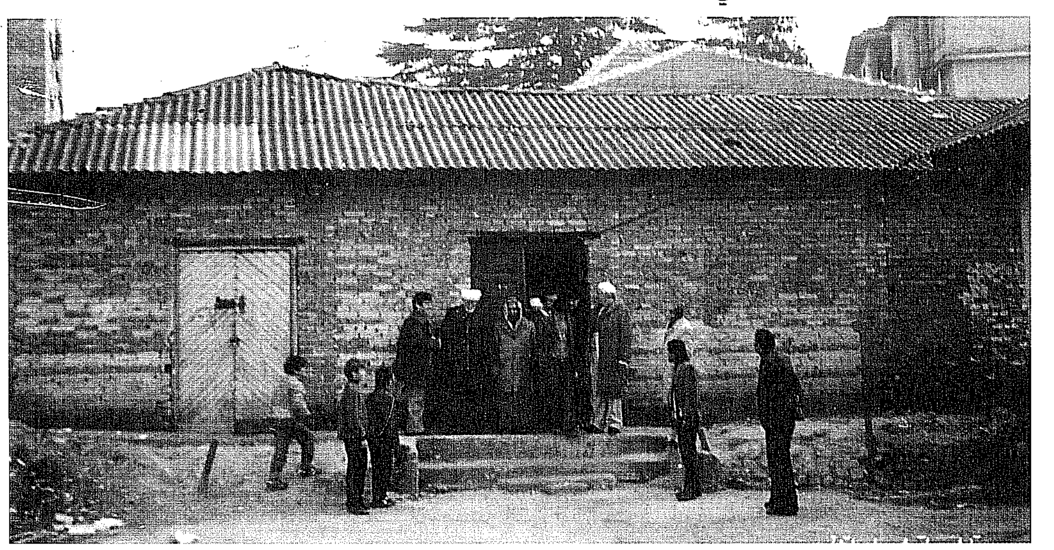
● ألبانيا من الدول التي تعرضت ومازالت تتعرض لغزو تنصيري واسع يستهدف ضرب الهوية الإسلامية لأبناء هذا الشعب. فما رأيكم في هذا الغزو ووضعه الحالي؟

●● المخطط التنصيري في ألبانيا ظاهر وواضح ويدعمه الشيوعيون لاتفاقهم جميعاً في هدف واحد وهو محاربة الإسلام، فالكفر كله ملة واحدة ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ ولقد بدأت جهات غير إسلامية تغازل أبناء ألبانيا في ظل العهد الجديد وبعد انهيار الشيوعية دخلت منظمات التنصير وهيئاته إلى البلاد مستغلة الظروف الاقتصادية الصعبة التي يعيشها الشعب الألباني، ووضعت هذه المنظمات برنامجاً منظماً للتنصير يعمل على كل الاتجاهات سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو إعلامية أو ثقافية.

وهذا البرنامج المنظم ليس هو الأول من نوعه لتنصير المسلمين في ألبانيا فمنذ العهد الشيوعي البغيض وضعت الكنيسة برنامجاً للتنصير ولقى هذا البرنامج رواجاً في ظل الحصار



المخطط التنصيري في ألبانيا ظاهر وواضح ويدعمه الشيوعيون لاتفاقهم جميعاً في هدف واحد وهو محاربة الإسلام



الـذي فرضتـه الشيوعيـة على الإسلام والمسلمين.

ولكن في ظل الـوضـع الجديد الـذي تسـوده الحريـة بـدأت الـدعوة الإسـلاميـة تنشط في ألبانيا في مواجهة هذه الدعوات الهدامة والمخططات المسمومة، وبـدأنا كعلماء ودعـاة نـدعـو المسلمين إلى اليقظـة ضد هـذه التيارات وإلى التمسك بـدينهم وعقيدتهم.

١٥٠ مسجداً وجمعية

● وهل تكفـي المراكـز الإسلاميـة والمساجد القـائمة حاليـاً في ألبانيـا لمواجهة هـذا المخطط التنصيري ونشر الوعي الديني؟

●● لاشك أن القائم حـاليـاً من المساجد والمراكز الإسلامية لايكفي لسـد حـاجـة الشعب الألباني المسلم وإلى تعلم دينه والتفقه فيـه، فعدد المسلمين في ألبانيـا حاليـاً مليـونان ومـائتا ألف مسلم، في حين يبلغ عـدد المساجد والجمعيات الإسلامية مـائة وخمسـون مسجـداً وجمعيـة إسلامية تم بناؤهـا حـديثـاً بمسـاعـدة بعض المؤسسـات الخيريـة والمجلس الأعلى العـالمي للمسـاجد، ولا يوجد إلا مركـز إسلامي واحد هو المشيخة الإسـلامية والتي قـامت بفتـح عشر مـدارس ثـانـويـة في عشر مقـاطعـات بألبـانيا لتعليم القرآن الكـريم والعلـوم الـدينيـة والثقـافـة الإسـلاميـة، وهـذه المسـاجـد والجمعيـات والمراكـز لاتكفي لمواكبـة الصحوة الإسـلاميـة التي يعيشها الشعب الألباني.

٢٠ عاماً في السجن

● تعـرضتم لـلاضطهـاد والتعذيب والسجن لمدة عشرين عاماً في عهد الشيوعية، فما هي ذكـرياتكم عـن هذه المدة ومـا فيها من مآس؟

●● لقـد اضطهـدت الشيـوعيـة الكثير من العلماء، وقامت بسجنهـم وكنت واحداً من هـؤلاء حيـث قضيت في السجن أكثر من عشرين عـامـاً وذقت صنـوف التعـذيب والاضطهاد، وتهمتنا الـوحيدة أننا مسلمون نجهـر بإسلامنا وندعـو الناس إليه، فقد كـانوا يمنعوننا من المجاهرة بالإسلام أو ممارسـة شعائرنـا الدينيـة عـلانيـة، وواجهنـا محـاولات مستميتـة لإثنـاء المسلمين عن دينهم ومن لايقبل أو يعارض - ولو بالكلام - يلقى من أساليب البطش والتعذيب شيئاً كبيراً.

وكانوا يهدفون من وراء ذلك أن ينشأ جيل جـديد ليست لـه عـلاقـة بـالـدين وبعيـد عن أخلاقيات هـذا الدين الحنيف، ومن هنـا تـزايد حـرصنـا على الدين والجهـاد في سبيله لإنقاذ أبنـائنـا من المد الشيـوعي، وأساليبنا في ذلك كـانت الدعوة إلى الله والترغيب في دينه.

ولقد كنت أخطب في تجمعات النـاس وما بقي مـن مساجـد وواجهت في سبيـل ذلك مـا واجهتـه مـن عـذاب، وصبرت وتحملت وتلقيت العـديـد من التهم، وألقيت في السجون أكثر من مرة وكنت أخرج من السجن شديد العزم على مواصلة الدعوة والجهـاد ومقاومـة الشيوعيـة، وفي المرة الأخيرة قضيت أكثـر من عشرين عـامـاً وكانـت هناك سجـون مخصصـة للمسلمين يقـوم عليهـا مجرمـون غـلاظ القلوب وعديمو الإنسانية.

النظام الحاكم علماني

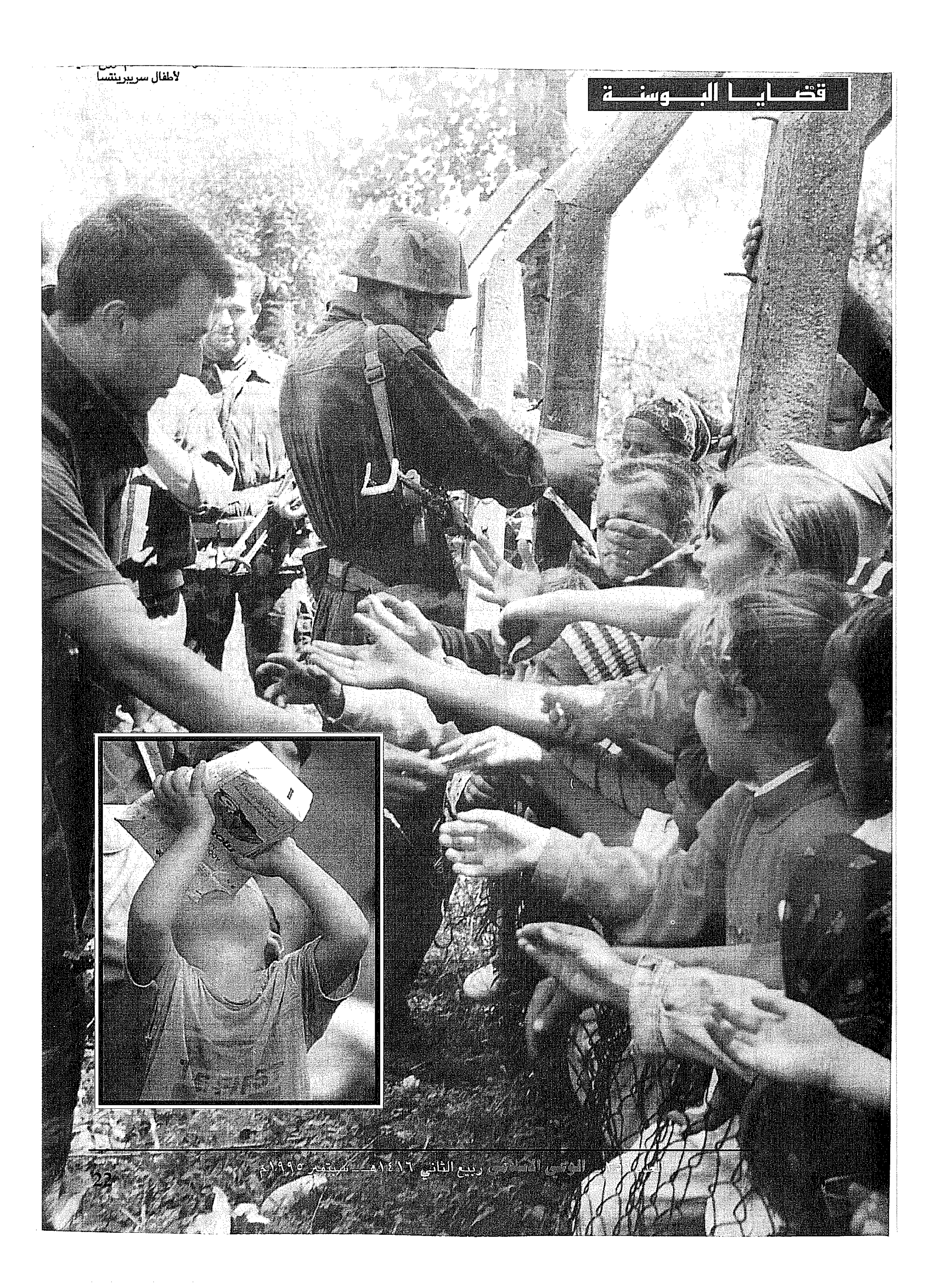
● وما رأيكم في النظام الحاكم حـالياً في ألبـانيـا وموقفـه من الإسلام؟

●● الحكـومـة الحاليـة في ألبـانيـا كلهـا مسلمـة، ولكن - للأسـف الشديـد - أعضـاؤهـا يعتنقـون المذهب الشيـوعي ويأخـذون بـالنظـام العلماني البعيـد كل البعد عن الإسـلام، والقوانين التي تحكم ألبانيا هي القوانين الماركسية، فليس هناك قوانين إسـلامية إلا في الأحـوال الشخصيـة، وهـذا الـوضـع من رواسب الشيـوعيـة البغيضـة التي حكمت ألبـانيـا سنـوات طـويلـة وسـاقتهـا بـالحديـد والنار■



اضطهدت الشيوعية الكثير من العلماء، وقامت بسجنهم وكنت واحداً من هؤلاء حيث قضيت في السجن أكثر من عشرين عاماً

لأطفال سريبرينتسا





أحداث البوسنة بالصور والمواقف والأرقام

اعداد :تمام أحمد

التصعيد الصربي الأخير للقتال في البوسنة والهجمات الصربية الوحشية على المدن البوسنية وسقوط بعض الملاذات الأمنة مثل سربرنيتشا وزيبا ومارافق هذا السقوط من جرائم وحشية يندى لها جبين الإنسانية حيث القتل والاغتصاب والتهجير والتشريد، والتطهير العرقي فيما تقف معظم دول العالم ومؤسساته متفرجة على اكبر مذابح تجرى في هذا القرن..نقول: في أتون هذه المآسي قامت الوعي الإسلامي برصد كافة المواقف الرسمية والشعبية في شتى ارجاء العالم سواء على المستوى العربي اوالإسلامي اوالعالمي لتكون شاهداً امام الله وامام التاريخ والاجيال القادمة، فالتاريخ لن يرحم وسيسجل بأحرف من نور مقرونة بالاكبار والاجلال كل المواقف المشرفة المضيئة التي ظهرت من خلال الازمة، كما سيذكر بحروف مجللة بالسواد كل المواقف الشائنة السلبية التي لاذت بالصمت او اكتفت بالتصريحات الغاضبة لذر الرماد في العيون، او وقفت ممالئة ومساندة للعدو والمعتدين.

أقامة مخيم اغاثي كويتي بالتنسيق مع حكومة البوسنة والهرسك لتوفير الرعاية الطبية ومستلزمات المعيشة الاساسية

شجبت الحكومة ومجلس الأمة العدوان الصربي على مسلمي البوسنة وطالبوا المجتمع الدولي بوقف المجازر ومحاكمة مرتكبيها كما دعا مجلس الأمة مجلس الامن الدولي لرفع حظر السلاح عن جمهورية البوسنة والهرسك، وقد تبرعت الحكومة بمبلغ عشرة ملايين دينار لصالح مسلمي البوسنة بينما بادرت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وبيت الزكاة بدعوة اعضاء اللجنة الكويتية المشتركة للاغاثة لاجتماع طارىء للاسهام في تقديم العون والدعم اللازمين للمهجرين من الشعب البوسني باسم الكويت، وذلك في اطار التحرك الرسمي والشعبي، وقد حضر الاجتماع سفير البوسنة والهرسك د. نعيم كاديتش، الذي قام بدوره بشرح الوضع المأساوي للمهجرين من النساء والاطفال والشيوخ.

وفي نهاية الاجتماع اقر الحضور التوصيات التالية:

- أقامة مخيم اغاثي كويتي بالتنسيق مع حكومة البوسنة والهرسك لتوفير الرعاية الطبية ومستلزمات المعيشة الاساسية.
- جمع التبرعات لدعم الشعب البوسني.
- استمرار التنسيق على المستويين المحلي والخارجي مع وكالات الاغاثة على مستوى دول مجلس التعاون الخليجي والدول العربية والاسلامية والمنظمات الانسانية العالمية لوضع تصور وخطة العمل في المستقبل.

هذا وقد شهدت الكويت يوم الجمعة ١٩٩٥/٨/٤م مسيرة شعبية كبرى نظمتها مجموعة من الدواوين الكويتية مقابل ابراج الكويت تضامناً مع شعب البوسنة والهرسك والقى عدد من اعضاء مجلس الامة منهم النواب خالد العدوة وعايض علوش ومبارك الخرينج وجمال الكندري كلمات عبروا من خلالها عن تأييدهم لشعب البوسنة وطالبوا المجتمع الدولي بمساعدة البوسنة ورفع حظر التسليح عنها واشاد بيان صدر عن المجتمعين بموقف الكونغرس الأميركي وبتعاطف الشعوب الاوروبية مع المأساة وبالموقف الكويتي والسعودي والإماراتي والماليزي وشجبوا الموقف الروسي والبريطاني وهيئة الامم المتحدة لموقفها المتخاذل تجاه هذه القضية العادلة.

في المملكة العربية السعودية

طالب عاهل المملكة العربية السعودية بمواصلة العمل المشترك لاجبار القوات الصربية على التوقف فوراً عن تنفيذ مخططاتها العدوانية واستهتارها بالشرعية الدولية واكد خلال جلسة مجلس الوزراء السعودي التي عقدت برئاسته يوم ١٩٩٥/٧/٢٤م تقديم الدعم للشعب البوسني رسميا وشعبياً مشيراً الى ان التبرعات السعودية للبوسنة تجاوزت ٨٠٠ مليون ريال سعودي وامر على الفور بتقديم ١٣ مليون دولار لمسلمي البوسنة ودعا زعماء العالم الى تقديم مساعدات مالية وانسانية عاجلة لتخفيف معاناتهم كما وجه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية كلمة لعموم المسلمين طالبهم فيها بمناصرة مسلمي البوسنة ومساعدتهم بالسلاح والمال والدعاء.

وقد لاقت دعوته صدى واسعاً في العالم الإسلامي على المستويين الشعبي والرسمي في هذه الاثناء قال سفير المملكة العربية السعودية في لندن في قصيدة له مخاطباً اهالي سراييفو اذا كنتم مسيحيين لجأ لنجدتكم جيش من القسيسين ولو كنتم يهوداً لسالت دماء الصربيين في الاودية وفي هذا اشارة واضحة لكيفية تعامل الغرب مع الازمة

في دولة الامارات العربية المتحدة

اسفرت حملة تبرع نظمتها وزارة الإعلام والهلال الأحمر يوم ١٩٩٥/٧/٢٨ تحت شعار شعب يعاني وعالم يتفرج في دولة الامارات العربية المتحدة لمساعدة مسلمي البوسنة عن جمع ١٥٧,٩ مليون درهم (٤٣,٨ مليون دولار) كما اعلن التلفاز الرسمي في نهاية هذه المبادرة، وقد انتهت حملة التبرع وبلغت الاموال التي جمعت ثلاثة اضعاف الـ ١٣ مليون دولار التي توقع جمعها المنظمون.

واوضح التلفاز ان وزير الدفاع الشيخ محمد بن راشد المكتوم تبرع وحده بـ٥٥ مليون درهم «١٥,٢ مليون دولار».

وقال التلفاز ان مواطني اتحاد الامارات تبرعوا بالاضافة الى الاموال بالحلي والذهب وتبرعت فتاة من دبي بفرس بلغ سعرها في المزاد العلني ١٩ الف دولار ،وقدم بدوي جملا.

فيماجدد رئيس دولة الامارات العربية المتحدة الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان تأييده لشعب البوسنة وللقرار الذي اتخذه وزراء خارجية ثماني دول اعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي باعلان بطلان حظر السلاح وقال(ان دولة الامارات خاصة ودول الخليج عامة ستكون في مقدمة الاشقاء في العالم العربي والإسلامي لدعم الشعب البوسني منددا بصمت الدول الكبرى ازاء مأساة البوسنة).

في البحرين

أعربت البحرين عن بالغ اسفها للمذابح والتصفية العرقية التي يتعرض لها المسلمون في البوسنة والهرسك وقال بيان صادر من وزارة الخارجية ان(دولة البحرين اذ تستنكر المذابح المستمرة التي يتعرض لها شعب البوسنة لتطالب المجتمع الدولي المبادرة بتفعيل جهوده للوفاء بكافة التزاماته لتطبيق القرارات الصادرة عن

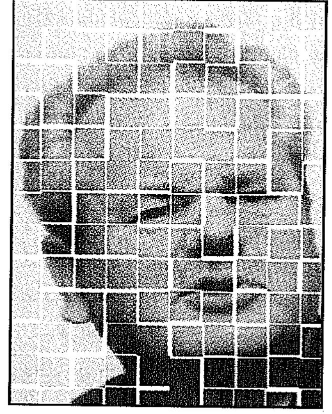


مجلس الأمن الدولي والجمعية العامة للام المتحدة لحماية ارواح الابرياء والعزل.

هذا وقد شهدت البحرين انشطة مكثفة لجمع مواد الاغاثة والمساعدات المادية لمسلمي البوسنة والهرسك ايماناً بمبدأ التكافل والتعاضد بين المسلمين في شتى ارجاء العالم.

في باقي الأقطار العربية

ــ هذا وقد شهدت العديد من الاقطار العربية حملات تبرع واسعة لصالح المسلمين في البوسنة فيما نددت كافة الاقطار العربية بالهجوم الصربي الوحشي على المدن الآمنة وطالبت المنظمات العالمية والدول الكبرى بتأمين الحماية للمسلمين ورفع حظر السلاح المفروض عليهم ليتمكنوا من الدفاع عن انفسهم ففي مصر اعلن عمرو موسى وزير الخارجية ان ارسال الاسلحة الى البوسنة يتوقف على طلب الحكومة البوسنية وحاجتها لها فيما اكد الرئيس حسني مبارك ضرورة رفع



● ميلوسوفيتش

حظر السلاح عن البوسنة حتى يحدث توازن في القوى وحذر من حدوث بؤرة تطرف في اوروبا اذا لم تساهم اوروبا في حل هذه القضية.

ومن المؤسف حقاً أن يصدر ذلك الصوت النشاز عن الرئيس الليبي معمر القذافي حين قال أن البوسنيين ليسوا اصحاب البوسنة ولاحل لمشكلتهم سوى البقاء ضمن الاتحاد اليوغسلافي وهناك نشاز آخر لاوزن له هو صوت النظام العراقي الذي وقف هو الآخر في الصف المعادي للبوسنيين وفتح أبواب بلاده للتعاون الاقتصادي مع الصرب وزودهم بالموارد المالية التي تسهم في ادارة آلة الحرب التي تسحق المسلمين وتبيدهم.

موقف الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي:

طالبت الجامعة العربية على لسان امينها العام د. عصمت عبد المجيد المجتمع الدولي باتخاذ موقف حاسم وحازم ضد المعتدين الصرب الذين يحاصرون ويهاجمون الجيوب المسلمة وانتقدت تقاعس الدول العظمى واكدت ان التاريخ لن ينسى هذه المأساة الإنسانية التي تعد وصمة عار في وجه المجتمع الدولي أما منظمة المؤتمر الإسلامي فقد اصدرت بياناً في ختام اجتماع لها عقدته في جنيف اعتبرت فيه انها لم تعد ملزمة قانوناً باحترام الحظر غير المشروع وغير العادل المفروض على شحن الاسلحة الى البوسنة وطالبت مجلس الأمن بتبرير شرعية الابقاء على الحظر المفروض على البوسنة التي هي ضحية العدوان الصربي

وجه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي عام المملكة العربية السعودية كلمة لعموم المسلمين طالبهم فيها بمناصرة مسلمي البوسنة ومساعدتهم بالسلاح والمال والدعاء

كما اعلنت انها ستكثف جهودها من اجل دعم القدرات الدفاعية للبوسنة استناداً للمادة ٥١ من ميثاق الامم المتحدة ويعتبر هذا القرار خطوة جريئة وشجاعة في هذه المرحلة الدقيقة التي تمر بها ازمة البوسنة وتبقى الخطوة التالية وهي كسر الحظر علناً وتحضير العدة لمرحلة مابعد انسحاب القوات الدولية.

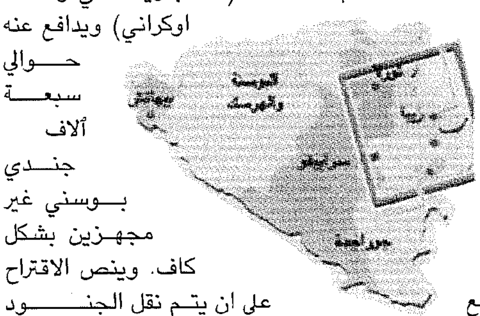
رابطة (الأسيان) تطالب برفع حظر الأسلحة للبوسنة

طالبت رابطة دول جنوب شرق آسيا برفع الحظر المفروض على شحن الاسلحة الى البوسنة التي تتعرض لهجمات المنشقين الصرب.

واعرب وزراء خارجية الدول السبع في هذه الرابطة الذين يعقدون اجتماعهم السنوي في سلطنة بروناي عن (قلقهم العميق لفشل وشلل مهمة الامم المتحدة) في البوسنة.واصدر المجتمعون بيانا خاصا دانوا فيه صرب البوسنة لاستيلائهم مؤخرا على جيبي سربرنيتشا وزيبا المسلمين كما دانو هجومهم على بيهاتش وغورازدي وسراييفو.

ـ في العالم الإسلامي

هزت احداث البوسنة الاخيرة الضمير الإسلامي وجرت ضغوطات كبيرة على الحكومات الإسلامية من اجل اتخاذ مواقف صارمة لتأييد مسلمي البوسنة، ففي تركيا طالب الرئيس (سليمان ديميريل) بتسليح الجيش البوسني ليستطيع بنفسه مواجهة القوات الصربية التي تملك سلاح جيش يوغسلافيا السابقة ومصانعها العسكرية بأكملها. وفي ايران شدد وزير خارجيتها علي اكبر ولايتي على ان للبوسنة الحق مثل اي دولة اخرى في الدفاع عن نفسها وفي امتلاك اسلحة. وفي كوالالمبور في ماليزيا قال رئيس الوزراء مهاتير محمد: إن حظر الاسلحة الذي فرضته الامم المتحدة يتعارض مع سياستها واعلن استعداد حكومته لبيع الأسلحة للبوسنة ووصف التهديدات الغربية بقصف مواقع صرب البوسنة بأنها مجرد اكاذيب وفي الوقت نفسه ابدى الشعب الماليزي تعاطفاً لامثيل له مع اخوانه في البوسنة، وانهالت التبرعات بكافة انواعها بل وصل الأمر الى درجة ان الشباب الماليزي ابدى استعداده للقتال الى جانب اخوانه في العقيدة والذين يسومهم العدو الصربي اصنافاً شتى من القهر والقتل والتشريد.وفي بنغلاديش وباكستان وأندونيسيا جرت مظاهرات حاشدة وطالب المتظاهرون حكوماتهم بالتدخل لنصرة المسلمين في البوسنة ومدهم بالسلاح للدفاع عن أنفسهم.



المواقف الدولية من الأزمة

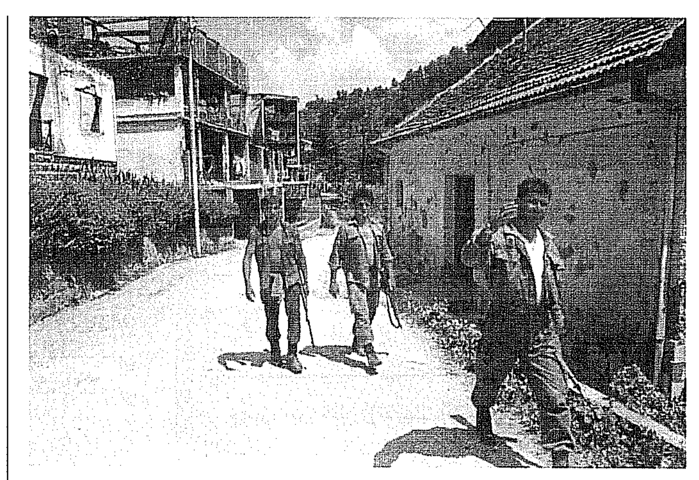
وفيما يلي نقدم توضحيا لمواقف كل من الدول العظمي ومنظمة الامم المتحدة والتي تتسم كلها باالليونة وعدم الجدية وممالأة العدو الصربي والاحجام عن انتهاج الاسلوب الرادع والحاسم في مواجهة الصرب متذرعين بحجتين واهيتين هما: الرغبة في احتواء القتال في البوسنة وعدم اتساعه والثانية: الحرص على سلامة القوات الميدانية التابعة لها والعاملة في مجال حفظ السلام تحت مظلة الامم المتحدة وهاتان بالطبع حجتان مرفوضتان.

ـ فرنسا: تقترح باريس ارسال الف رجل من جنودها في قوة الرد السريع الى جيب غورازدي (٧٠كلم شرق سراييفو) حيث يتمركز نحو ٤٠٠ من جنود قوة الحماية التابعة للامم المتحدة (٣٠٠بريطاني ومائة اوكراني) ويدافع عنه حوالي سبعة آلاف جندي بوسني غير مجهزين بشكل كاف. وينص الاقتراح على ان يتم نقل الجنود الفرنسيين بمروحيات اميركية لان باريس ولندن لاتملكان كما تؤكدان رسمياالجهزة مناسبة، ونظرا لاستحالة نقل هذه القوات برا. كما تدعو باريس الى رفع الحصار عن سراييفو من خلال جعل الطريق اللوجستية البوسنية ـ التي تنحدر من جبل ايغمان والمعرضة حاليالمدفعية صرب البوسنة ـ آمنة نهائيا.

ـ بريطانيا:ترى بريطانيا ان خيار القيام بقصف كثيف ومركز لمواقع الصرب في البوسنة كما اقترح الاميركيون وبعد سحب جنودها الـ ٣٠٠ من جيب غورازدي يبقى (الاكثر جدية) على حد قول وزير خارجيتها مالكولم ريفكند. وقد اشترطت بريطانيا للقبول بخطة الفرنسيين موافقة الولايات المتحدة على نقل وحدات قوة الرد السريع بمروحيات اميركية الى غورازدي. في المقابل فان لندن موافقة على المشاركة في تعزيز الكتيبة الفرنسية في سراييفو وفي (ضمان امن) جبل ايغمان.

ويعتبر موقف السيدة مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا السابقة احد الاصوات القليلة الصادرة في الغرب والمناصرة للبوسنة فقد قالت وبكل جرأة: ان على الضمير العالمي ان يستيقظ ويساهم في رفع الظلم والمعاناة التي يتعرض لها شعب البوسنة المغلوب على امره والبريء والذي يقتل ويعذب لالشيء وانما لحب السيطرة والاستبداد من قبل الصرب. وناشدت المجتمع الدولي رفع حظر

التاريخ لن ينسى هذه المأساة الإنسانية التي تعد وصمة عار في وجه المجتمع الدولي



السلاح عن مسلمي البوسنة.

ـ الولايات المتحدة:يفضل الرئيس الاميركي بيل كلينتون الغارات الجوية او التهديد بغارات مكثفة على مواقع صرب البوسنة في حال شنهم هجوما على غورازدي.

ويمتاز هذا الخيار بانه يخفف بشكل كبير الاخطار التي يتعرض لها ملاحو الطائرات الاميركيون ولكنه يشكل خطرا على جنود حفظ السلام الـ ٤٠٠ المنتشرين في الجيب. ويبدو من غير المرجح ان توافق الولايات المتحدة على استخدام مروحياتها لان ذلك يشكل انتهاكا لمبدأ(لاقتلى) (اميركيين) الذي يتبعه الجيش الاميركي حيال يوغوسلافيا السابقة. واذا تمت الموافقة على اقتراحها بشن غارات مكثفة تطالب واشنطن بالسيطرة الكاملة على قيد هذه العمليات مما سيلغي نظام (المفتاحين).

(الحلف الاطلسي ـ الامم المتحدة) الذي يعطي الكلمة الاخيرة للامم المتحدة. ويؤيد الكونغرس الاميركي بأغلبيته الجمهورية رفع الحظر عن تسليم الاسلحة للجيش الحكومي البوسني غير انه وافق على إرجاء مناقشة مشروع بهذا الشأن بطلب من الرئيس الاميركي الى مابعد لقاء لندن كي لايكون موقف الاميركيين خلال هذا الاجتماع حرجا، ويؤكد الاوروبيون ان رفع الحظر من جانب واحد سيؤدي تلقائيا الى سحب قواتهم لحفظ السلام من البوسنة.

ـ روسيا: موسكو المؤيدة للصرب ترفض أي خيار عسكري في البوسنة وتعتزم ألاترجح غير الدبلوماسية لذلك ينتظر أن تعارض إلغاء نظام (المفتاحين) وان تطلب رفع اي قرار عسكري الى مجلس الامن الدولي حيث تتمتع بحق النقض.

ـ المانيا: ترفض بون الذهاب ابعد من التزاماتها الحالية أي تقديم الدعم اللوجستي والطبي لقوة الرد السريع بحوالي ١٥٠٠ جندي و١٢ طائرة (تورنيدو) مجهزة خصيصا للهجمات البرية.

ــ الامم المتحدة/حلف شمال الاطلسي:يعارض الامين العام للامم المتحدة بطرس غالي (التعايش) ميدانيا بين قوة لحفظ السلام وقوة هجومية مستقلة. وقد حصل جزئيا على تأييد لوجهة نظره هذه. اذ تم وضع قوة التدخل السريع تحت قيادة الامم المتحدة في يوغسلافيا السابقة. اما الامين العام لحلف شمال الاطلسي ويلي كلايس فمستعد لمتابعة دوره كمساند للامم المتحدة في مجال المراقبة الجوية للمجال الجوي فوق البوسنة ولحماية القوات الدولية. لكنه يدعو الي تعديل قواعد التدخل العسكرية التي تعمل طائرات حلف شمال الاطلسي على اساسها. وقد اعد الحلف خطة لاجلاء مجمل عناصر القوات الدولية اطلق عليها اسم الخطة (٤٠١٠٤) وتتطلب إقحام نحو ٢٥ الف جندي اميركي.

وأخيراً فقد اثبتت تطورات ازمة البوسنة الأخيرة عدم مصداقية الغرب مع التعامل مع قضايا المسلمين فيما اظهر الموقف الإسلامي الرسمي والشعبي تحسنا وجرأة وايجابية وفاعلية ذكرنا بعهود الإسلام الأولى المشرقة حين كان المسلمون يتسابقون لتجهيز الجيوش ونصرة المسلمين الذين يتعرضون لاعتداءات الكافرين نتمنى من كل قلوبنا ان تترسخ هذه الظاهرة الايجابيةليس فقط تجاه قضية البوسنة بل تجاه القضايا الأخرى التي لازالت تدور في حلقات مفرغة في دهاليز المنظمات الدولية.■

هزت احداث البوسنة الاخيرة الضمير الإسلامي وجرت ضغوطات كبيرة على الحكومات الإسلامية من اجل اتخاذ مواقف صارمة لتأييد مسلمي البوسنة

لغة الأرقام

- اثنا عشر ألف بوسني على الاقل فقدوا عند نزوحهم من (سربرنيتشا) بعد اقتحامها في أوائل شهر يوليو الماضي وسط مؤشرات تدل على قيام مجازر صربية جماعية ضدهم.
- (١٤٤٢٦٨) مدنياً وعسكرياً من مسلمي البوسنة لقوا حتفهم من جراء القصف الصربي على نحو ٦٥٪ من جملة اراضي البوسنة!!
- أقام الصربيون ١٥٠ قبراً جماعياً و٩٠٠ معسكر اعتقال ضمت آلافاً من مسلمي البوسنة.
- ٢٧٥ الف وثيقة حصل عليها فريق الامم المتحدة تتعلق بانتهاكات الصرب ضد المسلمين.
- زود(بنك ميستر للعيون) بإيطاليا بعيون المئات من مسلمي البوسنة عبر وسطاء غير قانونيين.
- ١١٠٠ يوم اجمالي أيام الحرب البوسنية حتى الاول من اغسطس ١٩٩٥م

العز بن عبد السلام سلطان العلماء وبائع الملوك

بقلم: أ.د. نزيه حماد

هو الإمـام أبو محمد، عـز الدين عبد العـزيز بن عبـد السـلام بن أبي القـاسم السلمي، الشـافعي مذهباً، المغربي اصلاً، الدمشقي مولداً، ثم المصري داراً ووفاة، الملقب بسلطان العلماء.

ولد رحمه اللـه في دمشق الشام سنـة ٥٧٧هـ، ولم تسجل كتب التاريخ والتراجم شيئـاً ذا بال عن نشأته الأولى وأسرتـه سوى مـاحكى ابن السبكي عنه أنه كان في أول أمره فقيراً جداً، ولم يطلب العلم إلا على كبر(١) وذلك يـومىء إلى أنــه نشأ في ظل أسرة فقيرة مغمـورة، لاتنتسب إلى العلم، ولا تـدلي إلى الغنى والمجـد والسلطـــان بسبب. غير أن هـذه الحال لم تكن لتثني العز عن الإقبال على طلب العلم والجد والصبر والمثـابـرة على تحصيلـه..بل ربما أعانه كبر سنه على هضم العلوم وحسن استيعابها والتعمق في فهمها وجودة النظر في مكنوناتها.

ولقـد كـانت دمشق في القرن السـابـع الهجـري حاضرة علـوم ومعارف،ومـوئل طائفـة كبيرة من جهـابذة العلماء والمفكـرين والصالحين، ممـا يسر للعـز أن ينهل من ينبـوعهم العلمي الثـرّ الفيـاض الصـافي كـؤوسـاً مترعـة، وأن يفيـد من تـربيتهم وأخلاقهم وسلوكهم فوائد تفوق الوصف والبيان. ممـا أدى الى صقل مواهبـه وبنـاء ملكته العلميـة، وتكون شخصيته الإصلاحية الفذة.

> كـــانـت دمشــق في القـــرن الســـابـع الهجـــري حـــاضرة علـــوم ومعارف،وموئل طائفـة كبيرة مــن جهـابــذة العلماء والمفكــرين والصـالحين

قـال ابن السبكي عنـه:(هـو شيخ الإسـلام والمسلمين، وأحـد الأئمة الأعـلام، سلطـان العلماء إمام عصره بـلا مدافعة، القـائم بالأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـر في زمـانـه، المطلع على حقـائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها، لم يرمثل نفسه، ولا رأى من رآه مثله، علماً وورعـاً وقياماً في الحق، وشجاعة وقوة جنان وسلاطة لسان) (٢).

ووصفـه الحافظ ابن حجر بقـولـه: (كان عـالي الهمـة، بعيـد الغـور في فهم العلوم، درس وأفتى وصنف وبــرع، حتى وصف بأنـه بلـغ رتبـة الاجتهاد، وتخرج بـه جماعة، وكـان قائماً بـالأمر بـالمعـروف لايخاف في ذلك كبيراً ولا صغيراً، مع الزهد والتقشف والورع والتفنن في العلوم)(٣)

وقال ابن كثير:(انتهت إليـه رياسـة المذهب ـ أي الشافعي ـــ وقصد بالفتوى من سـائر الآفاق، ثم كان في آخر عمره لايتقيد بالمذهب، بل اتسع نطاقه، وافتى بما أدى اليه اجتهاده)(٤).

وكان رحمه الله ينتقـد التعصب المذهبي، وينكر جمود المقلـدين، ويقـول: (ومن العجب العجيب ان الفقهـاء المقلـدين يقف احـدهم على ضعف مـأخـذ إمامه، بحيث لايجد لضعفه مـدفعاً، ومع هذا يقلده فيه، ويترك من الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبـه، جمودا على تقليـد إمامـه، بل يتعلل لـدفع ظـواهـر الكتاب والسنـة، ويتأولهما بـالتأويـلات البعيدة الباطلة، نضالاً عن مقلّده)(٥).

وقـد وصفه ابن قـاضي شهبـة بقـولـه(بـرع في المذهب، وفـاق فيـه الأقـران والأتـراب، وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه والأصول والعربيـة واختلاف أقوال النـاس ومآخذهم حتى قيل إنه بلغ رتبـة الاجتهاد، ورحل إليـه الطلبة من سائر البلاد)(٦).

ولكن هـذا المقـام العلمي الـرفيع، وتلك المكـانـة السـامية في العلم، لم تكن لتحـول بين هذا الإمـام العظيم وبين الصـدوع بـالحق والرجـوع اليـه إذا افتى بفتـوى، ثم ظهر لـه عـدم صوابها.. تمسكـاً بأهداب التقـوى، وخشية للـه، ورهبة من جـلاله. وقدروى ابـن السبكي والسيوطي و الـداودي عنه أنـه أفتى مرة بفتيـا، ثم ظهـر لـه أنه أخطأ فيهـا، فنادى في الأسواق على نفسه:من أفتى له فلان بكذا فلا يعمل به، فإنه خطأ (٧).

أما عن قـوته في الحق وجرأتـه في بيانه فقـد ذكر اليافعي في (مرآة الجنان) أن الإمـام العز كان جبل إيمان، لايخشى سلطانـاً، ولايهاب سطوة الملك، بل يعمل بما أمر اللـه ورسوله به ومـايقتضيه الشرع المطهر (٨).

وقـد حكت كتب التـاريخ والتراجم قصتـه مع

السلطان نجم الدين أيوب الذي وصف صاحب (النجوم الزاهرة) ظلمه وجبروته بقوله(كان كثير التخيل والغضب، والمؤاخذة مع الذنب الصغير، والمعاقبة على الوهم، لايقيل عثرة، ولايقبل معذرة، ولايرعى سالف خدمة، السيئة عنده لاتغتفر، وكان جباراً متكبراً، شديد السطوة، كثير التجبر على أصحابه وندمائه وخواصه، ثقيل الوطأة، حتى أن خواصه لم يكونوا يأمنون سطوته، ولايقدرون على الاحتراز منه، ولم يكن في خلقه الميل لاحد من أصحابه ولا أهله ولا أولاده، ولا المحبة لهم، ولا الحنو عليهم على ماجرت به العادة ..الخ)(٩).

فروى ابن السبكي في طبقاته الكبرى عن تلميذ الامام العز أبي الحسن الباجي انه قال: طلع شيخنا عز الدين مرة الى السلطان في يوم عيد الى القلعة، فشاهد العسكر مصطفين بين يديه، ومجلس المملكة، وماالسلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية،وأخذت الأمراء تقبّل الارض بين يدي السلطان،فالتفت الشيخ الى السلطان وناداه:ياأيوب .ماحجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوىء لك ملك مصر، ثم تبيح الخمور؟! فقال:هل جرى هذا؟ قال:نعم. الحانة الفلانية تباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات،وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة. يناديه كذلك بأعلى صوته، والعساكر واقفون. فقال: ياسيدي هذا أنا ماعملته، هذا من زمان أبي .فقال:أنت من الذين يقولون﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾[الزخرف:٢٢].فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة.

يقول الباجي:فسألت الشيخ لما جاء من عند السلطان، وقد شاع هذا الخبر :ياسيدي كيف الحال؟فقال: يابني، رأيته في تلك العظمة، فأردت أن أهينه، لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه. فقلت: ياسيدي .أما خفته؟ فقال: والله يابني، استحضرت هيبة الله تعالى، فصار السلطان قدامي كالقط(١٠).

وحكى ابن السبكي والسيوطي أنه (لما تولى الشيخ عز الدين القضاء تصدى لبيع أمراء الدولة من الأتراك،وذكر أنه لم يثبت عنده انهم احرار، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين. فبلغهم ذلك، فعظم الخطب عندهم، واجترم الأمر، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعاً ولاشراء ولانكاحاً، وتعطلت مصالحهم لذلك. وكان من جملتهم نائب السلطنة، فاستثار غضباً، فاجتمعوا وأرسلوا اليه .فقال: نعقد لكم مجلساً، وننادي عليكم لبيت مال المسلمين. فرفعوا الأمر الى السلطان، فبعث اليه .فلم يرجع. فأرسل اليه نائب السلطنة بالملاطفة، فلم يفد فيه، فانزعج النائب وقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا، ونحن ملوك الأرض! والله لأضربنه بسيفي هذا. فركب بنفسه في جماعته، وجاء الى بيت الشيخ،والسيف مسلول في يده، فطرق الباب، فخرج ولد الشيخ. فرأى من نائب السلطنة مارأى، وشرح له الحال ،فما اكترث لذلك. وقال: ياولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله. ثم خرج،فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب، وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله، فبكى، وسأل الشيخ أن يدعو له، وقال: ياسيدي (إيش تعمل)؟قال: أنادي عليكم وأبيعكم.قال: ففيم تصرف ثمننا؟قال: في مصالح المسلمين. قال: ومن يقبضه؟قال:أنا فتم ماأراد، ونادى على الأمراء واحداً واحداً، وغالى في ثمنهم، ولم يبعهم إلا بالثمن الوافي، وقبضه وصرفه في وجوه الخير)(١١).

وعلى هذا، ونظراً لقوة الشيخ في الحق وجرأته في بيانه،لايخاف في الله لومة لائم، ولايهاب أحداً إلا الله، ولايخشى من دونه شيئاً، روى عن الملك الظاهر بيبرس أنه لما توفى الامام العز، ومرت جنازته تحت القلعة، وشاهد الملك كثرة الخلق الذين معها، قال لبعض خواصه: اليوم استقر أمري في الملك .لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لانتزع الملك مني (١٢). ■

الهوامش:

١ـ طبقات الشافعية لابن السبكي ٨/ ٢١٢
٢ـ طبقات الشافعية ٨/ ٢٠٩
٣ـ رفع الإصر عن قضاة مصر ٢/ ٣٥١
٤ـ البداية والنهاية ١٣/ ٢٣٥
٥ـ قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٢/ ١٣٥
٦ـ طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ١٣٧
٧ـ طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ٨/ ٢١٤وطبقات المفسرين للداودي ١/ ٣١٥ وحسن المحاضرة للسيوطي ١/ ٣١٥
٨ـ مرآة الجنان ٤/ ١٥٥
٩ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٦/ ٣٣٥
١٠ـ طبقات الشافعية لابن السبكي ٨/ ٢١١،وانظر طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣١١
١١ـ حسن المحاضرة للسيوطي ٢/ ١٦٢وطبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٢١٦
١٢ـ انظر طبقات الشافعية لابن السبكي ٨/ ٢١٥، طبقات الشافعية لابن قاضي شبة ٢/ ١٣٩وطبقات المفسرين للداودي١/ ٣١٦

المكانة السامية في العلم، لم تكن لتحول بين هذا الإمام العظيم وبين الصدوع بالحق والرجوع اليه

نحو وعي إسلامي صحيح

إن مما يؤثر تأثيرا سلبيا في العمل الإسلامي، ويعكس فهما قاصرا للإسلام الاهتمام الزائد بالجزئيات والفرعيات

بقلم :أ.د. محمد الدسوقي

أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول
كلية الشريعة:جامعة قطر

مما لا مراء فيه أن الأمة الإسلامية في حاضرها تعاني من مشكلات جمة، تحول بينها وبين التطبيق الكامل لأحكام دينها، وأنها ــ لأسباب شتى ـ فقدت كثيرا من خصائصها الذاتية، ومن ثم تخلت عن منزلة الشهادة والقيادة والريادة.

وقد كثرت الدراسات التي تعرضت للظروف والأسباب التي بلغت بالأمة إلى ما بلغت إليه، وحاولت هذه الدراسات أن تقدم الحل الأمثل الذي يعيد لهذه الأمة تاريخها المشرق بالقوة والعزة والحضارة الإنسانية.

وأكدت كل آراء الباحثين والمفكرين على أن الأزمة الثقافية التي تبسط سلطانها على جمهور الأمة هي مصدر كل المشكلات التي تعوق مسيرة العمل من أجل الحل الإسلامي.

والأزمة الثقافية تشمل ضعف الوعي بالمفاهيم الإسلامية الصحيحة، وطغيان بعض المفاهيم غير الإسلامية على طائفة من المفكرين المسلمين، بسبب الغزو الفكري الذي مازال يواصل سعيه الحثيث في إصرار غريب لغربة الأمة وزحزحتها عن جوهر دينها، ونسيان تاريخها، كما تشمل الأزمة الاختلاف بين الجماعات الإسلامية في الآراء، وتصور كل جماعة أنها وحدها التي تملك الفهم الصحيح، والمنهج السليم.

ومادامت هذه الأزمة تعرقل تطبيق الحل الإسلامي بمفهومه الشامل، وهو أن يكون الإسلام هو الموجه والقائد للمجتمع في كل الميادين وكل المجالات مادية ومعنوية حتى تتجه الحياة كلها وجهة إسلامية كاملة ـ فإن إخراج الأمة من هذه الأزمة لن يكون إلا بتخطيط علمي لوعي إسلامي صحيح، وعي يفقه جوهر الدين ومهمته في دنيا الناس، وعي يؤلف بين التيارات الإسلامية، حتى لا تتوزعها المفاهيم المتعارضة، وحتى يمكن أن يتجه مسارها وجهة تقرب المسافة بين الأمة وذلك الحل.

ولهذا الوعي ــ فيما أرى ـ عدة خصائص أو دعائم كلية يمكن إجمالها فيما يلي: وهي وجهة نظر يؤخذ منها ويرد عليها.

أولا: إن مما يؤثر تأثيرا سلبيا في العمل الإسلامي، ويعكس فهما قاصرا للإسلام الاهتمام الزائد بالجزئيات والفرعيات، فهذا الاهتمام يستهلك الطاقات ويثير الخلافات بين الجماعات الإسلامية، والأمة في واقع يقتضي من العلماء والدعاة الاهتمام بالكليات قبل الجزئيات، فإن الانشغال بهذه ووضعها في غير موضعها من سلم التكاليف الشرعية بالإضافة إلى أنه دليل على قصور العقل، ودليل أيضا على القابلية لاستمرار التخلف فإنه يمنح الخصوم فرصة إنجاح مايحرصون عليه، من حيث توجيه العقل صوب مشكلات هامشية جزئية يشغلنا هؤلاء الخصوم بها ليتسنى لهم أن يفعلوا ما يشاءون»(١).

إن الجماعات الدينية التي لا تفهم من الإسلام إلا أنه أوراد تُتلى، وأذكار تقام، ولحى تعفى، وشوارب تُحفى، وعذبات تُرسل، وأثواب تُقصر، هذا الفهم من الشوائب المخدرة التي علقت بالإسلام حين صده الجهل والضعف عن سبيله فتراجع فيضه وسكن تياره.

يقول الشيخ محمد الغزالي: إن أعدادا كبيرة من المتدينين تائهون في هذه الموضوعات، وإن هناك علماء هم في حقيقتهم عوام لا شغل لهم إلا هذه الثرثرات والتقعرات وخلفوا أجيالا من بعدهم لا هي في دنيا ولا هي في دين.

وضرب على ذلك مثلا باستقلال باكستان، فقد ذكر أن الخلاف بين الأحناف وأهل الحديث وبين التبليغيين ورجال الجماعة الإسلامية حول مثل تلك الموضوعات ضيع على هذه الدولة أوقاتا غالية، وشغلها بأمور ثانوية، ومن ثم لم تستطع أن تلحق بالهند في نهضتها العلمية، واستقرارها الاقتصادي، وتفجيرها للذرة(٢).

إن الاهتمام بالجزئيات والتعلق بالقشور والسطحيات جعل روح الجدل العقيم تطغى وتصرف عن العمل، وما ابتليت أمة في حياتها بشر كما ابتليت من كثرة القول وقلة العمل.

على أن ذلك الاهتمام بالجزئيات يعكس عجزا عن فقه الدنيا، والاقتدار على تسخيرها لخدمة الدين، فالدين الحق تقوى تعمر القلوب بالعبادات التي لا يستغرق تعلمها غير زمن يسير، ثم مهارة في شؤون الحياة تتحول مع صدق النية إلى وسائل لدعم الحق وسيادته.

فلكي يسترد الوعي الإسلامي عافيته ويبرأ من علل الجزئيات والقشور ينبغي أن تكون الكليات التي تمثل مقاصد التشريع وفلسفته وخاصة في مجال الحياة اليومية في المقام الأول من العناية بها، وترسيخ دعائمها، حتى لا يظل العقل المسلم مكبلا بأمور ثانوية ومشكلات تاريخية أو ليست واقعية تأخذ كل اهتمامه، وتصرفه عن النظر في الأمور الأساسية التي هي عماد الفقه السليم، والإدراك الصحيح لحقائق الدين ومثله العليا.

إن من ينظر في واجهات المكتبات، وما يوزع مع باعة الصحف يلاحظ أن هناك سيلا من الكتيبات التي تتناول موضوعات لا تلقي بالا للمشكلات اليومية، وكأنها بما اشتملت عليه من نصوص وآراء وتصورات تدعو المسلم إلى الانسحاب من معركة الحياة، وكأن هذا الانسحاب هو سبيل النجاة يوم لقاء الله، وهذا خطأ جسيم نجم عنه إقبال جمهور كبير من الأمة منهم عدد لا بأس به من الشباب على الاهتمام بالجزئيات والجدل حولها، وكأنها هي الإسلام

الذي جاء للنـاس كافة وجاء دينـا للحياة في كل العصور وفي كل الأصقاع، ومن هنـا كانت مشكلة إقامـة التوازن العقلي في فهم الإسلام وهـي تـوازن يجعل الكليات هي الأسـاس، وما سواهـا من الفرعيات يأتي تبعـا، فإن انقلب الوضـع وأصبح التابع هـو الأصل، والمتبوع هو الفـرع فإن الوعي يكـون قد ارتـد على عقبيـه، ولم يعـد وعيـا بـالمعنى الـدقيق، ويصبح مصدر خطر وسلاح تدمير لا تغيير.

ثانيا: وإذا كان الاهتمام بـالجزئيات يمثل فهما مبتورا، أو فهما يجور على الكليات، فـإنه إلى هذا يمثـل أيضا عـدم فقه بأحكام الإسلام، فهذه الأحكـام متكاملة لا يغني بعضهـا عن بعض، وهي فـروض وسنن، والفـروض في جانب العبـادات أمرها هين ففيها فقه كثير، ويحفظها المسلمون حتى العامة لا تغيب عنهم منهـا إلا بعض الجزئيـات التي يمكنهم الوقـوف عليهـا دون مشقـة ومن ثـم فإن المسلمين إذا ضيعـوا هـذا الجانب(٣) من الفـروض فـإنهم لا يضيعـونـه اعتقـادا ولا يغفلون عنه غفلة كاملة، ولكن هناك من الفروض والواجبات الكفائيـة كقضايـا الحكم والعلم والاقتصاد والعـلاقات بين الأفراد والشعـوب معطلة ومغفـول عنها، ويحتـاج فقهها إلى جهد عقلي متميـز يخضع لمنهج أصـولي دقيق، وشخصيـة العالم المسلم لا تعـرف انفصاما في إلمامها بتعـاليم الإسلام، ومن هنـا كـان من خصـائص الـوعي الإسـلامي الصحيح الإحاطـة بهذه التعاليم إحاطة وافيـة، دون أن يطغى بعضها على بعض، ودون أن تختل درجة كل منها من حيث الفرضية وعدمها، فلا يصبح المسنـون في درجة الفرض، ولا يهمل هذا على حساب المسنـون، وبذلك يكون الفكـر الإسلامي سـويا منطقيا، يولي المعـاملات اهتماما بالدرجة نفسهـالتي يوليها للعبـادات، لأن تقسيم الأحكـام الإسـلاميـة إلى عبـادات ومعـامـلات لم يعرف في القـرون الأولى، ولـذلك لم يـرد في المؤلفـات الفقهية القـديمة إطـلاق كلمة العبـادات على بعض أبواب الفقـه دون بعضها الآخـر، وقد وجـد هذا الإطـلاق في العصـور المتأخـرة، وهو لـون من التقسيم الفني لـدراسـة موضوعات الفقه روعي فيـه المعنى الغالب أو الظاهر ولا يدل بحال على أنـه من أحكام الإسـلام ماهـو عبادات، ومنهـا ما ليس عبـادات، فكـل الأحكـام شرعهـا اللـه، والمسلم في كل تصرفاته سواء في علاقته بالله تعالى أو في خاصة نفسه أو في صلته بأسرتـه والمجتمع الذي يعيش فيه، وكذلك صلـة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم في السلم والحرب كل هذا تحكمه شريعة الله، ويكون المسلم في التزامـه بها عابدا لخالقه مادام يستشعر رقابته عليه، ولا يتجاوز حدود أوامره ونواهيه(٤) وهـذا هو مفهـوم العبـادة بمعناهـا العـام في الإسلام وهـو مـايشير إليـه قـول الله تبـارك وتعـالى: ﴿ومـا خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات/ ٥٦).

وهنـاك جانب من أحكام الإسلام يتعلق بالانتفاع بما سخر الله للإنسان من كـائنات ومخلوقات في الأرض أو في السماء، هذا الجانب صورته باهتـة في الوعي الإسلامي المعاصر ولذا كان تخلف الأمـة وضعفها بسبب ذلك، مع أن القرآن الكريم في كثير من آياته يدعـو إلى إعمال النظر والتدبر والتفكير، كما أمر بالسير في الأرض لأنه يريد عقلا عمليا يستفيد من العصر الذي يحيـا فيه مـا يوسع آفاقـه، ويجعله أقـدر على الانتفاع بنعم الله ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكـون لهم قلوب يعقلون بها، أو آذان يسمعون بها﴾ (الحج/ ٤٦)، ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كـان عاقبـة الذين من قبلهم كـانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض﴾ (غافر/ ٢١).

إن الإسـلام يـريد عقلا ينتفع بـالحركة والسير في الأرض، عقلا ينفتح على الماضي والحاضر، وإذا قصر في هذا فقد خالف أمرا تكليفيا من القرآن، وقد خالفنا أمر القرآن، ولم ننتفع بما دعانـا كتاب اللـه إلى الانتفاع بـه، ولكن غيرنا غلبـونا(٥) في اكتشاف قوى الكون، لأنهم استطاعوا أن يأخذوا منا قوانين التجربـة والملاحظة والاستقراء، فبلغـوا إلى ما بلغـوا إليه من الحضـارة المادية وتخلفنـا نحن، ولم نستطع أن نمنع عن أنفسنا شرهم وعدوانهم.

إن الـوعي الإسـلامي ـــ مع احترامـه للتخصص العلمي الدقيق ـــ يريد أن يكون للمسلم تصور عـام لمفهوم العلم في الإسلام، وهو مفهوم يشمل كل مـايعج به العالم المنظور من كائنات وجمادات، فللعقل أن يجول في هذا العالم بكل ما لديه من طاقـات، حتى يحقق أكبر نفع مما سخـر الله لـلإنسان، فتكون القوة المادية التي تسانـد القوة الروحية في إعلاء كلمة الحق، والقضاء على الذين يُفسدون في الأرض ولا يُصلحون.

ثالثـا: وإذا كان الوعي الإسـلامي المعاصر ينبغي أن يهتم بـالكليـات أكثـر من الجزئيـات، وأن يحرص على شمـوليـة الإحاطة بكل تعاليم الإسلام لا من حيث المعرفة الدقيقة بكل فـرع من فروع العلم، وإنما من حيث الـوقوف على فلسفـة العلم وأهدافـه في الإسلام، فإن هذا الوعي أيضـا يتعامل مع الواقع ويعـايش الحاضر في معالجة شـؤون الحياة، ومن ثم هرع النـاس إلى الإيمان بهذا الديـن لأنهم وجدوا في تعـاليمه حلا لكل مشكلاتهم الروحية والمادية.

وواقعية الـوعي في الإسلام تعني عدة أمور منهـا الانفتاح على كل الثقافـات والعلوم فهو لا يعرف الانغـلاق، فالحكمة ضـالة المؤمن أنى وجـدهـا أخذهـا، وعنـد من رآها طلبهـا، فالشخصيـة المسلمة في طلبهـا للعلم تتمتع بحصـانة تحول بينها وبين أن تذوب في سواهـا، وهي فيما تلم به من ثقافات تحيله إلى صبغة جديدة فيصبح وكأنه فكر إسلامي خالص، فهـذه الشخصيـة كـالنحلـة التي تجمع الـرحيق من شتى الأزهـار ثم تخرجـه بعد ذلك شهدا ذا مـذاق خـاص ونفع خاص.

ومما يتصل بـالانفتاح الانتفاع بتجـارب الآخرين، نقتبس منها ما لا يصادم نصا ولا يند عن قاعدة(٦).

ومن الأمـــور التي تعبر عن معنى الـــواقعيـة في الـــوعي الإسـلامي، أن فقـه الـديـن لا يتم إلا إذا تكـامل علم الشرع المنقول بعلم الـواقع الاجتماعي محليا كـان أو دوليا، مـاديا كان أو اجتماعيا، ومن ثم لا يقدم فكـر الإسلام على أنه مثالي خيالي لا يكاد يتحقق إلا لمجتمع الملائكـة، وإنما نعرضه فكرا واقعيا لا يصـادم الفطرة الإنسـانية، ولا يحاول إخراجها من طبيعتها البشرية، ومن هنا كـان مثل الإسلام الأعلى بالنسبة للفرد هـو أن ترجح حسناتـه سيئاتـه لا أن يتنزه عن جميع السيئات، ومثلـه الأعلى للمجموع هـو أن يسود طـابع الخير ويـربو عـدد الأخيـار، ولو افترض زوال الخطأ والخطـائين لاستبعدت أحكام العقوبات التي توقع على المؤمنين.

ومثلـه الأعلى للدولـة هو أن تحكم القصـد وتبذل الجهـد ابتغـاء الإصلاح والعـدل والـرخاء والسلم وليس معنـاه أن تزول من طريقها كل العثرات والعقبات(١).

فواقعيـة الـوعي تتطلب خبرة بالحياة والنـاس والأصدقاء

من الأمور التي تعبر عن معنى الواقعية في الوعي الإسلامي، أن فقه الدين لا يتم إلا إذا تكامل علم الشرع المنقول بعلم الواقع الاجتماعي محليا

والخصوم، خبرة تعرف الفروق الفردية، وتأخذ الناس بالرفق والتدرج وصولا إلى الغاية، خبرة ترفض الانكفاء على النفس، كما ترفض مخاصمة العالم الخارجي، وهذا يومىء إلى أن هذه الواقعية تعني التخطيط العلمي، وربط النتائج بالأسباب وفق السنن الكونية، وتؤكد أن المسلم لا يعرف في حياته أخذ الأمور دون روية ودون نظر إلى مآلات الأفعال، ودون معرفة وافية بمشكلات البيئة التي يعيش فيها، ولهذا يتحول الفكر لديه إلى عمل ولا يهش لنظريات مثالية خيالية تراود أحلام بعض المفكرين، ولكنها غير صالحة للتطبيق، ومعايشة الواقع.

ولا يخطر ببال أحد أن مفهوم الواقعية، قد يعني التعاون مع المجتمعات علي ماهي فيه من قيم وتشريعات بعيدة عن الإسلام، وإنما يعني النزول إلى الساحة وفهم واقع الناس حتى يجيء الأخذ بيدهم ثمرة لهذا الفهم، ذلك أن الناس هم محل دعوة الله، وهم خليقون بالشفقة والإنقاذ، ومعاملتهم في ضوء الظروف المحيطة بهم دون إفراط أو تفريط.

رابعا: إن الأمة الإسلامية تختلف عن غيرها من الأمم بأن لها تراثا حضاريا لا يمكن أن تولي ظهرها له، إن حاضر الأمة موصول بماضيها، ومن ثم كانت علاقتنا الحميمة بتراثنا العلمي ننقب في هذا التراث ونستهدي ما فيه من آراء لا تمثل ثقافة الزمان أو المكان، نستمد من أمجاد الماضي ما يدعم ويقوي انتفاضة الحاضر، ليضمن له مستقبلا مزدهرا يمشي فيه مع الزمن يلازمه في تطوره، ويصاحبه في توثبه، فلا تكون بينهما فرقة ولا تخلف(٨).

وإذا كان حاضر الأمة امتدادا متطورا لماضيها فإن مايجب مراعاته هو عدم الإسراف في تمجيد الماضي، ومحاولة رد الحاضر إليه، ففي هذا هدر للعقل، وتعطيل لقدراته، وكأن السابق لم يدع للاحق شيئا، وقد فطن إلى هذا بعض أعدائنا فأصدروا بعض الدراسات التي تتحدث عن تاريخنا وما أسداه الآباء من أياد بيضاء للحضارة والعلم، فمثل هذه الدراسات قد تبدو للوهلة الأولى عملا علميا يستحق منا الثناء والتقدير، ولكن النظرة الفاحصة ترى فيها أنها لون من المخدر الذي يجعلنا ننسى حاضرنا وكيف نواجه مشكلاته، لنعيش في أحلام الماضي ونردد كم فعلنا، وكم قدمنا دون أن نتنبه إلي ما يجب علينا أن نفعله وأن نقدمه لحاضرنا.

لقد حدثنا القرآن الكريم عن بعض الأمم السابقة، وقص علينا بعض أخبارها وبين أن في ذلك عبرة لأولي الأبصار، فالتاريخ والماضي ندرسه لنأخذ منه العظات، والعبر، والتجارب التي تدفع بالحاضر إلى الأمام.

أما أن تصبح دراسة الماضي غاية في ذاتها، نتغنى بها، ونعدد الأمجاد والمآثر فإن في هذا خطرا علي معالجة وبناء المستقبل.

إن عصور الازدهار في تاريخنا تعد فترات الإشراق العقلي والتوثب الفكري، وحين نلم بهذه العصور نعرف كيف حقق الآباء والأجداد ماحققوا، فنسترشد بخطاهم، ونحاول أن نكون خير خلف لخير سلف.

ومن المسلمين اليوم من يكثر النواح على الماضي، دون أن يعمل للحاضر شيئا، والنواح لا يحيي ما مات، ولا يرد ما فات(٩)، والأمم التي تبكي علي ماضيها وتغفل عن حاضرها أمم تحفر قبرها بيدها، ولكن الأمم التي تسعى ليكون حاضرها أزهى من ماضيها هي الأمم التي تعمل وتفكر وتستهدي تراثها في حقائقه الجوهرية لا في صوره الشكلية.

إن وعي الأمة اليوم يتهدده الاهتمام بشكليات الماضي، وكأن التقدم والنهضة لا سبيل إليها بغير هذه الشكليات، وهذا فهم سقيم للتاريخ، يجمد حركة الحياة، ولا يعترف بالتطور والتجديد، وإذا استحوذ مثل هذا الفهم على العقول سلب منها قدرة التغيير والإبداع، وجعل حركتها ترتد إلى الوراء، بدلا من أن تتجه إلي الأمام.

والذي يتابع مثلا حركة المعالجة الفقهية للمشكلات المالية المعاصرة يلاحظ أن كثيرا من الفقهاء يحاولون ربط أحكامهم علي هذه المشكلات سواء بالحل أو بالحرمة بما ورد في الفقه الإسلامي من صور المعاملات المالية، وفي هذا حكم غير مباشر بأن كل جديد من المعاملات لا يقبل إلا إذا وجدنا له نظيرا في الفقه الإسلامي، وهذا الحكم يعطي نتيجة خطيرة وهي الوقوف عند ماوصلنا من آراء وصور فقهية لا نتعداها ولا نخرج عليها وهذه النتيجة بدورها تفرض علينا التحجر وعدم التطور.

وليس معنى ذلك أن تراثنا الفقهي — في مجال المعاملات المالية ـ أصبح يمثل فترة زمنية معينة، وأننا يجب أن ننفض أيدينا منه، فهو ثروة غنية بالنظريات القانونية والمبادىء التشريعية التي لا نظير لها، والتي اهتدى المشرع الوضعي إلى بعضها في العصر الحديث، ولكن ما أرمي إليه أن كل ما يجد من صور مالية وغيرها مما تفرضه طبيعة التطور وظروف المجتمعات الإسلامية يكون مقياس الحكم عليها مدى انسجامها مع القواعد الأساسية التي تحكم كل التصرفات الإنسانية، أو بعبارة أخرى نستهدي تراثنا الفقهي في حقائقه الجوهرية لا في صوره الشكلية.

إن أول طريق للحل هو الاهتمام بتغيير الرؤية والتصور في ذهن الدعاة المسلمين، فالأمة اليوم تعيش في عالم اختلفت قسماته وتحركاته واختلفت ظروفه عما كان من قبل، ومع هذا يحرص كثير من العاملين للإسلام علي انتزاع صور العمل الإسلامي، من الماضي، ثم جمدوا عليها وتحنطوا فيها، وهذا يدخلنا في أخطر قضية واجهت المسلمين وهي التقليد للجمود. إن الماضي نعتز به ولا نتنكر له، ولكن ينبغي أن يكون عونا للحاضر على التجديد والتطور لا أن يكون عائقا دون التقدم والتغيير.

خامسا: لن يكون الحاضر امتدادا متطورا للماضي إلا إذا كان هناك اجتهاد شامل لا يختص بالأحكام الفقهية، وإنما يغطي كل مساحات الحياة العلمية والفكرية.

إن الاجتهاد في الإسلام يعني ابتكار الأفكار والآراء في ضوء الضوابط والقواعد الشرعية، ومن ثم لا نعرف الحق بالرجال، وإنما نعرف الرجال بالحق، ولا نجمد على الموروث، وإنما ننميه ونضيف إليه وتاريخ الأمة كان يشهد الازدهار في ظل الاجتهاد في كل المجالات، وكان يصاب بالذبول في ظل التقليد والجمود، ولكن هذا الاجتهاد ليس منصبا يرقى إليه بالادعاء، وإنما يحتاج إلى وسائل وشروط معينة لابد من توافرها فيمن يستنبط الأحكام، أو يغوص وراء لآلىء المعرفة المادية ليبتكر مايعين على الانتفاع بما سخر الله للإنسان، وهذا جانب من الاجتهاد أهملناه أو ضيعناه كما أومأت آنفا إلى هذا.

إن الشباب المتحمس للإسلام قد لا يدرك أن كلمة التوحيد

إن وعي الأمة اليوم يتهدده الاهتمام بشكليات الماضي، وكأن التقدم والنهضة لا سبيل إليها بغير هذه الشكليات

مهددة ما لم نبرع في علوم الكون والحياة والطب والفنون الحربية(١٠)، فلابد للوعي الإسلامي - إذن - من فقه بالعلوم العصرية بطريقة جديدة وشمولية ولابد له أيضا من فقه متجدد للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية حتى يستطيع هذا الوعي أن يقود الأمة إلى الحل الإسلامي الشامل لكل مظاهر التخلف والضعف.

وإن الاجتهاد بالمفهوم الأصولي هو الوسيلة لتقديم المنهج والتصور العلمي الذي يعالج المشكلات علاجا صحيحا، علاجا لا يغفل عن ضرورات العصر وفي الوقت نفسه لا يخرج عن الأصول الشرعية أو كل ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

والصحوة الإسلامية اليوم تتهم بأنها تعتمد على إثارة الشعور أكثر من اعتمادها على منطق العقل، بمعنى أنها حتى الآن لم تطرح البرنامج العلمي الذي يمكن أن يطبق في الواقع. وقد يكون هذا الاتهام فيه لون من المغالطة أو التجاوز، ولكنه بلا مراء يحمل قدرا من الحقيقة، مما يفرض على الجماعات الإسلامية أن تتعاون للرد على هذا الاتهام ليس بالخطب الحماسية، أو المواقف الانفعالية التي تجنح إلى العنف وإنما بالتأصيل المنهجي للتصور الإسلامي في حل كل المشكلات اليومية للأفراد والجماعات والشعوب.

وهذا الاجتهاد الأصولي يدعمه ويحميه الاجتهاد في عالم المادة فالضعف العلمي في هذا العالم سيؤثر بلا ريب في تطبيق ذلك الاجتهاد، ولا يجعل لآثاره دورا في التغيير والتطوير.

ولأننا في عصر كثرت مشكلاته، وكل مشكلة منها تحتاج في دراستها إلى تخصصات علمية مختلفة، ولأن وسائل المواصلات يسرت لقاء الفقهاء والعلماء مهما تناءت الأقطار والديار، فإن الاجتهاد الجماعي أمثل وسيلة لدراسة هذه المشكلات دراسة علمية تنتهي إلى نتيجة عملية.

سادسا: لا يعرف الوعي الإسلامي التوقف، فهو ليس مرحليا أو خاصا بفترة تاريخية دون أخرى، وإنما هو وعي موصول ينمو مع الأيام، وفقا لما يجد من معارف، ويقع من نوازل، وذلك لأن الأمة التي خاطبها الوحي الإلهي أول ما خاطبها بالقراءة والتعلم بالقلم ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق/ ١ - ٥) هذه الأمة التي خاطبها الوحي بهذه الآيات لن تفارق العلم، لأنها تلازمه ملازمة الظل، أو ملازمة الغريم.

والأمة القارئة هي الأمة المتقدمة، الأمة التي لا يفتر وعيها، ولا يتخلف عن ركب الحياة، فهي أمة تتسع مداركها باستمرار، أمة تلاحق كل جديد من المعرفة، فهي من ثم أمة لا تعرف التوقف أو التخلف في مسيرة النهضة والتقدم، لأنها توقن أنها إن قصرت في طلب المزيد من المعرفة فإنها محاسبة عن ذلك ولذا تعد تنمية الوعي طاعة وعبادة، وهي لهذا تختلف في طلبها للعلم عن سائر الأمم، تختلف من حيث الباعث على العلم والغاية منه، فالباعث عليه رقي الإنسان والغاية خشية الله وإعلاء كلمته، وليس العلم لدى غير المسلمين كذلك، إنه وسيلة القوي ليزيد الضعيف ضعفا، والجاهل تخلفا والمستكبر طغيانا وفسادا.

لقد أصبح العلم بغيا بين أهله من غير المسلمين فتباروا في استخدامه في غير ما يجب أن يكون، ولن يحول بين العالم وكارثة الدمار الشامل إلا أن يفيء إلى ما قرره الإسلام من تعاليم تضع العلم في موضعه الصحيح، وتتخذه طريقا للسلام والتقدم الذي لا يعرف العنصرية أو احتكار المعرفة، وإنما يقوم على مفاهيم الأخوة والعدالة واحترام آدمية الإنسان.

وإذا كان الوعي في الأمة حياً نامياً فإنها تظل قوية متطورة، لأنه يوجه نشاط الأفراد وجهة صالحة للتعمير والبناء، فإذا اعترى هذا الوعي فتور أو هجمت عليه مفاهيم دخيلة، فقد تأثيره ودوره في التغيير والعطاء وأصيبت الأمة من جراء هذا بالضعف والخذلان.

إن الأمة الإسلامية أمة اختصها الله بالرسالة العامة الخاتمة، وفرض عليها أن تبلغ هذه الرسالة إلى كل مكلف، وأن تدافع عنها ضد الذين لا يريدون لنور الله أن يبدد ظلام الشرك والطغيان، ولن تستطيع هذه الأمة أن تؤدي الأمانة كاملة، إلا إذا كان وعيها بهذه الأمانة قوية صحيحاً، فإذا ضعف الوعي أو غامت أمامه معالم الطريق، ضيّعت الأمانة، زو قصرت الأمة في حفظها ففقدت بهذا منزلة الشهادة والخيرية، ومن هنا كانت محاولات المصلحين والمجددين عبر التاريخ لحماية الوعي الصحيح من الوهن والفساد، وكان هذا آية على أن الوعي الإسلامي ينبغي أن يكون دائماً تعبيراً صادقاً عن رسوخ الإيمان، وسلامة الفهم لتعاليم الدين، ينبغي أن يكون وعياص نامياً موصولاً تزيده الأيام رصيداً جديداً من الثقافة والمعرفة الإسلامية كما تزيده التجارب فقهاً رشيداً بالواقع وقضاياه، حتى لا يكون هذا الوعي في واد وما يواجه الأمة من مشكلات في واد آخر.

إن الاجتهاد في الإسلام يعني ابتكار الأفكار والآراء في ضوء الضوابط والقواعد الشرعية.

الهوامش

١- انظر: حول اعادة تشكيل العقل المسلم، ص ١٧، كتاب الأمة، العدد (٤).

٢- انظر: هموم داعية، ص ١٦٦.

٣- انظر:تجديدعلم اصول الفقة، للدكتور حسن الترابي،ص ٢٠،ط.جده.

٤- انظر: مناهج الاجتهاد في الإسلام، للاستاذ محمد سلام مدكور، ص٢٨ ط. جامعة الكويت.

٥- انظر:هموم داعية ص ٢١٦.

٦- انظر: هموم داعية،ص ١٤٨، وجاء في كتاب كيف نتعامل مع القرآن ص ٢٢١:لابد ان تتلاقى تيارات الفكر العالمي عندنا، واذا لم يكن تيارنا قويا، فنحن نستحق مايصيبنا، الإسلام انما يعلو ولايعلى عليه - ببقائه إسلاما، فإذا تحول الإسلام وهو دين العقل الى تقليد اعمى في ارضه فإنه لايسمى اسلاماً لابد ان تكون اصول الإسلام القرآنية يانعة في مجتمعه، وان تمتد ثمرته لتكون في آفاق الارض كلها.

٧- انظر: الفكر الإسلامي والتطور، للاستاذ فتحي عثمان، ص ٣٤،ط. القاهرة.

٨- انظر: الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر للدكتور محمد البهي ص ١٢٠ط.بيروت.

٩- انظر :أين الخلل للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي ص ٧٦ ط القاهرة.

١٠- انظر:عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي، ص ٦٠

من مواقف الدعاة

بقلم: محمد الجاهوش ـ الكويت

روى الإمام الذهبي عن عبدالله بن هانىء: حدثنا أبي عن إبراهيم ابن أبي عبلة، قال: بعث إلى الخليفة هشام فقال: إنا عرفناك واخترناك ورضينا بسيرتك وبحالك. وقد رأيت أن أخلطك بنفسي وخاصتي، وأشركك في عملي. وقد وليتك خراج مصر. قلت: أما الذي عليه رأيك ياأمير المؤمنين،فالله يثيبك ويجزيك، وكفى به جازيا ومثيبا، وأما أنا، فمالي بالخراج بصر، ومالي عليه قوة، فغضب حتى اختلج وجهه، وكان في عينيه حول، فنظر إلي نظرا منكرا، ثم قال:لتلين طائعا أو كارها، فأمسكت.ثم قلت: أتكلم؟قال :نعم. قلت: إن الله سبحانه قال في كتابه:﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾[الأحزاب:٧٢] فوالله ماغضب عليهن إذ أبين، ولا اكرههن،فضحك حتى بدت نواجذه وأعفاني.

سير أعلام النبلاء جـ ٦ ص ٣٢٤.

دروس وعبر

مضت تلك القرون، والخير هو الغالب على الأعمال والأقوال، ومهما حصل من ضعف في تطبيق الإسلام، أو تجاوز لأحكامه، فإن فاعله كان يحس بالخجل، ويغضي أمام المفاتحة أو المواجهة، ولو كان ملكا جبارا. وكان اختيار الأكفاء لمهمات الأمور ـ بصورة عامة ـ ممايحرص عليه المسؤول الأول، والجهات العليا.

ومن ميزات امتنا ـ على امتداد التاريخ ـ ان منهج الدعوة قد ربى رجالا على الصدق والواقعية وانكار الذات، والترفع عن الأثرة وعاجل المكاسب، وقاوموا اغراء المناصب،ولم يضعفوا امام ماتحمله سانحات الفرص من عاجل المكاسب. إن الأمر عندهم اكبر واخطر من لقب تبجيل، او زيادة رصيد، او سعة جاه وتعاظم نفوذ. انها الامانة! فمن أنس من نفسه القدرة على القيام بأعبائها، فليقدم، ولاضير،ومن خشي الضعف أو الضيعة، فإن في الأمر مندوحة. ولاتثريب عليه ان يفطم نفسه قبل أن يذوق أفاويق الإمارة، لأنها نعمت المرضعة، وبئست الفاطمة، إلا من أخذها بحقها ! وهيات هيات!!.

موقف حكيم

كثيرا مايتعرض رجل العقيدة لمواقف محرجة، وعروض مغرية، فلابد أن يكون على درجة من الوعي واليقظة، وان يتعامل معها بعقل كامل، وبصر نافذ، لاتخدعه الرغبة، ولاتضعفه الرهبة، بل يتبع الدليل، ويقف مع الحق.

فما جنى ربحا من غره معسول الكلام عن حقيقة واقعه، وأنساه الذي يجب ألا يغيب له عن بال. ومنذ القدم درج الحكام على بذر الحب لصيد العلماء واهل الصلاح. فمنهم من وقع في الفخ او علق منه الجناح، ومنهم من امتنع امتناع عقاب الجو، وحلق عاليا فوق شامخات القمم، هازئا بالطعم والصياد. فما (أريد أن آخلط بنفسي وخاصتي، وأشركك في عملي) ـ عندهم ـ إلا الأحبولة التي مإن تعلق بها الرجل حتى تلتف حول العنق.

وهب أن رياح الدنيا جرت رخاء إلى المدى الموعود، فمن المجير من عذاب يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار؟!

ادفع بالتي هي أحسن

ماكان الرفق في شيء إلا زانه، ومانزع من شيء إلا شانه، وإن المرء لينال بالرفق مالاينال بالعنف،والعاقل من قدر مواقع خطوه،وعرف أثر كلمته، فيقدم أو يحجم على بينة من الأمر، وبصيرة من الرأي.

ومن ابتلي بمثل هذه المواقف، فلابد له من الرفق والتلطف، وبيان أسباب الاعتذار عن عدم اجابة مايطلب منه. وهذا مافعله ابن ابي عبلة:(مالي بالخراج بصر، ومالي عليه قوة) فكأنه يقول للخليفة: لايليق بك ـ وأنت المسؤول الأول ـ عن أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان تولي أحدا عملاً يجهل طبيعته والتزاماته، ويعجز عن اداء واجبه، إنك إن فعلت، فقد خنت الأمة، وضيعت الأمانة.

ثقافة الداعية

كلما زاد رصيد الداعية من الوعي والثقافة ـ لاسيما الشرعية ـ ساعده ذلك على حضور البديهة، وإسعاف الحجة، والنجاة من المأزق.

ومأالطف ماستدل به ابن أبي عبلة على امتصاص غضب الخليفة؟أليس الرب ـ سبحانه ـ أولى أن يغضب إذا ما عصى أمره، ولم يسمع كلامه؟ ومع ذلك فقد سبق حلمه غضبه، فعفا عن العصاة، وقبل عذر ذوي الأعذار، وعامل الخلق كلهم بالحلم. ومن كان في منصب المسؤولية فهوأولى الناس أن يكون ربانيا في جميع شأنه. مثل هذا الفهم والفقه زاد ضروري للدعاة، ليستطيعوا أداء واجبهم، وتبليغ رسالة ربهم، ويتخلصوا من حرج المواقف، وحبائل أهل الكيد.

سدد الله الخطا، ووفق الجميع، والحمد لله رب العالمين. ■

> كلما زاد رصيد الداعية من الوعي والثقافة ـ لاسيما الشرعية ـ ساعده ذلك على حضور البديهة، وإسعاف الحجة، والنجاة من المأزق.

توازن الحضارة

بقلم د. نعمان عبد الرزاق السامرائي

الإنسان جسم وعقل وروح وعواطف، فلكي ينمو نمواً متوازناً، ينبغي أن ينمو جسم الإنسان وعقله وروحه وعواطفه ،نمواً واحداً متوزناً.

الجسم ينمو بتناول الطعام الحلال الطاهر، والعقل ينمو بالمعرفة السليمة، والبعد عن الشعوذة والكهانة وأمثالها، والروح تنمو بالطاعات وفعل الخير، والعواطف تنمو بالمحبة والود.

فاذا نمت هذه العناصر نمواً« متزامناً» جاءت شخصية الإنسان متوازنة، لايطغى فيها جانب على جانب ،ولايتحيف عنصر على حساب غيره، هذا في الإنسان ومثله الحضارة ،فالحضارة — بشكل عام — لها جانب مادي وآخر عقلاني، وثالث. روحي فاذا نمت هذه الجوانب نمواً «متزامناً» جاءت الحضارة متوازنة متعادلة، وان نما جانب على حساب آخر جاءت الحضارة فاقدة التوازن، إما مادية صارخة وإما عقلية صرفة، او روحية مفرقة.

والذين درسوا حضارة اليوم، بينهم اتفاق انها جاءت مادية، او مادية عقلية، لكنها أهملت الروح إهمالاً كبيرا.

وهذا «كولن ولسون» الناقد البريطاني المعروف يتحدث عن ذلك في كتابه المشهور (اللامنتمي).

فهو يرى ان الحضارة تتدهور حين تفقد السيطرة على (تعقيدها) وهي تفقد هذه السيطرة في اللحظة التي تبدأ فيها بالتفكير والانحصار في حدود المادة، والقضايا المادية، ذلك أن القوة في نظره روحية في النهاية.

أما الجانب العقلي فيرى(ولسون) أن الانسان الغربي ظل ميالاً دائما الى التأكيد على طاقاته العقلية، والثقة بها إلى أبعد الحدود

ولعل هذا هو سر تقدمه المادي، لكنه في ذات الوقت يشكل السر في تدهوره.

ففقدان القوة الروحية، وهي المفهوم الحيوي، الذي يحفظ للبشر بقاءه، وهي التي تمنح« التقدم» معناه، والإصرار مجرد سخرية.

ثم يشبه الحضارة – دون روح – بسيارة لاوقود فيها.

أما السر وراء التأكيد على الطاقة(العقلية) فيعود في نظر ولسون إلى عصر النهضة، حين كانت الطريقة الإنسانية في التفكير في أوائل عهد ازدهارها، لكن هذه الطريقة لم تكتسب وزنا إلا في القرن الخامس عشر وذلك بظهور علماء كبار امثال غاليلو وديكارت ونيوتن، ثم امثال لوك وهيوم وكانت دهيغل، وقد استمرت هذه الموجة العقلانية حتى القرن العشرين، وكانت تغزو كافة نواحي الحياة الفكرية، من فلسفة واجتماع إلى فيزياء وعلم النفس.

لقد صاحب نمو الجوانب المادية والعقلية انصراف وزهد في الجوانب الروحية، وتصور الناس ان الاسرار الكونية كلها قد كشفت،وبمقدور العلم ان يكشف ماتبقى.

وبتقدم العلوم والصناعات ،تمدد الجانب المادي من الحضارة ،تمددا كبيرا على حساب الجانب الروحي.

حتى ذهب عالم الاجتماع (أريك فروم) في كتابه القيم (الانسان بين الجوهر والمظهر) الى ان المجتمعات الصناعية صارت تحتقر الطبيعة، بل تحتقر كل ماليس من صنع الآلة، وتحتقر الشعوب التي لاتصنع الآلة، حتى راح الناس ينجذبون نحو كل ماهو ميكانيكي، ولكل مالاحياة فيه، وهكذا راحوا ينجذبون يوما بعد يوم نحو التدمير.

ويطالب د. فروم بإحداث تغييرات واسعة في توجهات الإنسان مثل ظهور اخلاق جديدة، واتخاذ موقف جديد تجاه الطبيعة، ولن يحدث ذلك إلا اذا حدث تطور للمجتمعات عن طريق تطوير الانسان ،او بعبارة موجزة، إلا اذا حدث تغيير اساسي في بناء شخصية الانسان المعاصر.

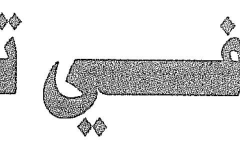
إن الحاجة لتغيير انساني عميق – في نظر فروم – لاتنبع فقط من كونها مطلبا اخلاقيا منشؤه الطبيعة المحرضة لنظامنا الاجتماعي ،ولكنها فوق كل ذلك، شرط لمجرد بقاء الجنس البشري ،لقد اصبح البقاء البشري متوقفاً على إحداث تغيير جذري، في وجدان الإنسان وقلبه وضميره، تغييرات تتيح للانسان فرصة مناسبة للتغيير، وتمنحه الشجاعة الكافية والبصيرة النافذة اللا زمتين لذلك.

إن حضارتنا– كما يصورها بعض أبنائها – صارت اشبه بسفينة جانحة، وهي تسير بسرعة، بحيث صار احتمال انقاذها – بسبب السرعة والجنوح – ضعيفاً، انها تفتقد التوازن، نمو لاحدود له في الماديات، وقريب منه في العقليات، وفقر مدقع في الروحيات بسبب هذا الخلل الكبير، رأينا الإرهاب، ورأينا المخدرات، ورأينا الحروب والثورات، والأمراض العقلية والنفسية، فهل من طبيب نطاسي يطب لهذه الحضارة، قبل غرق السفينة او عطبها، وضياع مافيها؟؟!!!

وأخيراً قبل ان اختم اجد من المفيد ان اعرّج على نظرية (مالك بن نبي) يرحمه الله، وهو من القائلين بحركة الحضارة بشكل دوري، فهو يرى — ويشاركه بعض فلاسفة الغرب – ان الحضارة تبدأ روحية نشطة، تتغلب على الصعوبات ،ويقدم إنسانها الكثير من التضحيات، ثم يعقب ذلك مرحلة (عقلية) تفلسف المرحلة الأولى وأخيرا يأتي (هيجان) الغرائز، وعندها تسقط الحضارة، والناظر في الحضارة الاسلامية يجد هذا المصداق ،ويبدو ان حضارة الغرب تقترب كذلك من المرحلة الاخيرة.■

الحاجة لتغيير انساني عميق - في نظر فروم - لاتنبع فقط من كونها مطلبا اخلاقيا منشؤه الطبيعة المحرضة لنظامنا الاجتماعي ،ولكنها فوق كل ذلك، شرط لمجرد بقاء الجنس البشري

دور العقيدة في تطبيق الشريعة



بقلم/ وحيد الدين خان

إن الدراسات المقارنة حول تاريخ القانون تدلنا على أن القانون الإلهي عندما تنوول بالتنفيذ في مجتمع ما، أصبح نافذاً ساري المفعول على أكمل وجه.. حيث نجد في تجربة المجتمع الإسلامي الأول الذي أنشىء بالمدينة في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وفي المملكة العربية السعودية في العصر الحاضر، مصداقاً عملياً حياً لهذه الحقيقة.. أما القوانين الوضعية فهي — على نقيض من ذلك — لاتكاد تصدر أو توضع موضع التنفيذ، حتى يبحث الإنسان عن بعض الحيل أو الطرق للتملص منها، بحيث يجعلها - جزئياً أو كلياً - في حكم العدم...!

وقد اتخذ هذا الفرار أو التهرب القانوني في العصر الحديث شكل تجارة منظمة واسعة النطاق، تقوم بممارستها في الدول المتقدمة مؤسسات عملاقة باسم «المهنة القانونية»، وقد أصاب أحد المراقبين الأمريكان حين أطلق عليها وصف «صناعة المهارب» (Loophole Industry) . وفي هذه المؤسسات تشتغل عقول لامعة ليل نهار في عمل واحد، ألا وهو البحث عن ثغرة ما في أي قانون يعرض عليها، أو تلمس فراغ فيه يجعل تطبيقه العملي غير ممكن... ترى، ما هو السبب في أن النفوس تميل إلى تلقي قانون الشرع الرباني بالاحترام والتقديس والإذعان له، بينما هي تحاول التهرب من الالتزام بالقانون الوضعي؟

السبب في هذا يرجع إلى أن القانون الإلهي يحمل معه عقيدة مقدسة، ولكن القانون الوضعي - (Man - made Law) لا تصاحبه أية عقيدة من هذا النوع.. وكون القانون الشرعي قانوناً صادراً عن الله يجعله يحظى بالقبول والاحترام لدى الجميع، في حين ينظر المرء نحو القانون الوضعي على أنه من صنع أناس مثله، وأن عدم تلقيه إياه بالقبول ورفض الانقياد له، لايعرضه لخطر يتعذر عليه الإفلات منه..

إن القوانين الأخرى لاتعدو أن تكون مجرد قوانين، أما الشريعة فهي عقيدة أيضاً إلى جانب كونها قانوناً.. وتلك هي ميزتها الخاصة.. فإنها تقوم بدور عنصر مساند يمكن القانون الإسلامي - على وجه الاستثناء — من أن يصبح نافذاً على أكمل وجه إذا ما وضع موضع التنفيذ في مجتمع المؤمنين به... بينما تنتهي تجربة القوانين الوضعية دائماً بالفشل الكلي، فالبرلمان يصدر قانوناً أخذا برأي الأغلبية من أعضائه، ولكنه قلما ينجح في تنفيذه بالفعل على الذين وضع لهم ذلك القانون، بل هو يبقى - كما يقال — حبراً على ورق ريثما يتم تعديله أو تغييره بالعكس في أغلب الأحوال..

ولكي يتضح لنا هذا الأمر بجلاء، ونتبين مدى تطابقه مع الواقع أسوق هنا مثالين اثنين، أحدهما قديم، والآخر حديث.

القانون الإلهي يحمل معه عقيدة مقدسة، ولكن القانون الوضعي لا تصاحبه أية عقيدة من هذا النوع

المثال الأول:

كان ذو الخلصة صنماً من أصنام العرب في الجاهلية، وكان بموضع تبالة بين مكة واليمن.. وقد روي أن امرء القيس لما أراد أن يغير على بني أسد ليأخذ بثأر أبيه المقتول على يد البعض منهم، توجه إلى ذي الخلصة كي يسترشده في شأنه عن طريق الأزلام، فاستقسم بها ثلاث مرات، ولكن السهم جاء في كل مرة بالنفي... فما وسع امرؤ القيس ـ الثائر الموتور ـ أن سب الصنم ورماه بالحجارة، وقال هذه الأبيات:

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا
مثلي، وكان شيخك المقبورا
لم تنه عن قتل العداة زورا

(سيرة ابن هشام، ١/٩١، البداية والنهاية٢/٢١٩)

لقد كان ذو الخلصة هذا صنماً نحته البشر، كما أن طريقة التعرف على حكمه بواسطة الأزلام كانت هي الأخرى من اختراع البشر أنفسهم، وبالتالي كان من المستحيل أن يكتسب هذا الحكم صفة القداسة وحتمية النفاذ... ومن ثم حين رأى امرؤ القيس حكم الصنم المزعوم يتعارض وما اعتزم عليه، تذمر واستشاط غضباً، فلم يلبث أن شن الهجوم على بني أسد خلافاً لحكم معبوده، لكي يشفي صدره مما كان يضطرم فيه من مشاعر الغيظ والانتقام!!

ولنقارن هذا بواقعة ترجع إلى صدر الإسلام..

عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: (كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعت صوتاً من خلفي: اعلم أبا مسعود!: فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم)، فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود! أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام» فقلت: (لا أضرب مملوكاً بعده أبدا) وفي رواية: «فسقط السوط من يدي من هيبته». وفي رواية: (فقلت: يا رسول الله هو حر لوجه الله)، فقال: «أما إنه لو لم تفعل، للفحتك النار، أو لمستك النار». (رواه مسلم بهذه الوجوه).

إن هذه الواقعة ترينا صورة مضادة تماماً للصورة التي رأيناها في المثال المذكور أعلاه، فالرجل هنا، لم يكد ينبه إلى حكم الله حتى أذعن له من فوره، وتلقاه بالقبول دون أدنى تردد أو تحفظ. وسر هذا الفرق بين المثالين الآنفي الذكر يكمن في العقيدة... فالحكم الأخير كان وراءه عنصر العقيدة المساند، مما لم يترك أمام المرء مجالاً للف والدوران أو حتى مجرد التفكير في معارضته، بل سارع إلى قبوله والعمل به للحال، لأنه كان يخاف من أنني لو قابلته بالإهمال أو اللامبالاة، فسوف أتعرض لعذاب نار لن أجد إلى التخلص منه سبيلاً..

المثال الثاني:

ولنأخذ الآن مثالاً مقارناً آخر في هذا الخصوص:

إن شرب الخمر عادة ضارة بلا جدال.. إذ تترتب عليها آثار ومضاعفات سيئة للغاية على جسم الإنسان وعقله معاً، مما يؤدي إلى أضرار وخسائر فادحة لاتحصى، يتحملها الفرد ـ شارب الخمر ـ مباشرة، والمجتمع بأكمله على نحو غير مباشر. (١/٤٤٠).

وبالنظر إلى ذلك قامت حركات كثيرة من أجل مكافحة شرب الخمر في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية خلال القرن التاسع عشر، وهي تعرف عموماً بحركات العفة أو ضبط النفس (Temperance Movements) (٨٧٧/٩). وكان من نتائج تلك الحركات أن سنت في معظم البلدان الراقية قوانين تقضي بتحريم الخمر بصورة جزئية، غير أن هذه القوانين لم تتكلل بنجاح يذكر في أي مكان.. وهناك دولتان من دول الغرب أصدرتا قانوناً يحرم استعمال الخمر تحريماً مطلقاً على المستوى القومي، ولكن على الرغم من السعي الحثيث وراء تطبيقه باستخدام كافة الوسائل الممكنة، رجعتا هما الأخريان بخفي حنين..! ومن هاتين الدولتين فنلندة، حيث وضعت اللائحة الوطنية لتحريم الخمر عام ١٩١٩م، وقد بذل المسؤولون في سبيل تنفيذها الفعلي كل جهد مستطاع على جميع الأصعدة، إلا أنهم باءوا بالفشل الذريع، الأمر الذي اضطرهم في نهاية المطاف إلى إلغائها إلغاءً تاماً. (١٦/٢٣٥).

وهكذا صدر في عام ١٩١٩م القرار الوطني في أمريكا بتحريم صنع وبيع المسكرات (National Prohibition Act) والذ صار بموجبه استعمال الخمر محظوراً شرعاً لأي غرض كان ما عدا الضرورات الطبية التي لابد منها. غير أن هذا القانون إنما زاد الطين بلة. ففي أعقاب صدوره شهدت الولايات المتحدة الأمريكية إقبالاً متزايداً على معاقرة الخمر سراً وعلى نطاق أوسع بكثير من ذي قبل، وانتشرت تجارة الخمر السرية في طول البلاد وعرضها كالسيل الجارف، كما ارتفعت نسبة الجرائم والحوادث إلى حد مخيف، ولما ضاعت كل المساعي والجهود التي كرستها الحكومة الأمريكية لأجل مكافحة الخمر وتحريمها سدى، ألغت في أواخر سنة ١٩٣٣م قانون التحريم، وأباحت الخمر من جديد بصورة مطلقة. (٨/٢٣٣).

إن قانون تحريم الخمر الذي سُن في كل من فنلندة وأمريكا كان قانوناً وضعياً، وكان مشرعو هذا القانون أفراداً من البشر، ولذا كان من المستحيل أن يعتبره الآخرون مقدساً، وأن يعدوا العمل به والإذعان إليه أمر لامفر منه. بعبارة أخرى نقول: كان هناك قانون، ولكن لم تكن وراءه عقيدة، فكانت النتيجة أنه ذهب أدراج الرياح على الرغم من استخدام أقوى وأرقى وسائل الدعاية والترغيب في سبيل تنفيذه على المستوى الحكومي..

وفي مقابل ذلك، لندرس الآن مثالاً إسلامياً من نفس هذا النوع. لقد كان العرب قبل ظهور الإسلام يعاقرون الخمر بشغف بالغ وإدمان لانظير له، وربما يكفي دليلاً على ذلك أن لغتهم كانت تحوي نحو مائتين وخمسين علماً للخمر وحدها، كما تجدهم يتغنون بوصفها في شعرهم ويكثرون من الحديث عنها في مجالسهم وأنديتهم لدرجة تخيل إليك كأنهم يعتبرونها من المقومات الأساسية للحياة، أو كأن الحياة بدونها لاشيء أو عبء ثقيل بغيض غير جديرة بأن تُعاش.. وبينما هم كذلك إذ قرع سمعهم وحي السماء، يتلوه عليهم

إن قانون تحريم الخمر الذي سُن في كل من فنلندة وأمريكا كان قانوناً وضعياً، وكان مشرعو هذا القانون أفراداً من البشر، ولذا كان من المستحيل أن يعتبره الآخرون مقدساً

رسـول اللـه صلى اللـه عليـه وسلم.. ومكث عليه الصلاة والسـلام يدعوهم إلى توحيد الله وامتثال أوامره ردحاً من الـزمان، حتى آمن أكثـرهم بالإسـلام وتمثلوا مبادئه عقيدة وسلوكاً، عندما نزلت آيات من القرآن الكريم جاء فيها: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصـاب والأزلام رجـس من عمل الشيطـان فاجتنبـوه لعلكم تفلحـون. إنما يـريـد الشيطـان أن يـوقع بينكم العـداوة والبغضـاء في الخمـر والميسر ويصـدكم عن ذكـر الله وعن الصـلاة فهل أنتم منتهـون﴾ [سـورة المائدة: ٩٠و٩١].

وما أن سمع أهل الإيمان هذا الحكم الإلهي حتى صرخوا قـائلين: انتهينا يا ربنا.. انتهينا يا ربنا!! وقد أقلع الناس عن شرب الخمر عقب نزول هذا الحكم فـوراً وإلى غير رجعـة.. فمن جملـة الـوقـائع التي سجلهـا التـاريخ بهذا الشأن أن النبي صلى اللـه عليه وسلم أمر منـاديه أن ينادي في أزقـة المدينة: «ألا إن الخمـر قـد حُـرمت!، فكسرت الدنـان وأريقت الخمر، حتـى جرت في سكك المدينة» (الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٦/٢٩٢).

وقد اعترف الأستاذ الأمريكي (مارك كيلـر) (Mark Keller) بهذا الحادث الـرائع من التاريـخ الإسلامي قـائلاً: «لقـد اتخذ الإسـلام أسلوبـاً مختلفـاً تماماً فيما يتعلق بفرض الحظر الديني على معـاقرة الخمـر في القرن السـابع الميـلادي، حيث إن القرآن إنما تنـاول الخمر بالذم والتنديـد ببساطة، وكانت النتيجـة أن امتنع أتبـاع محمـد المخلصون عـن تعاطيهـا مطلقاً حيثما كـانـوا، داخل الجزيرة العـربيـة أو في أماكن أخرى». (٤٢ ـ ١/٤٤١)

إن السبب الـوحيـد في هـذا الفـارق العظيم بين تجربـة الإسلام و تجارب التشريعات والـدساتير الـوضعية كما رأينا في ضوء الأمثلة المقارنة التي سبق ذكرها آنفـاً، إنما يرجع أولاً وأخيراً إلى مـا يسمى: العقيدة. فقـد كـان حكم الشريعـة الإسـلاميـة على نقيض من قوانين الدول الغربيـة مقروناً بعنصر العقيـدة المسـانـدة، ممـا جعل حكم الشريعة حكماً إلهياً. وإنه إذا استقر في ذهن الإنسـان بالنسبـة لحكم ما، أنـه حكم اللـه العلي القـديـر، تـلاشت من نفسـه كل دواعي التهـرب والفـرار تلقائياً... فهو يدرك جيداً أن ليس لي بد من الانصيـاع لهذا الحكم والعمل بـه، مهما كـان منـاقضاً لهواي أو شـديـد الوطأة على نفسي...

وقـد أشرنا فيما سبـق إلى ملاحظـة الأستاذ «مارك كيلـر»، وهو يعتبر من خبراء الـدراسـات عن الكحـول والمسكـرات (Studies on Alcohal)، والذي اعترف بعـد دراسة مجتمعـات مختلفة من هذه النـاحية، بأن الشعور بمضـار الخمـر ومسـاوئهـا قـد دفع بـالكثير من أقطـار العـالم إلى وضع قـوانين الحظـر عليهـا، غير أنها لم تحصل بالفعل على أي نجاح حقيقي في أي مكـان.. أمـا تاريخ الإسـلام فهـو يمثل استثناءً في هـذا الصدد، إذ ما إن صدر حكم تحريم الخمـر، حتى صار من فوره نافذاً في المجتمع عملياً.

ولقـد اعترف معظم البـاحثين بهذه السمـة المميزة للشريعـة الإسلاميـة.. وعلى سبيـل المثـال كتب المؤرخ البريطاني الشهير «أرنولـد توينبي» في كتابه (الحضارة في الميزان) (Civillza-tion on Trial) يقـول: «إن العـالم الغربي يعاني من مساوىء العنصرية الاجتماعية المدمـرة، ولكن كل الجهود والمحـاولات القـانونيـة التي بـذلت في سبيل القضـاء عليها انتهت بـالفشل، بينما استطاع الدين الإسلامي أن يحل هذه المشكلـة بنجاح باهـر، ويستطرد تـوينبي قـائلاً: «إن من إنجـازات الإسلام الأخلاقية البارزة قضاؤه على الشعـور بـالتمايـز العنصري بين المسلمين، وإن عالمنا المعاصر لأحوج ما يكون إلى نشر هذه الفضيلة الإسلامية في كافة أرجائه». (P. 205)

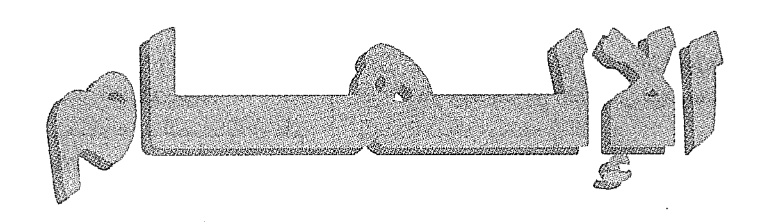
وكـذلك اعترف المفكـر الهنـدي المعروف «سوامي فيفيكـا نندا» بسمة الإسلام الفـريدة هذه بصراحة بـالغة. فقـد كتب في بعض رسـائلـه، وهـو يتحـدث عن فشل جهـود المصلحين المتوالية على اختلاف الأزمان والأماكن، من أجل ترجمة مبدأ الإخاء والمساواة الإنسـانيـة إلى الـواقع العملي المعـاش، يقول: «إنني في ضوء تجاربي وخبراتي، أستطيع الجزم بأنه لـو كان هناك دين تمكن من إقامة نظـام الإخاء والمساواة الإنسانية هذا بدرجة تستحق الإعجاب والتقدير، فإنما هـو الإسلام والإسلام وحده). (ص ٣٧٩).

وهذا هو شأن كل القوانين الوضعية. إن تجربـة المجتمعات غير الإسـلاميـة تـدل على أن سلطاتها التشريعيـة حين تسن قـانونـا ما، فنـادراً ما يحدث أن يصير ذلك القانون نافذاً في المجتمع على وجـه تـام... وعلى العكس من هـذا فإن المجتمع الإسـلامي حينما يصـدر لـه قانون، لايلبث أن يغـدو عقب صدوره سائداً ومتحكماً بالفعـل في حياة الناس اليومية.

وسر هـذه الخصوصيـة التي يتفـرد بها الإسلام وحـده، إنما يكمن في نفس الشيء الـذي يطلق عليه (العقيـدة). إن نظـام الإسلام العقـائدي هـو بمثابـة عـامل أو عنصر مسـاند، كما أسلفنـا، بالنسبـة لنظامـه التشريعي. ولكي يتم تطبيق أحـد القوانين في المجتمع فعـلاً، لابـد من توفـر عقليـة أو إطار فكـري منسجم معـه لـدى أفـراد المجتمع، والعقيـدة تقوم بتأديـة هـذه الوظيفـة البـالغة الأهميـة ذاتها، فهي تعمل على تهيئـة الإطار الـذهني الـلازم لتقبل القـانـون، وهي تـولـد في داخل المرء التفكير الصحيح والفطـرة الصـائبـة، بحيث تجعل من أتباع القانون والالتزام به حـاجة ذاتيـة للمرء، بـدلاً من كـونه حـاجـة أيـة مـؤسسـات أو سلطـات خارجية.

وإن عقيـدة صـادقة فعـالـة كهـذه لايملكها اليوم سوى الإسلام، الذي هو دين الله المحفوظ من كل الشوائب والتحريفات ولذا فـالإسلام وحـده يتمتع من بين سـائر الأديـان والمذاهب الـوضعيـة الأخـرى سـواه، بهذه الخصوصيـة الفـذة التي جعلته لايـواجه عـائقاً أو مـانعاً مـا في سبيل التطبيق العملي لأي قـانـون أو تشريع من قـوانينه وتشريعـاته حينما يـريـد فـرضـه على جماعـة المؤمنين بعقيدته عن وعي وإخلاص!!■

تجربة المجتمعات غير الإسلامية تدل على أن سلطاتها التشريعية حين تسن قانونا ما، فنادراً ما يحدث أن يصير ذلك القانون نافذاً في المجتمع على وجه تام



[٣/٤]

كان عمر بن الخطاب يشاور الصحابة، فتارة يرجع إليهم وتارة يرجعون اليه

في الحلقة الماضية تحدثنا عما يستفتي به القلب من الأحكام وتوصلنا إلى انه متى حصل مايظن معه ان احد الامرين احب إلى الله ورسوله كان هذا ترجيحاً بدليل شرعي وفي هذه الحلقة نتابع بحثنا بالحديث عن ضرورة عرض ما تحصل من الالهام على الكتاب والسنة.

بقلم سماحة الشيخ / خليل الميس

مفتي زحلة والبقاع الغربي (لبنان)

المبحث الخامس

ضرورة عرض ماتحصلَّ من الإلهام على الكتاب والسنة:

قال ابن تيمية:بمناسبة الكلام عن الأولياء.

فالمحدث، وإن كان يلهم ويحدث من جهة الله تعالى فعليه ان يعرض ذلك على الكتاب والسنة، فإنه ليس بمعصوم كما قال أبو الحسن الشاذلي: قد ضمنت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب ولم تضمن لنا العصمة في الكشوف والإلهام.

ولهذا كان عمر بن الخطاب وقافاً عند كتاب الله.

وكان أبو بكر الصديق يبين له اشياء تخالف مايقع له. كما بين له يوم الحديبية، ويوم موت النبيّ ويوم قتال مانعي الزكاة وغير ذلك.

وكان عمر بن الخطاب يشاور الصحابة، فتارة يرجع إليهم وتارة يرجعون اليه.

إلى أن قال: فإذا كان هذا أمام المحدثين، فكل ذي قلب يحدثه قلبه عن ربه إلى يوم القيامة هو دون عمر فليس فيهم معصوم، بل الخطأ يجوز عليهم كلهم.

والمحدث: يقع له صواب وخطأ، والكتاب والسنة تمييز صوابه من خطئه، وبهذا صار جميع الأولياء مفتقرين إلى الكتاب والسنة، لابد لهم ان يزنوا جميع امورهم بآثار الرسول، فما وافق آثار الرسول فهو الحق، وما خالف فهو باطل، وإن كانوا مجتهدين فيه.

وبالمناسبة: فإن الصديق كان أفضل من عمر.

والصديق: لايتلقى من قلبه بل من مشكاة النبوة وهي معصومة.

والمحدث: يتلقى تارة عن قلبه، وتارة عن النبوة.

فما تلقاه عن النبوة فهو معصوم يجب اتباعه.

وماألهم في قلبه: فإن وافق ماجاءت به النبوة فهو حق، وإن خالف فهو باطل.

وبالجملة:فكل من كان من اهل الإلهام والخطاب والمكاشفة والسنة تبعاً لما جاء به الرسول ولايجعل ماجاء به الرسول تبعاً لما ورد عليه (١).

المبحث السادس

الفقهاء الذين اعتمدوا الإلهام

قال الزركشي في البحر:

قلت: وقد اختار جماعة من المتأخرين اعتماد الإلهام.

منهم: الإمام الرازي في تفسيره في أدلة القبلة.

وابن الصلاح في فتاويه فقال: إلهام خاطر حق من الحق.

وقال من علاماته:أن يشرح له الصدر ولايعارضه معارض من خاطر أخر.

وقال أبو علي التميمي في كتاب (التذكر في أصول الدين) ذهب بعض الصوفية إلى ان المعارف تقع اضطراراً للعباد على سبيل الإلهام بحكم وعد الله سبحانه وتعالى بشرط التقوى، واحتج بقوله تعالى ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ [الأنفال:٢٩] أي تفرقون به بين الحق والباطل ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ [الطلاق:٢] أي مخرجاً على كل ماالتبس على الناس وجه الحكم فيه.

وقال تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ [البقرة:٢٨٢].

فهذه العلوم الدينية تحصل للعباد إذا زكت أنفهسم وسمت قلوبهم لله تعالى بترك المنهيات وامتثال المأمورات، إذا خبره صدق، ووعده حق، فتزكية النفس

بعد القلب لحصول المعارضة فيه بطريق الإلهام بحكم وعد الله تعالى. وذلك كإعداده بإحضار المقدمتين فيه مع التفطن لوجوه لزوم النتيجة عقيب النظر لقدرة الله اضطراراً، ولامدخل للقدرة الحادثة فيه (٢).
وانتصر العلامة السندي لاعتبار الإلهام بقوله:
ولايجوز أن يكون مستند الأحكام عند الصحابة في علم الفروع التعريف الإلهي. والإلهام كما هو دأب العارفين عموماً فضلاً عن خصوصهم وأفضلهم، إنما تنزلوا إلى أذهان العامة ببيان ذلك في صور الأقيسة، كما ينزل الفقهاء من قياسات الأئمة إلى تنويرات يشبه الشعر والخطابة، وهذا هو اللائق بمنيع قدرهم ورفيع منزلتهم.
ويؤيد هذا قول عمر رضي الله عنه في قضية مانعي الزكاة (فشرح الله صدري لما شرح صدر أبي بكر).
فإن الشرح هو (أثر النور الإلهي الذي إذ دخل القلب انفسح) على ماورد في الحديث.
وكيف وعمر رضي الله عنه من المحدَّثين بالحديث الثابت فيه.
والمحدث ـ بالفتح ـ وهو الملهم من الله تعالى.
والملهم لايحتاج إلى القياس.
وإن تقديم أبي بكر في الخلافة بتعريف إلهي وإلهام حق منه سبحانه لعمر رضي الله عنه.
أولاجتهاده من غير طريق القياس، وتوسل في بيان ذلك بالقياس.
فلما وقع الإجماع بما بيّن ــ وإن كان قياساً إقناعياً ـ حصل القطع بما أراه الله تعالى (٣).
ومايتوهمه القاصرون، من أن الاجتهاد مأخذه الكتاب والسنة، والكشف ليس طريقا للأخذ عنها فباطل.
وجه هذا القول: لأن الكشف طريق على حيازة لأخذ الحديث ومعنى القرآن، عن النبيّ يقظة شفاهاً، وقد قال في الرؤيا الصالحة ماقال، فكيف بالكشف. وأين الاجتهاد من ذلك، أقوى من كل أسباب العلوم بعد الوحي، فإنه رشح ترشح من بحره.
وماتوهموا من أن الاجتهاد بعلم كيفية الأخذ فيه من ليس له اهليته دون الكشف فباطل أيضا. لايوجب الأخذ بالاجتهاد والترك لكشف.
فإن العامي المحض، كما لايعلم الكشف، لايعلم كيفية الاجتهاد.
وإن العالم ـ من علماء الظاهر ـ كما يعلم الاجتهاد يعلم الذائقون بعلْم الباطن كذلك لما عليه أمر الكاشفين في اخذهم.
والقول بأنه لو كان الكشف حجة ليسع اتباعها، لكان حجج الشريعة خمس، أي الكتاب والسنة والاجماع (والكشف).
فقد اتفقوا على أنها أربعة، وهذا مردود أيضا.
فإنه لم يقع الاتفاق على حجية القياس فهو حجة عند أهله، بل هو عندهم مما يوجب اليقين كما هو مبسوط (٤).

العلوم الدينية تحصل للعباد إذا زكت أنفهسم وسمت قلوبهم لله تعالى بترك المنهيات وامتثال المأمورات

ومن قبيل هذه الكليات الغيرة الظاهرة قوله «استفت قلبك» الحديث، وقوله عليه الصلاة والسلام «دع مايريبك إلى مالايريبك».
فإن كل أمر يتجاذب فيه معان من الحرمة والحل، يمعن فيه النظر ويلتجأ إلى الله تعالى فيه بصدق العزيمة إلى إلهام الصواب وقذفه في القلب.
فإن غلبت مخايل الحرمة عليه وحكم المعنى الموجب للحرمة على القلب وأورثه ريباً واختلاجاً في الصدر يكون فرعاً داخلا تحت قوله «دع مايريبك إلى مالايريبك».
وهذا الطريق أحوط في معرفة الأحكام وأقرب إلى الورع وحفظ الدين (٥).

المبحث السابع

شروط العمل بالإلهام الصحيح والكشف والرؤيا

وقال الإمام الشاطبي:
من تصرف بمقتضى الخوارق من الفراسة الصادقة، والإلهام الصحيح، والكشف الواضح، والرؤيا الصالحة.. من فعل مثل ذلك ممن اختص بشيء من هذه الأمور على طريق من الصواب، وعاملاً بما ليس بخارج عن المشروع لكن مع مراعاة شرط ذلك.
ومن الدليل على صحته زائداً إلى ماتقدم [أي أن يكون لها أصل في كرامات الرسول ومعجزاته فهي صحيحة وإن لم يكن لها أصل فغير صحيحة وإن ظهر بادىء الرأي أنها كرامة] أمران:
أحدهما: أن النبي قد عمل بمقتضى ذلك ــ أمراً ونهياً وتحذيراً وتبشيراً وارشاداً، مع انه لم يذكر أن ذلك خاص به دون أمته ـ فدل ذلك على أن الأمة حكمهم في ذلك حكمه.
الثاني: عمل الصحابة رضي الله عنهم بمثل ذلك من الفراسة والكشف والإلهام والوحي النومي، كقول أبي بكر لعائشة لما أبطل نحلته لها عشرين وسقا، إنما هما أخواك وأختاك.
وقول عمر: ياسارية الجبل..فأعمل النصيحة التي أنبأ عنها الكشف.
ونهيه لمن أراد ان يقص على الناس وقال: أخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا.
وقوله لمن قص عليه رؤيا أن الشمس والقمر رآهما يقتتلان فقال: مع أيهما كنت؟قال: مع القمر،قال: كنت مع الآية الممحوة، لاتلي عملا أبداً.
شرط العمل على مقتضى الكشف والإلهام والفراسة والوحي النومي، إن هذه الأمور لايصح أن تراعى وتعتبر إلا بشرط أن لاتخرم حكما شرعياً، ولاقاعدة دينية (٦).

فإن مايخرم قاعدة شرعية أو حكماً شرعياً ليس بحق في نفسه، بل هو إما خيال أو وهم، وإما من إلقاء الشيطان. وقد يخالطه ماهو حق، وقد لايخالطه.
وجمع ذلك لايصح اعتباره، من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع، وذلك أن التشريع الذي أتى به رسول الله عام لاخاص.
وإذا كان كذلك فكل ماجاء من هذا القبيل مضاداً لما تمهد في الشريعة فهو فاسد باطل.
وعلى هذا، لو حصلت له مكاشفة بأن هذا الماء المعيّن مغصوب أو نجس، أو أن هذا الشاهد كاذب، أو أن هذا المال لزيد وقد تحصل بالحجة لعمرو، ومأشبه ذلك، فلايصح له العمل على وفق ذلك مالم يتعين سبب ظاهر.

فلايجوز له الانتقال إلى التيمم، ولاترك قبول الشاهد ولا الشهادة ـ الحكم ـ بالمال لزيد على حال، فإن الظاهر قد تعين فيها بحكم الشريعة أمر آخر، فلايتركها اعتماداً على مجرد الكشف او الفراسة، كما لايعتمد فيها على الرؤيا النومية.
ويبين وجه فساد ذلك بقوله: ولو جاز ذلك لجاز نقض الأحكام بها، وإن ترتبت في الظاهر موجباتها، وهذا غير صحيح بحال، فكذا مانحن فيه. وقد جاء في الصحيح «إنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأحكم له على نحو مأأسمع» أخرجه الشيخان.
وجه الاستدلال من الحديث: انه قيد الحكم بمقتضى مايسمع وترك ما وراء ذلك.
وقد كان كثير من الأحكام التي تجري على يديه يطلع على أصلها وما فيها من حق وباطل، لكنه عليه الصلاة والسلام لم يحكم إلا على وفق ماسمع، لا على وفق ماعلم، وهو أصل في منع الحاكم أن يحكم بعلمه.
إلى أن قال: وإن سيد البشر مع إعلامه بالوحي، يجري الأمور على ظواهرها في المنافقين وغيرهم وإن علم بواطن أحوالهم، ولم يكن ذلك بمخرجه عن جريان الظواهر على ماجرت عليه.
فالاعتبارات الغيبية مهملة بحسب الأوامر والنواهي الشرعية، ومن هنا لم يعبأ الناس من الأولياء وغيرهم بكل كشف أو خطاب خالف المشروع بل عدوا أنه من الشيطان (٧).

المبحث الثامن

هل الإلهام عند القائلين به حجة في مواجهة الغير، أم قاصرة للملهم؟

قال السبكي: الإلهام حجة في حق الملهم دون غيره، بذلك صرح الشيخ شهاب الدين السهروردي ومال اليه التفتازاني في بعض مصنفاته.

وجاء في البحر: وهذا النوع لاتتعلق به المصالح العامة من عالم الملك والشهادة، بل تختص فائدته بصاحبه دون غيره، إذ لم تكن له ثمرة السراية إلى الغير على طريق العموم، وإن كانت له فائدة تتعلق بالاعتبار على وجه خاص.
والوجه في ذلك: وإنما لم تكن له ـ الإلهام ـ السراية إلى الغير على طريق العموم عن مفاتيح الملك لكون محلها النفس وقربها من الأرض والعالم السفلي، بخلاف المرتبة الأولى وهو الوحي الذي قام بنقله الملك الملقي لأن محله القلب المجانس للوح الروحاني العلوي.
مايلحق بذلك: (النفث بالروع) قال: وبينهما مرتبة ثالثة وهي (النفث بالروع) يزداد بها القلب علماً بالله تعالى وبإدراك المغيبات، وهي رحمة خاصة تكون للأولياء فيها نصيب، وإنما يكون بعثا في حق رسول الله لا يتصل بروح القدس، وترد عليه كموجة ترد على البحر، فيكشف لرسول الله جبريل عقيب ورودها على جبريل عليه السلام، فتصير الرحمة بواسطة جبريل واصله إلى رسول الله بعثا في روعة (٨).
وجاء في كشف الأسرار للبزدوي:
والإلهام أيضاً عند عدم الدلائل الأربعة يكون حجة في حق الملهم لا في حق غيره كالتحري. لاعموم لحكاية الحال إذ الداخل في الوجود هو الواحد من الأحوال .كما في قولهم:فلان دخل الدار.
وهذا لأن الأصل ألايكون قول الراوي حجة، لأنه ليس بصاحب وحي، والحجة إنما هو الوحي أو الاجتهاد.
وإنما جعل الاجتهاد حجة ضرورة أنه حكى عن صاحب الوحي.والثابت بالضرورة يتقدر بقدرها، ولاضرورة في العموم (٩).
ولكن شارح العقائد النسفية تجاوز بالإلهام إلى كونه حجة على الغير أيضا حيث قال:
والظاهر أنه أراد أن الإلهام يحصل به العلم لعامة الخلق ويصلح للإلزام علي الغير، وإلا فلاشك أنه قد يحصل به العلم، وقد ورد به الخبر، وحكي عن كثير من السلف (١٠)■

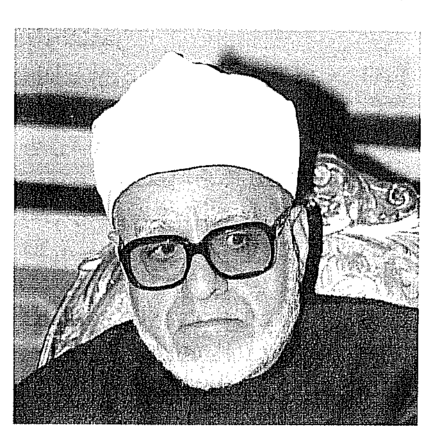
هوامش

١ـ الفتاوى جـ ٢/ ٢٢٦و٢٢٨بتصرف.
٢ـ الزركشي، البحر المحيط ٧/ ١٠٤.
٣ـ المين السندي، دراسات اللبيب جـ ١/ ٥٢.
٤ـ نفس المصدرجـ ١/ ٥٣.
٥ـ نفس المصدر/ ٦٧.
٦ـ الشاطبي، الموافقات
٧ـ الشاطبي،الموافقات جـ ٢/ ٢٥٩و٢٧٩ بتصرف
٨ـ السبكي، جمع الجوامع ٢/ ٣٩٨.
٩ـ كشف الأسرار جـ ٢/ ٥٩٠.
١٠ـ شرح العقائد النسفية ص ٢٤.

العامي المحض، كما لايعلم الكشف، لايعلم كيفية الاجتهاد



شيخ الأزهر يحذر من (صليبية جديدة)



حذر شيخ الازهر من (صليبية جديدة في البوسنة) في غياب عمل تقوم به الامم المتحدة ضد صرب البوسنة ودعا الجمعية العمومية للامم المتحدة لدورة خاصة لبحث العدوان على البوسنة لاتخاذ موقف دولي لوقف هذه المذابح حتى لا يسجل التاريخ صليبية اخرى .ودعا ايضا المؤسسات الدولية لان تتخذ الاجراءات الفورية لوقف العدوان الصربي على البوسنة وخروج القوات المعتدية من الأراضي التي احتلتها وعودة المطرودين الى ديارهم وضرورة رفع حظر السلاح عنهم لممارسة حقهم الشرعي في الدفاع عن انفسهم.

البنك الإسلامي يوافق على تمويلات بمبلغ ١٠١,٦ مليون دولار

اعلن البنك الإسلامي للتنمية يوم ١٩٩٥/٧/١٨ انه وافق على تمويلات بمبلغ ١٠١,٦ مليون دولار في دول اعضاء بالبنك كجزء من جهوده لزيادة التجارة البينية وتحقيق التنمية الاقتصادية في الدول الإسلامية.

وقال بيان للبنك انه خصص ٣٩,١ مليون دولار لتمويل مشروعات انمائية حيث خصص ٢٠ مليون دولار للبنان، و١١,١ مليون دولار للمغرب، وخمسة ملايين دولار لباكستان وثلاثة ملايين دولار للسنغال.

وقال البنك الذي يضم ٤٧ عضوا انه سيمول كذلك خمس عمليات تجارة خارجية بمبلغ ٦٢,٥ مليون دولار.

وستحصل الجزائر على ٢١ مليون دولار، وباكستان ٣٠ مليون دولار، وتركيا ١,٥ مليون دولار.

خطة يونانية لسحب الجنسية عن مسلمي تراقيا

اكد (طانير مصطفى اوغلي) رئيس جمعية التضامن لمسلمي تراقيا الغربية (مقرها اسطنبول) ان الحكومة اليونانية قررت سحب الجنسية اليونانية عن عدد من المسلمين في اقليم تراقيا الغربية.

جاء ذلك خلال ندوة عقدها مصطفى أوغلي مؤخرا في اسطنبول قال فيها:ان الحكومة اليونانية تعتمد خطة دقيقة وبعيدة المدى بهدف تقليص عدد المسلمين في تراقيا الغربية ومحاصرتهم، وذلك بتقليل عددهم من خلال سحب الجنسية عنهم وايضا الضغط والتضييق عليهم في الرزق حتى تجبرهم على الهجرة الى تركيا او الى بلدان اخرى.

ودعا مختلف المنظمات والهيئات الانسانية للضغط على الحكومة اليونانية للتراجع عن قرارها بسحب الجنسية عن عدد من المسلمين.

ارتفاع متوسط الاعمار في العالم

تبعا لتطور تقنيات الطب وابتكار قائمة طويلة من الادوية والعقاقير التي تعالج الامراض التقليدية مثل السرطان وامراض القلب والاوعية الدموية فقد اشارت احصائية طبية الى ارتفاع متوسط الاعمار في العالم ـ بإذن الله ـ من عام ١٩٧٠ ـ ١٩٩٥.

واوردت الاحصائية ان متوسط عمر الفرد في افريقيا اصبح ٥٥,٧ عاما و٦٧,٧ في آسيا و٧٢,٤ في امريكا اللاتينية ودول الكاريبي و٧٧,٣ في اوروبا و٨٠,٢ في امريكا الشمالية و٦٢,٢ في استراليا ونيوزيلندا. وبالنسبة للذكور فان متوسط اعمارهم في افريقيا بلغ ٥٢,٧ عاما وفي آسيا ٦٤,٩ وفي امريكا اللاتينية ودول الكاريبي ٦٧,٢ وفي اوروبا ٦٩,٣ و٧٣,٥ في امريكا الشمالية و٧١,٣ في استراليا ونيوزيلندا.

قلق ألماني بسبب تهديدات موسكو للدول الإسلامية النفطية المطلة على بحر قزوين

استقبلت الدوائر الالمانية بقلق شديد المذكرة الدبلوماسية التي وجهتها وزارة الخارجية الروسية الى حكومات جمهوريات قزقستان واذربيجان وتركمانستان معربة فيها عن استنكارها للمفاوضات التي تجريها هذه الدول المطلة على بحر قزوين مع شركات النفط الغربية لاستثمار احتياطي النفط الموجود في هذه المنطقة ويذكر ان عددا من المؤسسات الاقتصادية والمالية النفطية الالمانية تتفاوض حالياً مع هذه الدول للمشاركة في عمليات استغلال الثروات النفطية فيها.

وتفيد المعلومات المتوفرة في العاصمة الالمانية بون ان المذكرة الروسية التي اعلن مضمونها قبل ايام قليلة، تتضمن (تهديداً واضحا)من قبل موسكو في حال اقدام هذه الجمهوريات الاسلامية على تكليف شركات نفط غربية باستغلال حقوق النفط واحتياطيه فيها وانها تتضمن عبارات شديدة اللهجة مؤداها ان موسكو (لاتستطيع ضمان هذه الاتفاقيات وامنها وسلامتها).

كذلك ادعت المذكرة الروسية ان الخطوة التي اقدمت عليها هذه الدول تتعارض مع الوضع القانوني الدولي لبحر قزوين والالتزامات الدولية المفروضة على هذه الدول التي كانت جزءا من الاتحاد السوفياتي سابقا. واكدت ان روسيا الاتحادية تحتفظ لنفسها بحق اتخاذ الخطوات والاجراءات اللازمة لازالة الضرر الذي قد يقع على حقوقها، وهذا الجانب بالذات فسرته الدوائر الالمانية المختصة التي تحلل الوضع -الان - بانه تهديد روسي صريح، ولم تستبعد هذه الدوائر الالمانية ان تكون الخطوة الروسية هذه جاءت بالاتفاق مع ايران، وتحدياً للمصالح الغربية في هذه المنطقة المهمة من العالم.

من ناحية ثانية تشير تحليلات الاوساط السياسية والاقتصادية في بون الى ان موسكو تعتمد في خطواتها المتشددة هذه على اتفاقية قديمة معقودة بين الاتحاد السوفياتي وايران يعود تاريخها الى عام ١٩٤١، تعتبر فيه بحر قزوين بمثابة مياه داخلية ليس لها صفة دولية كاملة.

ويتوجب على الدول الواقعة عليه تقاسم ثرواته في مابينها وباتفاق صريح .الا ان الدول الاسلامية الثلاث ترى ضرورة تطبيق قوانين البحار الدولية على هذا البحر المغلق، بحيث يكون لكل دولة مياهها الاقليمية وجرف قاري خاص بها.

الإنجليزية تأتي أولا في ألمانيا

برلين: احتلت اللغة الانجليزية المكانة الاولى في تعلم اللغات الاجنبية كلغة ثانية للطلبة في المانيا.

صرح بهذا عالم اللغويات الالماني وولف جوير، واضاف ان اللغة الالمانية تراجعت الى المكانة الثانية بعد اللغة الانجليزية في المجالات الاقتصادية في المانيا.

واضاف ان اللغة الالمانية كانت حتى وقت قريب تأتي في المقام الاول في الاستخدامات العلمية والتعليمية في اوروبا الشرقية، كما انها كانت تستخدم في مجال الاعمال.

أمانة الأوقاف تطمح للتميز في أداء رسالتها الوقفية

وقع نائب الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف عبد الوهاب الحوطي عقدا مع احدى الشركات الوطنية لوضع خطة استراتيجية لاتصالات الامانة مع المتعاملين معها كالموظفين والمتطوعين الواقفين وذرياتهم والجمهور والاعلام والجهات الرسمية والرقابية وجمعيات النفع العام والجهات الخيرية المحلية والعالمية والمشاريع الاستثمارية والمؤسسات والمنظمات الدولية المشابهة.

وقال الحوطي ان الامانة العامة للأوقاف تطمح الى التميز دائما في اداء رسالتها الخيرية الوقفية داخل المجتمع الكويتي وخارجه احياء لسنة رسول اللهّ.

١٢٥٠ مساعدة من بيت الزكاة للأسر المتعففة

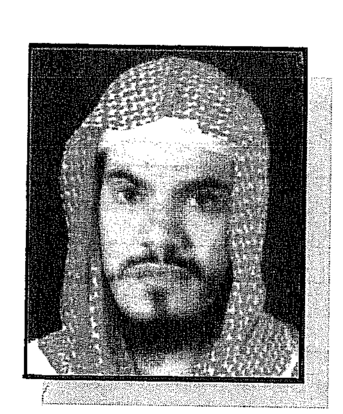
قال ساطع الخشرم مدير مكتب الاسر المتعففة في بيت الزكاة ان اهتمام البيت بالاسر المتعففة يأتي استجابة للتوجيه السامي لأمير البلاد ويأتي ضمن جهود البيت لتشجيع قيم التعفف في المجتمع وتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي بين افراده.

واضاف الخشرم ان البيت انفق (١,٥٧٣,٢٧٣)د.ك على هذه الاسر كمساعدات شهرية ومقطوعة وقروض حسنة وبلغ اجمالي هذه المساعدات (١٢٥٠) مساعدة .

وأوضح الخشرم أن مكتب الاسر المتعففة يسعى بشتى الوسائل المتاحة والموثوقة للوصول الى هذه الاسر لتقديم العون اللازم لها مراعياً جانب التعفف لديها.



استشهاد عادل الغانم في البوسنة



استشهد عادل محمد سلمان الغانم - وهو كويتي يبلغ من العمر ٣٠ عاما - في احدى معارك البوسنة والهرسك. وقد قضي عادل نحبه ضمن ٢١ شهيدا في معركة حدثت فجر يوم ١٩٩٥/٧/٢١ ضد قواعد صربية اسفرت عن خسائر بشرية ومادية للصرب.

وقال خليفة الغانم ان شقيقه قد غادر الى البوسنة قبل عام. وانه سبق له ان شقّ طريقه الى داخل الكويت وشارك في عمليات المقاومة الكويتية ضد الاحتلال العراقي على الرغم من وجوده خارج البلاد اثناء وقوع الغزو، كما شارك مع المجاهدين الافغان ضد القوات الروسية .واشاد بيان ارسلته المجموعة المقاتلة من مدينة زينيتشا إلى اسرة الشهيد، بشجاعته وبارتفاع معنوياته اثناء المعركة التي كان يقود سرية فيها.

تشكيل مجلس لادارة صندوق الزكاة القطري

صدر في الدوحة مؤخرا قرار أميري بتشكيل مجلس ادارة صندوق الزكاة وصرح مصدر مسؤول بمجلس ادارة الصندوق ان الهدف من انشاء الصندوق يأتي انطلاقا من كون الزكاة الركن الثالث في الإسلام، ومدى حاجة الناس لجهة تتولى جمع الزكاة وصرفها في الوجوه التي حددها القرآن الكريم.

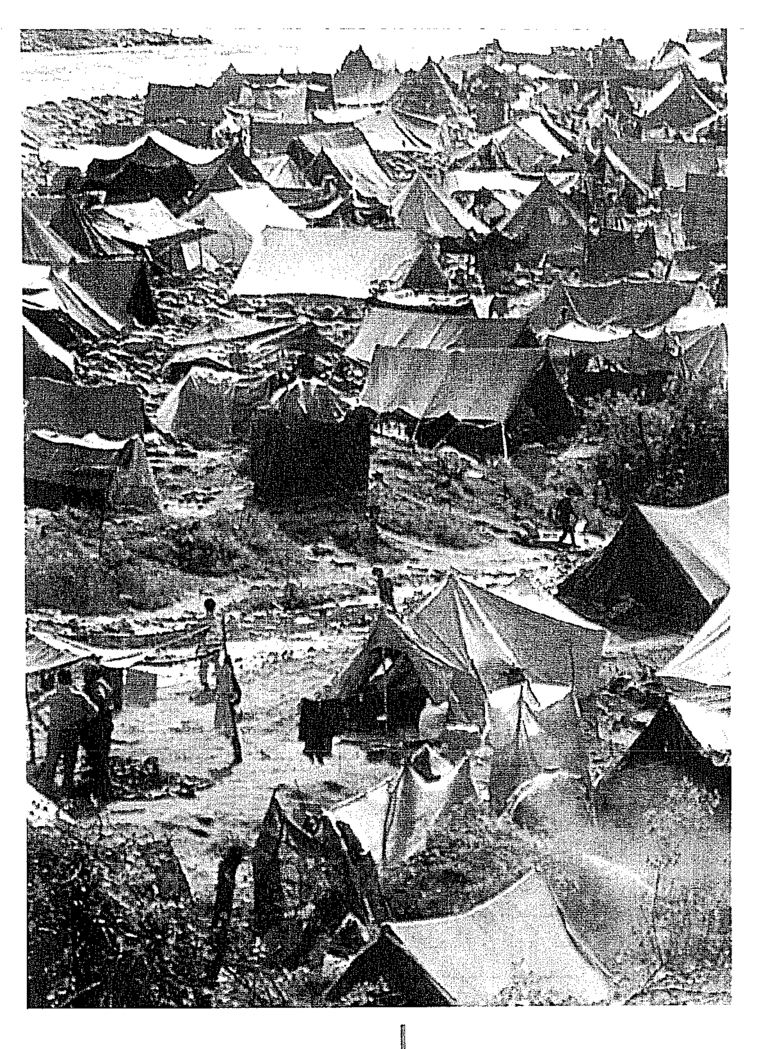
وكان القرار رقم ٨ لسنة ١٩٩٢م قد صدر بإنشاء الصندوق، ونصت مواده على ان يتمتع الصندوق بالشخصية الاعتبارية والاستقلال المالي والاداري، ويخضع لاشراف وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية. يرأس مجلس ادارة الصندوق الشيخ عبد الله بن خالد آل ثاني وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية، ومحمد عبد اللطيف المانع نائبا للرئيس،اضافة الى خمسة اعضاء.

نشاط تبشيري في نيجيريا!!

كشفت ملعومات موثقة حصلت عليها رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة ان الكنيسة الكاثوليكية الامريكية التي تحاول من وقت لآخر ان تحقق لها تواجدا كنسيا في القارة الافريقية عبر محطات عديدة من اهمها نيجيريا لان فيها نسبة كبيرة من المسلمين. وتؤكد الوثيقة ان الكنيسة الكاثوليكية قد عززت انشطتها مؤخرا في نيجيريا بعدما حصلت على موافقة الداخلية النيجيرية منح ٥٧٤ شخصا قادمين من نيويورك اقامة رسمية ولمدة سنتين وعلى كفالة الكنيسة في نيجيريا،واشار الخطاب الموجه الى ان هؤلاء الاشخاص يعملون في وظائف عديدة.

تهديد بمذبحة شاملة لمسلمي كاتانكودي

هددت عصابات مسلحة تابعة لنمور التاميل في سريلانكا بعمليات طرد جماعية للمسلمين من منازلهم ببلدة كاتانكودي الواقعة في مقاطعة باتيكالوا بشمال سريلانكا وقد صرح محمد حزب الله وزير المواصلات السريلانكي المسلم ان المسلمين استلموا رسائل تهديد تطالبهم بمغادرة منازلهم بداية من اول يوليو ١٩٩٥م واشار الوزير السريلانكي الى ان التاميل ارتكبوا منذ خمس سنوات مذبحة مروعة ابادوا فيها ١٤٠ مسلما وهم يؤدون الصلاة داخل احد المساجد ثم اعقبوها بمذبحة اخرى بعد تسعة ايام في بلدة ارافو الواقعة شمال (كاتانكودي) قتلوا فيها ١٢٢ مسلماً يذكر ان المسلمين يتمتعون في هذه المنطقة بثراء يجعلهم موضع ترصد دائم من قبل نمور التاميل الذين يطالبون بإقامة دولة مستقلة لهم في شرق وشمال سريلانكا.



٢٠٠ مليون دولار (لتحويل الفقراء الى اصحاب مشروعات)

يعتزم البنك الدولي تدشين برنامج قيمته نحو ٢٠٠ مليون دولار بهدف (تحويل افقر الفقراء في الدول النامية الى اصحاب مشروعات صغيرة) من خلال قروض صغيرة تصل الى ١٠٠ دولار لكل منهم. وسيقدم البرنامج المول البنك الدولي والولايات المتحدة ومساهمون اخرون قروضه من خلال (بنوك خاصة للفقراء في الدول النامية).

وقال جيمس وولفنسون رئيس البنك الدولي (القروض الصغيرة تساعد الناس على مساعدة انفسهم ببدء مشروعات واعمال على نطاق صغير). ويعتزم البنك الدولي المساهمة بنحو ٣٠ مليون دولار فيما يتوقع ان تقدم واشنطن نحو ٧٠ مليون دولار وكندا والاتحاد الاوروبي وفرنسا وهولندا المبلغ المتبقي.

وقال اسماعيل سراج الدين نائب رئيس البنك إن البرنامج (قد يفيد نحو ٥٠ مليون شخص على مدى ١٠ سنوات مقبلة لانه يمكن اعادة اقراض المال عدة مرات لانها تسدد عادة في اقل من عام) مضيفا إن (هذه ليست صدقات لانه يتعين تسديد القروض وفوائدها) لكنه حذر من أن البرنامج هو (قطرة في المحيط مقارنة بحجم الاحتياجات) أوعرب عن امله بان يكون نجاحه مثلا يحتذى وقال إن (التحدي الذي يواجهنا هو الوصول الى المزيد من الفقراء والوصول الى افقر فئات المجتمع) مضيفا أن (النتيجة قد تكون مذهلة وهي تحويل الناس الذين اضناهم شظف العيش والفقر المدقع الى اصحاب مشروعات قادرين على اعالة انفسهم) واطلق على البرنامج اسم (المجموعة الاستشارية لمساعدة افقر الفقراء).

فضيحة فساد في جهاز الامن اليوناني

انكشفت اكبر فضيحة فساد في جهاز الشرطة اليوناني، بعد إلقاء القبض على عدد من قيادات الامن في مدينة سالونيكي شمال اليونان لتورطهم في اعمال شبكة دولية لتجارة المتعة، من خلال إشرافهم على عمليات تهريب الفتيات من سني ١٨ الى ٢٢عاما من دول اوروبا الشرقية وروسيا الى اليونان عبر حدودها الشمالية مع بلغاريا، وحصولهن على الاقامة وتصاريح العمل في النوادي الليلية المشبوهة بمساعدة مسؤولي الشرطة في مقابل مئات الآلاف من الدرخمات اليونانية.

وقد اعرب سيفيس فاليراكس وزير النظام العام عن فزعه الشديد لفضيحة الفساد المروعة في جهاز الامن الذي يرأسه وذلك عقب القبض على عدد من مسؤولي الشرطة في بعض مدن شمال اليونان بتهمة التورط في هذه الفضيحة.

شعار أنقرة الجديد يثير أزمة رسمية

فجر شعار مدينة أنقرة بين محافظ العاصمة التركية ورئيس بلدية المدينة الإسلامي الذي نجح في انتزاع قرار من مجلس المدينة بتغيير شعارها الى رمز ديني. هدد المحافظ ايردوجان شاهين اوغلو بعدم السماح بعرض علم انقرة بعد ان ألغى الاسلاميون والقوميون في مجلس المدينة الشعارالسابق قرص الشمس وصمموا علما جديدا شعاره مسجد بمنارتين ونجوم.ويحل الشعار الإسلامي محل قرص الشمس الذي يرمز إلى حاضرة الحثيين القديمة التي حكمت آسيا الصغرى من عام ١٢٠٠قبل الميلاد.

ازدياد عدد السجناء في باريس

زاد عدد السجناء في العاصمة الفرنسية في اول يناير من العام الحالي بنسبة ٢،٥ بالمئة على ماكان عليه في عام ١٩٩٤.وقال تقرير رسمي ان عدد السجناء بلغ حوالي ٥٣ الفا و٩٠٥ مساجين. استفاد منهم حوالي ٣٥٠٠ سجين من العفو الرئاسي لمناسبة احتفالات الثورة الفرنسية. وذكر التقرير ان نسبة اشغالات سجون العاصمة بلغت حوالي ١٠٥ بالمئة في عام ٩٤ وارتفعت الى ١١٠ بالمئة هذا العام بسبب طول فترة السجن في الاحكام الصادرة على المجرمين،حيث زادت احكام المؤبد بنسبة ٦٩ بالمئة.

اليهود ونشاطهم الاستشراقي

عرض اليهود خدماتهم لمن يدفع، (فكما كانوا سماسرة في التجارة، فإنهم كانوا سماسرة في الثقافة.

٢/١

بقلم الدكتور: عبدالعال نوال راجي

لم يتعرض الإسلام لهجمة شرسة من طرف أمة من الأمم التي ارتبطت بالمسلمين كالتي تعرض لها من طرف اليهود. فقد وقفوا في وجهه منذ بداية الرسالة السماوية إلى يومنا هذا. واتخذ هذا الهجوم أوجهاً مختلفة فقد كان جدالياً عقائدياً، ثقافياً، عسكرياً. فكان اليهود يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويترصدون دائماً — وعبر التاريخ الإسلامي - الثغرات ونقط الضعف التي كانت تعتري مسيرته. يبرز نشاطهم العدواني ويخفت بمواز مع ضعف أو قوة المسلمين.

ولم يكن الوجود اليهودي غائباً عن الساحة الاستشراقية، بل كان يعرف إقبالاً كبيراً. ويشير الدكتور البهي إلى ملاحظة بعض المحدثين حول تفسير أسباب إقبال اليهود على الاستشراق وتتلخص هذه الملاحظة في أنهم أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية وسياسية. أما الدينية فإنها تتمثل في محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه بإثبات فضل اليهودية عليه وذلك بادعاء أن اليهودية في نظرهم هي مصدر الإسلام الأول. أما الأسباب السياسية فإنها تتصل بخدمة الصهيونية فكرة أولاً ثم دولة ثانية(١).

ويصعب التحديد التام لنشاط اليهود في الاستشراق. حيث انصهر نشاطهم في بوتقة التطور والتصور العام لهذا الميدان في أوروبا، فقد استطاع المستشرقون اليهود أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصراً أساسياً في إطار الحركة الاستشراقية الأوروبية النصرانية. فقد دخلوا الميدان بوصفهم الأوروبي لا بوصفهم اليهودي... وبذلك كسبوا مرتين: كسبوا أولاً فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها، وكسبوا ثانياً تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام. وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية المستشرقين النصارى(٢) وفعلوا نفس الشيء في أمريكا وفي أي مكان وجدوا فيه. لكن يجب الإشارة إلى ملاحظة مهمة ومبدئية وهي أنه لايوجد استشراق يهودي بالمفهوم الأكاديمي للكلمة. أي أن يتوفر على كيان ولغة ومدرسة وسمات خاصة تميزه عن باقي المدارس الاستشراقية كالاستشراق الفرنسي أو الألماني أو الهولندي مثلاً. وإننا حين نتكلم عن الحركة اليهودية في الاستشراق فإنما نتحدث عن أشخاص منفردين ينتمون إلى بلدان ومدارس وبيئات ولغات مختلفة، لايربط بينهم إلا الرابط الديني، وفي بعض الأحيان الدفاع المشترك عن الفكرة الصهيونية. فلايمكن مثلاً الحديث عن جولدزيهر Goldizher خارج نطاق الاستشراق المجري أو دراسة برنارد لويس B. Lewis خارج نطاق الاستشراق الأمريكي. ولامكسيم رودنسون M. Rodenson خارج الإطار الفرنسي، ولا يوسف شاخت Josef schacht خارج الإطار الألماني.

وبالتالي فلا يمكننا تتبع خطواتهم وعطاءاتهم إلا في نطاق مدارسهم وفي إطار انتماءاتهم الجغرافية واللغوية. ولهذا فلم يكن عملهم يمتاز بنسق موحد أو ينهج نهجاً خاصاً. وهذا يعكس مدى الصعوبة الجمة في تقييم دور اليهود في الزخم الهائل للظاهرة الاستشراقية وخصوصاً إذا علمنا أن ما كتب عن الإسلام - في القرنين الأخيرين فقط - تجاوز الستين ألف كتاب. وإن (شهد الربع الأول من القرن العشرين ظهور اتجاه يهودي مستقل داخل الاستشراق الأوروبي، شاركه في تقاليده العامة، وانفرد عنه - وهذه هي استقلاليته - بموقف أكثر تشدداً في فهم دور اليهود واليهودية في أصول الإسلام، وفي تاريخه. فالمستشرقون اليهود في القرن التاسع عشر لم يتميزوا عن المستشرقين الآخرين في المنهج، وفي الموقف من الإسلام»(٣).

١ - الترجمة اليهودية للمصادر العربية:

كان الاتصال اليهودي - الإسلامي مباشراً وجد مبكراً، حيث بدأ وانطلاق الدعوة الإسلامية التي تزامنت مع وجود اليهود المكثف في شبه الجزيرة العربية، ودورهم الكبير في محاجة الرسول (ﷺ)، وتأليبهم للقبائل وعرب قريش لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في المهد قبل أن يستفحل خطره.

لكن دورهم في إطار الحركة

الاستشراقية لم يبرز إلا في الأندلس مع بداية السقوط العربي وبالتحديد في القرن الثاني عشر، حيث قامت حمى الترجمة للمصادر العربية. واحتضنت مملكة قشتالة مجموعة من اليهود وهيأت لهم الأسباب والوسائل وأغدقت عليهم العطايا والهبات لترجمة المراجع العربية إلى اللغة اللاتينية خاصة مع جهل النصارى وعدم تمكنهم من اللغة العربية التي أتقنها اليهود. حيث كانوا يعملون مساعدين وكتبة مع العرب، ومنهم من ترقى ووصل إلى بلاط الخلفاء. الشيء الذي لم يتيسر للنصارى الذين لم يتقن منهم اللغة العربية إلا عدد ضئيل من الرهبان الذين ارتحلوا إلى الأندلس الزاهية للنهل من علومها وآدابها خصوصاً في ظل الحرية التامة التي تمتع بها اليهود والنصارى في ظل التسامح الديني العظيم الذي شملهم به المسلمون.

وقد عرض اليهود خدماتهم لمن يدفع، (فكما كانوا سماسرة في التجارة، فإنهم كانوا سماسرة في الثقافة... كانوا قنطرة تصل ما بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الأسبانية المسيحية... كانوا ينقلون الكتب العربية في العلوم والفلك والطب والفلسفة وسواها إلى اللغة (الإسبانية). لم تكن هناك لغة إسبانية في ذلك الوقت وإنما كانت هناك لغة يسمونها (الرومانثي) أي اللغة اللاتينية الدارجة التي أصبحت اللغة الإسبانية فيما بعد. وكل هذا جعل اللغة القشتالية أو الإسبانية تصبح لغة رسمية للدولة وهذا كان بناء على ما تلقاه الإسبان من الثقافة العربية وكان لليهود دور كبير في هذه الجهة)(٤).

وهكذا بغض النظر عن الدوافع والأهداف فقد قام اليهود بدور مهم في مجال نقل أمهات الكتب العربية إلى اللاتينية. ولم يقتصر نشاطهم بإسبانيا فقط بل انتقل إلى فرنسا وعدة دول أوروبية أخرى بعد أن انتقلت إليها عدوى الترجمة.

كما قاموا بنقل الكتب العربية إلى العبرية حتى يتمكن بنو جلدتهم من فهمها والاطلاع عليها والنهل من كنوزها حتى يسايروا عجلة التطور الحضاري. وهكذا لمع اسم يوحنا الإشبيلي (الذي تنصر)، وإبراهيم برجحة - المعروف بصاحب الشرطة - (وبينما هذان اليهوديان يكشفان بواسطة الترجمة للعالم الغربي أرسطوا المستعربة كان فريق يهودي آخر يحمل إلى إخوانه في الجنس وفي الدين الأفكار الفلسفية الجديدة والنظريات العلمية التي اكتشفها العرب وتوسعوا فيها. بأن نقلها من العربية إلى العبرية نقصد بهذا الفريق عائلة بن تابون اليهودية)(٥) وهم: (يهودا بن شاول بن تابون، صمويل بن يهودا، ماهر بن صمويل، موسى بن صمويل، ويعقوب بن ماهر).

وقد نقل يهودا قسماً كبيراً من نفائس الكتب العربية إلى اللغة العبرية، (وخلق مدرسة حقيقة للنقل من العربية إلى العبرية)(٦)

ولمع كذلك اسم إبراهيم بن عزرا الذي طاف معظم بلدان أوروبا ودرس في لندن (١١٥٦ — ١١٥٨) اللغة العربية والذي أرخ به العقيقي لبدء الدراسات العربية في انجلترا(٧) وأثر بن عزرا بنفوذه على الثقافة الناشئة في منتصف القرن الثاني عشر إذ حمل إلى أوروبا — وحيثما الحاجة إلى وجود مترجمين — اللغة والثقافة العربية الزاهرة، وحرص على أن تصل هذه المعارف في الحساب وعلم الفلك واللغة إلى اليهود المنتشرين في أوروبا.(٨).

٢ - التأثيرات الإسلامية على الثقافة اليهودية:

لايمكن بتاتاً التشكيك في أثر العطاءات الإسلامية على الثقافة اليهودية فقد كان التأثير ملحوظاً وبشكل جلي وعلى جميع المستويات اللغوية منها أو العلمية أو الفكرية وسواها.

ويقر أبا إيبان (نحن حقاً ندين بكل شيء في العصور الوسطى إلى ما تلقيناه عن العرب)(٩). وقد لعبت اللغة العربية دوراً أساسياً في إغناء اللغة العبرية واعترف يهودا بن تابون في رسالة إلى (رامي أشير): (إن اللغة العربية غنية جداً وواسعة ويسهل جدا بواسطتها التعبير في أي مادة من العلوم وعن أي تفكير بحذافيره لأن هذه اللغة متطورة إلى أقصى حدود التطور وليست مثل العبرية المحدودة الكلمات والتعابير إذ إنها تستقي كل شيء من التوراة وهذا غير كاف لجميع الضرورات فلا نستطيع نقل أفكارنا إلى اللغة العبرية بطريقة جميلة وواضحة ومعبرة مثلما نستطيع أن نفعل ذلك بواسطة اللغة العربية)(١٠). وهذا ما دفع الفلاسفة الأوائل من اليهود إلى الكتابة باللغة العربية ثم ترجمت أعمالهم فيما بعد إلى العبرية واللاتينية. وحتى الشعراء مثل سليمان بن جايرول وإبراهيم بن عازر والكاتب اليهودي مثل الحزيزي، كل هؤلاء كتبوا بالعربية ومن الطريف أن الحزيزي هذا كتب مقامات معارضة مقامات الحريري. فكلهم كتبوا متأثرين بالأدب العربي والموشحات والأزجال. وكان إحياؤهم للغة العبرية استمداداً من اللغة العربية(١١).

وكانت التأثيرات العربية في الشعر العبري الأندلسي أبرز دليل على المحاكاة وأحد أسباب تطور اللغة العبرية، ثم إن التطور والتجديد في الشعر العبري في الأندلس أدى إلى احتكاك مباشر بين العربية والعبرية، في وقت كانت فيه أحوال يهود الأندلس (ق١٥) مهيأة للقيام بنهضة الأدب العبري. واتخذ شعراء العبرية الأندلسيون الشعر العربي أنموذجاً احتذوا خطاه وساروا على نهجه وخلال مرحلة المحاكاة حدثت محاكاة لغوية عربية في الشعر العبري. وتنحصر هذه التأثيرات في ثلاثة مجالات أساسية هي: القصائد ذات اللغتين، والنحو والصرف، والألفاظ والدلالات(١٢).

وفي فترة إحياء اللغة العبرية في العصر الحديث اضطرت إلى سد النقص الهائل الذي واجهته لكي تتحول من لغة دين وطقوس وعبادة إلى لغة قادرة على الوفاء بمتطلبات الحياة اليومية ولغة العصر إلى استعارة عدد هائل من الكلمات والمصطلحات الأجنبية وعلى رأسها اللغة العربية. وعندما بدأ إلعازر بن يهودا — في بداية القرن العشرين — عملية إحياء اللغة العبرية اعتمد كثيراً على اللغات السامية وخصوصاً العربية لسد الفجوة بين اللغة المقدسة واللغة العبرية التي أراد أن يحولها إلى لغة حديثة وكتابة معاصرة لواقع الحياة اليومية(١٣). وأدخل اليهود إلى لغتهم العديد من القواعد والنظرات النحوية العربية.

ونقل اليهود كذلك في ميدان العمران، ويبدو ذلك واضحاً في العديد من بناياتهم العتيقة (فالواقع أن اليهود شاركوا في الحياة المدنية العربية في الأندلس، ولكن هذه المشاركة كانت عبارة عن تقليد لكل ما هو عربي، مشاركة تخلو فعلاً من الأصالة. إن الكنيسة الكبرى أو البيعة التي جددوها في طليطلة عندما تنظر إلى نقوشها وإلى عمارتها وديكورها تجد أنها إسلامية تماماً وهي في حقيقة الأمر تكاد تكون

بغض النظر عن الدوافع والأهداف فقد قام اليهود بدور مهم في مجال نقل أمهات الكتب العربية إلى اللاتينية

كانت التأثيرات العربية في الشعر العبري الأندلسي أبرز دليل على المحاكاة وأحد أسباب تطور اللغة العبرية،

مسجداً)(١٤).

وفي مجال الفلسفة تعتبر الأندلس العربية أهم عصور الثقافة اليهودية القديمة التي عاشت على هامش الثقافة - العربية. وكان هناك فلاسفة مثل موسى بن جيبرول وموسى بن عزرا ويهودا الليف وموسى بن ميمون وكلهم كانوا ناقلين عن الثقافة العربية (١٥) والواضح أنه لم يكن لديهم فكر خاص بهم يتمتع بميزة أو خاصية وإنما كان فكرهم خاصاً بهم يتمتع بميزة أو خاصية وإنما كان فكرهم مستمداً لأهم عناصره وخطوطه الرئيسية من فكر ابن رشد وابن طفيل وابن باجة، بالخصوص لمعايشتهم لهم بأرض الفردوس المفقود. ويشكل عطاء بن ميمون وباهيا بن فاقودة وغيرهما دليلا دامغاً على مدى تأثر واعتماد الفلسفة اليهودية الأولى على إنتاج الفلسفة الإسلامية المعاصرة لها.

وحاول بعض علماء اليهود - كنحميا الموفي - أن ينفوا أي تأثير عربي عليهم ويكذبوا كل قول بذلك، ويعزوا النهضة العبرية في القرون الوسطى لا إلى الرفاه الاقتصادي ولا إلى الاستقرار السياسي ولا إلى مايفوق هذا وذاك أي التسامح الديني الذي تمتع به اليهود تحت الحكم الديني ولكن إلى الشعوبية وأنصارها الذين تمردوا ضد الحكم الإسلامي. إلا أن الكم الهائل من المراجع والوثائق العبرية والأجنبية والعربية التي تؤكد هذه النهضة العبرية لم تكن في الواقع - مع الالتزام بأقصى درجات الموضوعية العلمية - إلا محاكاة للعرب(١٦).

وقد حاولت بعض الجهات الأخرى إضفاء طابع الشراكة التامة على عطاء اليهود في الأندلس وجعله على قدم المساواة مع عطاء العرب. وهذا ما حذا بموسوعة (دائرة المعارف البريطانية»)أن تفترض وتتحدث عن حضارة ذات طابع عربي عبراني في طليطلة كما في حواضر أندلسية أخرى في القرن الحادي عشر (١٧) وهذا ما ذهب إليه سيمون الحايك كذلك.

٣ - المستشرقون اليهود والإسلام:

أتيح لليهود التعرف على حقيقة الرسول وإدراكهم لصدقه ومعرفتهم لأخلاقه وصفاته - لمعايشتهم المباشرة له - الأمر الذي جعلهم على معرفة أوثق بالإسلام ورسوله (ﷺ)، ولم تتوفر لنصارى أوروبا هذه المعرفة عن قرب أو العيش تحت ظل الإسلام كماتوفر لليهود. بل إن الصورة قد وصلتهم محرفة ومشوهة عن الإسلام ونبيه. فكان هذا فارقاً مهماً في معرفة كلا الطرفين للإسلام وأدى إلى اختلاف الشبهات المثارة من الطرفين كليهما من حيث العموم وإن كان هذا لايطرد في كل شبهة ولا في كل مستشرق يهودي(١٨).

واتجه اليهود — في العصر الحديث - إلى دراسة الإسلام: كل في إطار انتماءاته، من جميع جوانبه ونواحيه حتى الأركيلوجية منها. فقد استطاع اليهودي الفرنسي هاليفي J.Halevy أن يخترق اليمن على هيئة يهودي متسول من أهل القدس - لعلمه بأن المسلمين لايلحقون الأذى بأهل الذمة - فوصل نجران ومأرب وصرواح وأحضر معه ٦٨٦نقشاً جمعها من تلك الأصقاع ونشرها في المجلة الآسيوية الشهيرة (١٩). واشتهر المستشرق اليهودي دافيد كوهن Daved Cohen (فرنسي) في مجال دراسات اللغات السامية بالمغرب العربي، والذي أصدر دراسة حول (الكلام العربي ليهود تونس) كما خصص دراسة عميقة عن (اللهجة العامية الحسانية) في موريتانيا (٢٠) واهتم فادا Vajda بالعلاقات اليهودية العربية في مجال الفكر(٢١). وشملت اهتمامات المستشرقين اليهود القرآن والسنة والحديث والفقه والأدب والفنون وغيرها.

وكثرت عطاءاتهم، وسادت فيها نغمة تقول باعتماد الإسلام على اليهودية سواء في نصوصه أو تشريعاته أو حضارته. وهذا قول ليس بالجديد، فهو فكرة رددت في بداية الاحتكاك اليهودي — الإسلامي الأول. فقد أورد المستشرق إبراهام جايجر Abraham Geiger في كتابه (ماذا اقتبس محمد عن اليهودية) حادثة نقلاً عن رواية للبيضاوي مفادها: أن عمر رضي الله عنه دخل مدارس اليهود يوماً فسألهم عن جبريل. فقالوا ذلك عدونا ويطلع محمداً على أسرارنا وأنه صاحب كل خسف وعذاب... وميكائيل صاحب الخصب والسلام. فقال: وما منزلتهما من الله تعالى؟ قالوا:جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة، فقال: لئن كان ما تقولون فليسا بعدوين ولأنتم أكفر من الحميريين. ومن كان عدو أحدهما فهو عدو الله تعالى. ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه الصلاة والسلام: (لقد وافقك ربك يا عمر).(٢٢)

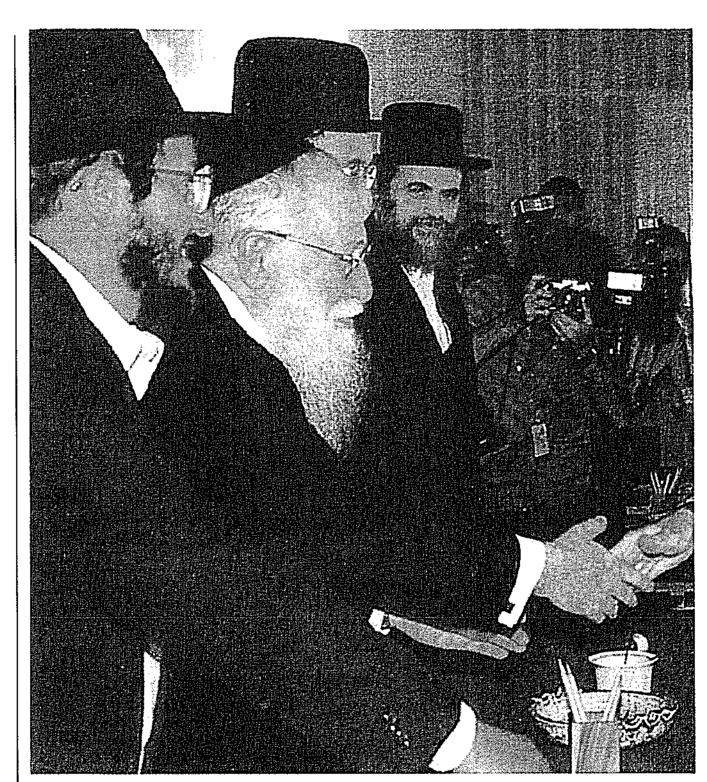
وتجدر بنا الإشارة كذلك إلى أن مواقف المستشرقين اليهود من الإسلام وتراثه كانت — لا أقول متذبذة وإنما - مخضعة ومتماشية مع مصالحهم - كما عهدنا فيهم دائما — فنجد جولد زيهر (١٨٥٠— ١٩٢١)، [وهو أشهر المستشرقين اليهود على الإطلاق. واعتبر المؤسس الحقيقي للدراسات الإسلامية في أوروبا. وكان دراساً متعمقاً للسنة والفقه الإسلامي. انتقلت مكتبته الكبيرة والغنية بالمخطوطات الإسلامية إلى الجامعة العبرية بالقدس سنة ١٩٢٥ بعد وفاته (٢٣)، باعتباره إسرائيلي الديانة اعتقد إمكانية استيعاب الديانة الإسلامية بمقابلتها مع الديانة اليهودية (٢٤) ولكن وبعد أن عرفت الدراسات العربية للإسلام نوعاً من الروح العلمية، وبدأت الدراسات النقدية للعهد القديم Old Tastement، الذي اعتبر مجموعة من القصص المزورة زخرفها شعب متأزم عن نفسه وتاريخه، حاول اغنتس جولد زيهر تمييز نفسه بل واليهود عن الغرب والانحياز للتقليد الشرقي الصافي في الدين... ولذلك اتجه همه لتثبيت المشرق باعتباره وحدة حضارية إطارها العام الإسلام وبداخلها ثقافات وأديان فعالة وحية ومتعايشة، وبينها من التنافس مالايصل بها إلى درجة التصارع والإفناء(٢٥).

ومثال آخر على مواقف المستشرقين اليهود بتغير مصالحهم: محاولتهم المستميتة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين (الجهلة، المتخلفين، الأميين) خدمة لمشروعهم الصهيوني وتبريراً لاغتصاب أرض فلسطين الطاهرة. ويمثل برنارد لويس النموذج والمثال الحي لهذا الاتجاه. فقد ذهب إلى القول إن الإسلام عقائدية لا سامية لادين فقط، وأن المسلمين طبعاً ليسوا لاساميين بالطريقة التي كان بها النازيون غير أن دينهم يمكن بسهولة بالغة أن يسلم نفسه (للاسامية) وأنه في الواقع قد فعل ذلك، ويعلن برنارد

لويس أن الإسلام ظاهرة قطيعية أو جماهيرية لاعقلانية تسيطر على المسلمين بالشعور الانفعالي والغريزة والأحقاد الجارحة كما أنهم مدمنون على الأسطوريات(٢٦)، ولايزال برنارد لويس يدرس الكثير من الأفكار الصهيونية في الجامعات الأمريكية ومروجاً لها بين الأوساط العلمية خاصة وأنه تخرج على يديه المئات من الطلبة العرب والمسلمين الأمر الذي وصم دراسته بوصمة التحامل وعدم الموضوعية وتكريسها لتحقيق أهداف سياسة لا علاقة لها بالبحث العلمي(٢٧).

وأصدر الأنثربولوجي الصهيوني رافييل باتاي R. Patai كتابه المعروف (العقل العربي) الذي ادعى له الميدانية والعلمية. وتوصل فيه إلى أن العرب بطبعهم أنانيون وسوداويون يكرهون أنفسهم والآخرين(٢٧م).

وشكك كلود كوهن ومعه برنارد لويس وغيرهما في الفتوحات الإسلامية وصوروها بأنها ارتجالية هدفها الغالب القوي رغبة أبي بكر - رضي الله عنه - شغل العرب عن أنفسهم وخصوماتهم وإغرائهم بالغنائم المادية. وذكروا بأن عوامل الفتح



الإسلامي وسهولته تكمن في وجود العرب في الشام والعراق ومصر الذين اعتبروا العرب من بني جنسهم يربطهم بهم مالايربطهم بأولئك الحكام السابقين من الروم والفرس. وأضاف المستشرقون اليهود - كغيرهم من النصارى - بأن الجهاد إنما كان لإخضاع الأعاجم إلى سلطان العرب قبل كل شيء وإلى مد الأمة الإسلامية.

وأسرفوا كثيراً في ادعائهم بأن الدوافع الاقتصادية كانت أهم عوامل الفتح الإسلامي من أجل الحصول على غنائم كثيرة واستبدال العرب صحاريهم الجرداء التي لم تنتج لهم إلا حياة تقوم على البؤس بتلك الأقطار ذات الترف والنعيم(٢٨). ■

الهوامش

١ - نقلاً عن كتاب (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري» د. محمد حمدي زقزوق/ ص ٤٩و٥٠.

٢ - د. زقزوق / المرجع السابق/ ص ٤٩ - راجع كذلك جريدة (العالم الإسلامي» السعودية ص ١٥ عدد ١٩٢٥ - في ١١/١/١٩٩٣.

٣ - د. رضوان السيد/ مجلة (رسالة الجهاد» الليبية/ عدد ٧٥و٧٦.

٤ - د. محمد علي مكي/ مجلة (الحرس الوطني» السعودية / ع١٢٦ - ص ١١٠.

٥ - د. سيمون الحايك (تعربت وتغربت» ص ٥٥١. وقد خص المؤلف فصلاً من كتابه للمترجمين اليهود. ويدهشك فيه بتباكيه على اليهود واستدرار العطف عليهم فهم (الشعب المظلوم والمشرد عبر التاريخ!».

٦ - نفسه/ ص ٥٥٢.

٧ - راجع مقالنا (الاستشراق الانجليزي» ملحق الفجر الإسلامي للعلم/ ع. ٦٢. ص٧.

٨ - د. الحايك/ مرجع سابق ص ٥٦٢.

٩ - انظر مجلة (الحرس الوطني» /ع ١٢٦ - ص ١١٠.

١٠ - نقلاً عن سيمون الحايك/ مرجع سابق/ ص٥٥٣و٥٥٤.

١١ - د. مكي / مرجع سابق/ ص ١١٠.

١٢ و١٣ - جريدة (الحياة» اللندنية/ عدد ١٠٩٧٠ - في١٣/٢/١٩٩٣.

١٤ - د. مكي/ مرجع سابق.

١٥ - يهود الأندلس/ مجلة(الشرق الأوسط» السعودية/ ع ٣٤٥ - ص ٢٠.

١٦ - جريدة (الحياة) - في ٢٣/٢/١٩٩٣.

١٧ - جريدة الحياة في عدد ١٠٩٦٢/ ١٥/٢/١٩٩٣.

١٨ - مجلة (المنهل» السعودية/ ع٤٧١ - ص ٣٧ - عدد خاص بالاستشراق.

١٩ - د. سامي سالم الحاج/ الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية - المجلد الأول - ص ١١٤.

٢٠ - نفسه/ ص١٢٢.

٢١ - نفسه / ص١٢٦.

٢٢ - نقلاً عن (المستشرقون والقرآن»/ عمر لطفي العالم ص ١٧.

٢٣ - الظاهرة الاستشراقية/ مرجع سابق/ م ١ - ص٢٠٧.

٢٤ - نفسه/ ص٢١٢.

٢٥ - مجلة (رسالة الجهاد» ع٧٥ - ص ٧٥و٧٦.

٢٦ - راجع« الاستشراق» إدوارد سعيد/ ص ٣١٤و٣١٥.

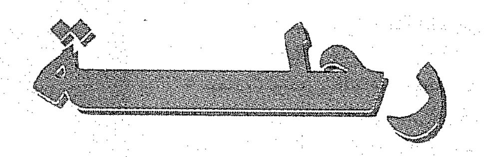
٢٧ - الظاهرة الاستشراقية/ م١ - ص١٧٩ و ٢٧٤.

٢٧ مكرر - «رسالة الجهاد» عدد ٧٥ - ص٨١.

٢٨ - راجع دراسة حول الفتوحات الإسلامية والمستشرقين للدكتور جميل المصري/ (المنهل» ع٤٧١.

مواقف المستشرقين اليهود من الإسلام وتراثه كانت مخضعة ومتماشية مع مصالحهم

خاطرة



رحلة

بقلم / عمر فتال

«شيء غير معقول» «هذا مالم يكن في الحسبان» «إذن من الأفضل أن نعود من حيث أتينا» «وماذا سنجني إذا نحن همنا على وجوهنا طيلة ساعات بعينها؟!».. هكذا تتابعت احتجاجاتنا على نفس الوتيرة، وبجدية ممزوجة بغضب أفصحت عنه حركات الأيدي المتشنجة، وتحريك الرءوس يمنة ويسرة، واصدار الزفرات تلو الزفرات.. وحق لنا كل ذلك حتى وإن كنا قبل نصف ساعة من هذا نملأ فضاء الحافلة التي أقلتنا إلى هنا، مرحا وحبوراً، وضحكا مسترسلا، وترقبا دائبا لبلوغ النقطة المحددة بين هذه الفينة والأخرى. أجل جاز لنا أن نغضب، ونحتج على المنظمين للرحلة. فكيف يعقل أن يصلوا بنا إلى هنا في هذا المكان الساحر المليء بالآثار التاريخية، والمناظر الطبيعية الخلابة، وبعدها يطالبوننا بأن نسيح في غياب خدمة مرشد مختص عارف بخبايا، ومكنونات المنطقة، سالك لطرقها الميسرة منها والوعرة، وفي ظرف كم ساعة؟! لا تستغربوا، فقد حددوا لنا المدة في ست ساعات على الأكثر، وهددوا من تأخر بألا يلومن إلا نفسه إذا هو وجد الحافلة قد برحت المكان؟!...

«وما الهدف من الرحلة إذا لم تقفوا بجانبها، وترشدونا، وتيسروا أمر استجمامنا وفائدتنا؟!» بهذه العبارة أميط اللثام عن سلسلة احتجاجات جديدة بدت هذه المرة أكثر حدة، وكأنها لا تصدر عن أناس جمعتهم الألفة والمحبة، والرغبة في الاستمتاع والراحة وكسرطوق الرتابة. اختلطت الأصوات، وكادت أن تتحول إلى سباب لو أن المنظمين للرحلة رفعوا الحدة من جانبهم، إذ العكس هو الذي حصل، فقد لاذوا بالصمت كلية دون أن تتغير ملامحهم، ولما ظهرت معالم فتور على ثائرة المحتجين، أخذ الكلمة واحد من المنظمين، وبصوت البريء راح يتكلم، ونحن ننصت إنصات الرافض سلفا لما سيقال: «المسألة يا إخوان مسألة مادية محضة، لأننا اتفقنا مع الشركة المالكة للحافلة على أن تكون نقطة الوصول هي هاته التي نقف على أرضها، والسبب هو أننا لا نرغب أبدا في إثقال كواهلكم بمصاريف زائدة...» انفلت الزمام من يده لتعلو احتجاجاتنا مجددا.. مرت دقائق حينما استرده قائلا: «والآن ما رأيكم في أن نلجأ إلى حل وسط» فمن كان منكم يرغب في أن يستفيد من خدمات المرشد الحاضر معنا هنا في الحافلة فعليه أن يدفع قدرا إضافيا من النقود، ومن رفض ذلك فهو حر لكن نريده هنا في غضون ست ساعات لا أكثر.. إذن على بركة الله احسموا في الأمر فالوقت محدود، ولا حل غير هذا الحل.. «فما كاد صاحبنا ينهي كلامه حتى هدأت ثائرتنا، وانتفت من ذواتنا كل بقع الغضب، وفي تعبير فريد عن قبول الاقتراح ركبنا الحافلة واحدا في أثر الآخر، وقد دبَّ الانتعاش في أوصال بهجتنا ومرحنا، وعلت الأصوات وكأنها على اتفاق مسبق: «أين أنت يامرشد اشرع في عملك فعمر الرحلة قصير جدا» تحركت الحافلة ببطء شديد، وفي الحال تعلقت أعيننا بالمرشد تماما كما تتعلق أعين السامرين بالبدر عندما يتخلص من إسار سحابة كثيفة! تنحنح مرشدنا، فأسلمناه آذاننا ومعها عقولنا!.. لا يمكن أبدا أن تتصوروا ماذا رأينا بأعين مرشدنا ذاك، ولا ماذا استفدنا طيلة الست ساعات المحددة. صدقوني فلو سمح لنا المنظمون بشهر كامل ما حصلنا على نظير ما حصلنا عليه في معية ذلك المرشد الكفء! أنا واثق من أنني حركت صفحة شوقكم إلى معرفة بعض تفاصيل هاتيك الرحلة؛ لكن مع هذا لا تستغربوا إذا قلت لكم إن ذاكرتي لم تعبأ مطلقا بتسجيل تلك التفاصيل التي ترغبون في سماعها لسبب واحد وهو أنني في قمة نشوتي وبهجتي بما شاهدته وسمعته خلال الست ساعات المذكورة، وجدت عقلي يخلد إلى تأمل عميق، ونفسي تصفو صفاء تاما، وقلبي يخفق بحب شديد لكتاب الله وسنة رسوله المصطفى عليه الصلاة والسلام. فقد تقولون وما علاقة هذا بذاك؟! أجل فقد عدت من الرحلة وأنا أكثر حبا لكتاب الله وسنة رسوله، وكيف لا؟! وقد تجسدت لي حياة الانسان القصيرة على ظهر البسيطة في رحلتنا تلك، وضرورة وأهمية اتباع ما أمر به الله ورسوله، واجتناب مانهيا عنه في ارشادات الدليل الذي أنار دروبنا، واستثمر ساعاتنا القصار، وحول ثائرتنا إلى راحة بال، وجهلنا إلى معرفة، وفرقتنا إلى ألفة، وتباغضنا إلى محبة ووئام... أليس إذن من واجب الإنسان أن يخضع خلال رحلته العابرة في هذه الدنيا الفاتنة لإرشاد كتاب الله وسنة رسوله حتى لا يركب صهوة التيه والضلال والانحراف، الذي يجعل سنينه المعدودة على الأرض شقاء مقيتا، وتعاسة شوهاء، فضلا عما ينتظره من عذاب أليم في دار البقاء الأبدي■

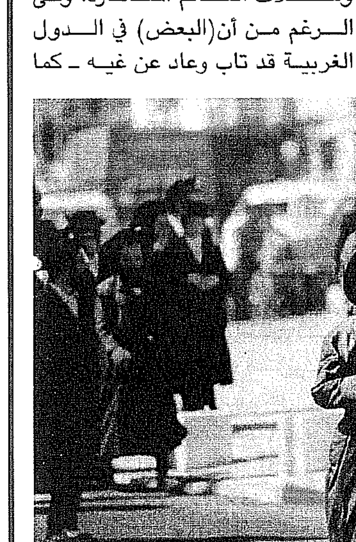
> أليس إذن من واجب الإنسان أن يخضع خلال رحلته العابرة في هذه الدنيا الفاتنة لإرشاد كتاب الله وسنة رسوله

ردا على التشويه والتحريض في الغرب :

الإسلام هو من يصنع السلام في الشرق الأوسط والبوسنة

بقلم :رجـــاء مبيض
صحافي وباحث سوري.

من جديـد بدأت الأصـوات ترتفع في الغرب مندّدة بالإسلام وداعية إلى التصـدي له بحجـة أنه بـات يشكل الخطـر الوحيـد على النظام العـالمي الجديد،وأن الدور الـذي يضطلع به خلال هذه الحقبة بالذات ينطوي على تحديات خطيرة جداً بـالنسبة للنظم الـديمقـراطية في الـدول الغـربيـة. ولايتوقف الأمر عنـد هذا الحد بل إن ثمة كتابا ومفكرين غربيين يزعمون الآن بأن الاسلام هـو الايديولـوجيا الوحيـدة القائمـة في هذا العصر ،وأن هذا الأمر يتناقض — بصورة جذرية حسب زعمهم ـ مع المتغيرات الدولية التي تمثلت بـــانهيـــار كل الايديولوجيات الغربية والشرقية على السـواء. ومن يقـرأ مـاكتبـه المفكـر الغـربي (مـاكس سنغـر) صـاحب كتاب (النظام الـدولي الحقيقي) فانه يصاب بالغثيـان الفكري والسياسي لكثرة الاتهامات التي يوجهها سنغر إلى الإسلام ليس كفكر فحسب ولكن كموقف حضـاري وأيـديولوجي على السواء. ومما يقولـه سنغر بالحرف الـواحـــد:(إن الإســلام هـــو الايديولوجيا الوحيدة في عصر النظام الـــدولي الجديـد الـــذي يهدد حكم القـانون الـذي يعد شرطـاً أساسيـاً للديمقراطية والانتـاجية)وطبعا فان سنغـر هنـا يعبر عـن وجـود تيـار متعاظم في الـدول الغربيـة ينظر إلى الإســلام مثل هـذه النظرة السلبيـة التي تحمـل في طيــــاتها الكثير من الاحقاد التـاريخية والايـديولـوجية ومشـاعر تعـد من مخلفـات الماضي الذي يدعـو سنغر إلى تجاوزه في ظل مـايسمى بالنظـام العالمي الجديـد. وتكمن المشكلـــة في أن مثل هـــذه الأفكار والنظريـات تلقي رواجاً كبيراً في مختلف الـدول الغـربية لأن المنـاخ العام السائد فيهـا يشجع على انتشار كل التيـارات والمواقـف المعـاديـــة للاســلام والمسلمين. وتلعب المنظمات الصهيـونية واليهـوديـة دوراً خطيراً للغـــايــة في الترويج لهذه الافكـــار وتـوسيع دائرة انتشـارها السيـاسي والاعلامي. وكـانت تقاريـر قد نشرت حديثـاً قد اظهـرت بأن هذه المنظمات تعقد المؤتمرات والنـدوات العامـة من اجل تأليب الـرأي العام الغـربي ضد الاســلام وتقـديم مجمـوعـــة من الاضاليل والاراجيف التي تتحدث عن الخطر الاسـلامي وعن ضرورة اتخاذ اجـراءات عملية لمواجهـة هذا الخطـر حفاظـاً على الديمقـراطيات الغـربية، ومن اجل الحيلـولـة دون تعـاظم المد الاسـلامي على السـاحـــة الـدوليـة. ويشارك في هذه النشاطـات المشبوهة العديـد من المفكرين الغـربيين الذين يتم تجنيدهم وشراء أقـلامهم لتدبيج المقـالات والافتراءات الكـاذبـة ضـد الاسـلام واظهاره امـام الرأي العـام العالمي وكـأنه(الغـول) الذي يحاول ابتـلاع الحضارة الغـربية والقضـاء عليهـا في رفـة عين. وقــد وقـع عـدد لابأس منه من هؤلاء المفكرين ضحية لهذه الخطط الصيهـونية واليهـودية التي أخذت تتفاقم في كل البلدان دون أن يترك أية فرصة أمام الطرف الآخر لكي يأخذ أنفاسه ويـدافع عن موقفه ويجلي الحقــــائق التـي لحق بها التشويه من كـل حدب وصوب حتى ان مسـؤولين كبـارا في الغــرب قـد تورطوا في هذه الـدسائس والحملات التحريضيـة واكتشفوا بعـد حين أن الإسلام ليس بالبشاعة التي صورت وأنـه مجمـوعـة من القيم الفكـريـة والحضارية والسياسية التي تعبر عن مـوقف معين من الحياة والـوجـود ومشكـلات العـالم المعـاصرة. وعلى الـــرغم مـن أن(البعض) في الـــدول الغربيـة قد تاب وعاد عن غيـه ـ كما




مسؤولين كبارا في الغرب قد تورطوا في هذه الدسائس والحملات التحريضية واكتشفوا بعد حين أن الإسلام ليس بالبشاعة التي صورت

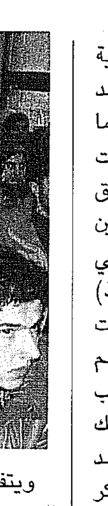
الدول الغربية لاتسمح بتقديم وجهة النظر الأخرى التي تفصح عن جوهر الاسلام وعن سعيه الحثيث نحو تدعيم الاستقرار العالمي

يقال — الا ان الحملات التشويهية والتحريضية ضد الاسلام قد تواصلت في كل الأوقات والمراحل مما يكشف النقاب عن وجود مخططات موضوعة سلفاً من اجل إلحاق أكبرضرر بالإسلام والمسلمين وتشويه كل الحقائق والمعطيات التي تؤكد بأن الاسلام هو (المنقذ) الوحيد للكثير من المعضلات والمشكلات المزمنة التي تواجه العالم في هذا العصر القائم على الجانب المادي والرافض لكل أنماط السلوك التي تدعو إلى الروحانية وتجسد بالتالي المفهوم الواسع النطاق للفكر الايماني سواء على الصعيد الاقتصادي او على المستوى السياسي والاجتماعي.

الإسلام والتطرف

وكما يقول الخبراء فان هذه الحملات المكثفة قد نجحت في تحقيق الكثير من أهدافها وذلك على خلفية الجمع بين الإسلام والتطرف. فهم في الغرب لديهم قناعة راسخة الآن بأن حركات التطرف في الشرق الأوسط ومناطق أخرى من العالم هي التي تجسد الاسلام وأن هذا الأخير في جوهره يعد ايديولوجيا متطرفا وانه ينبغي محاربته ومكافحته على هذا الأساس. فالحركات الأصولية التي يتعاظم نفوذها في أماكن مختلفة من المنطقة ينظر اليها في الدول الغربية بأنها تشكل العمود الفقري للإسلام وان هذا الوضع لايمكن السكوت عليه لان الامر قد يقود الى الكارثة حسب تصوراتهم وطروحاتهم التلفيقية.

وتقوم وسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في الدول الغربية بتعقب كل النشاطات التي تقوم بها الحركات الأصولية وتقدمها للرأي العام على أنها التجسيد الواقعي للفكر الإسلامي الذي يرفض الحضارة الغربية ويسعى إلى تدميرها والقضاء على القوى الديمقراطية الممثلة لها.



ويتفنن خبراء الاعلام والدعاية الغربيين في العزف على هذه الأوتار بهدف خلق هوة كبيرة بين الاسلام كموقف حضاري انساني والرأي العام العالمي الذي لم يعد يرى في الاسلام سوى حركات التطرف التي تمارس الارهاب وتقوم بكل مامن شأنه ان يهدد الامن والسلام الدوليين. وماطرحه ماكس سنغر عن الإسلام ليس سوى غيض من فيض. ففي كل يوم يصدر كتاب أو تنشر دعاية جديدة تحاول أن تشوه صورة الإسلام وأن تجعل منه الخطر الكبير الذي يتوجب على المجتمع الدولي التصدي له ومنعه من تحقيق الأهداف المزعومة التي يعمل لاجلها والقائمة على عرقلة التطور الحضاري والانساني واعادة البشرية الى الوراء.. ومايزيد الطين بلة هو ان الدول الغربية لاتسمح بتقديم وجهة النظر الأخرى التي تفصح عن جوهر الاسلام وعن سعيه الحثيث نحو تدعيم الاستقرار العالمي وذلك من خلال مشاركته في صنع السلام سواء في الشرق الأوسط أو في البوسنة والهرسك. ففي ظل الهيمنة الاعلامية المفروضة داخل هذه الدول فانه يتعذر ان يتم الترويج للأفكار والنظريات الصحيحة وكأن السيناريو المرسوم لهذه المؤامرة القذرة قد أخذ بعين الاعتبار كل هذه الاحتمالات ووضع لها الرد المناسب وفي الوقت المناسب. فقد حاول الكثير من المفكرين الاسلاميين اختراق هذا الحصار الاعلامي والايديولوجي القائم في الدول الغربية. وقد نجحت بعض هذه المحاولات. ولكن هناك محاولات كثيرة قد اخفقت في الوصول إلى العقل ليس بسبب ضعفها وتقصيرها ولكن نتيجة قوة الضخ الاعلامي والدعائي الذي أحال قضية الإسلام والمسلمين إلى مادة يومية للدعاية والتشويه والابتزاز ايضا. ولو أن هذه المحاولات قد اتسقت في فعل جماعي لكانت اكثر قوة وفعالية وتأثيراً ولتمكنت بالتالي من توضيح الحقائق والدفاع عن الفكر الإسلامي بطريقة واقعية ومنهجية وقادرة على ايصال الرسالة إلى الآخرين. أي إلى الرأي العام الغربي الذي يتسم عادة بسرعة التقلب والمزاج نظر لخضوعه التام لتقلبات الدعاية اليومية والمتغيرة — هي الاخرى — حسب المصالح والتطورات السياسية. ومع ذلك فان من المفيد الاستمرار في هذه المحاولات وتكثيفها لانه ليس معقولاً ولامقبولاً أن يتم صرف النظر عن حالة العداء القائمة في الغرب ضد الاسلام والمسلمين بينما يقوم الطرف المعادي بتكثيف حملات الهجوم والتشويه والتصرف على اساس أن الساحة قد اصبحت خالية له تماماً. وطبعاً فان المسألة لايمكن حسمها في اطار من المجال الايديولوجي كما يتصور البعض ولكنها تحتاج الي فعل مركز من جانب المفكرين والعلماء في الدول الإسلامية لتصبح عملية التصدي للباطل قادرة على توضيح كل

الحقائق والدقائق والتمهيد بالتالي لهجوم مضاد تقوم به الدول الاسلامية على مستوى الرأي العام العالمي. فالوقت قد حان بالفعل للدخول في مواجهة مفتوحة مع هؤلاء الاعداء الذين ناصبوا العداء للاسلام وللمسلمين وقرورا — على مايبدو - حشد قوة عالمية مناهضة للفكر الإسلامي من مختلف الدول والشعوب الغربية. ولاشك ان هناك الكثير من القضايا الحيوية التي يمكن تداولها في هذا السياق. ويأتي في مقدمتها أن الإسلام هو الذي يسهم الآن بقوة وفعالية في تدعيم ركائز الأمن والسلم الدوليين وذلك في موقعين بارزين: هما الشرق الاوسط والبوسنة والهرسك. فتوجه الدول العربية نحو تحقيق السلام العادل والشامل في المنطقة يعد في كل المقاييس والاعتبارات دعماً ومساندة للنظام العالمي الجديد ولكل القيم التي ينادي بها المجتمع الدولي والداعية إلى اقامة المزيد من بني الحرية والديمقراطية في الشرق الاوسط.

ألم تعترف منظمة التحرير الفلسطينية باسرائيل وتوقع على اتفاق سلام معها؟ ألا يعد هذا بمثابة التفعيل المباشر والقوي لحركة السلام الكبرى في المنطقة؟ أفليس الذين وقعوا على هذا الاتفاق هم من ممثلي الحركات الإسلامية التي توصف الآن في الدول الغربية بأنها رائدة للارهاب والارهابيين؟ ألم يوقع الأردن على اتفاق سلام مع اسرائيل يحدد آفاق التعاون الاقتصادي بين الجانبين؟ أفليس الأردن دولة اسلامية بل إن القوى الاسلامية فيه لها من النفوذ والقوة مايمكنها بالفعل من التحكم بالكثير من معالم الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية؟الا تستعد سورية للتوقيع على معاهدة سلام مع اسرائيل يمكن ان تؤدي بالنتيجة إلى اغلاق ملفات الصراع العربي - الاسرائيلي وتمهيد الطريق امام بزوغ مرحلة تاريخية في الشرق الاوسط أليست سورية بلداً ملسماً يلعب دوراً مهما للغاية على الساحتين العربية والاسلامية.

هذا في الشرق الاوسط . أما في البوسنة والهرسك، فان الصورة هناك تبدو أكثر اثارة وغنى ودراماتيكية ألم يتعرض المسلمون في هذه البلاد لابشع أنواع المذابح والمجازر التي تلقى الدعم الخفي من جانب الدول الغربية بالذات؟ ألم تؤد هذه المذابح والمجازر إلى مقتل نحو ١٠٠ الف بوسني حتى الآن حسب مصادر الأمم المتحدة الرسمية ؟ألم يتم تدمير أكثر من الف مسجد في أنحاء مختلفة من البوسنة والهرسك على أيدي القوات الصربية والكرواتية دون ان يحرك العالم أي ساكن لوقف هذه الاعمال القذرة؟ورغم ذلك كله ألم يوافق الشعب المسلم في البوسنة والهرسك على كل صيغ السلام التي طرحتها الدول الاوروبية ومنظمة الامم المتحدة؟ ألا يعني هذا الموقف الحضاري ان الإسلام يرتكز في جوهره على السلام وانه بالأساس دعوة لتحقيق السلام والتفاهم بين الشعوب والدول كافة؟

ان هذه الأمثلة الواقعية والمباشرة تشكل أكبرد على الاصوات والتخرصات التي تصدر تباعاً في الغرب محاولة ان تشوه صورة الاسلام الحقيقية وان تلحق به ماليس به وان تؤلب الرأي العام العالمي ضده. وأي عاقل في الدول الغربية لايستطيع ان ينكر الحقيقة القائلة بأن السلام الذي يصنعه السلام في الشرق الاوسط والبوسنة والهرسك هو القاعدة التي سيرتكز عليها الإسلام الدولي برمته. فاذا لم يتحقق السلام بين الدول العربية واسرائيل واذا استمرت الحرب في البوسنة والهرسك فان النظام العالمي الجديد سيصبح مجرد حبر على ورق ولن تقوم له أية قائمة وذلك باعتراف الدول الغربية نفسها. فيكف يمكن الادعاء والحالة هذه بأن الاسلام يسعى الى تدمير النظام الدولي الجديد وأن الايديولوجيا التي يمثلها تشكل خطراً مباشراً وتهديداً للديمقراطيات الغربية؟

ان الاسلام هو دين محبة وسلام وتفاهم وتعايش بين مختلف الاديان والشعوب والحضارات. حدث هذا في الماضي ويحدث الآن وسيحدث في المستقبل ايضا. ومن هنا التأكيد بأن الفكر الإسلامي - في جوهره — هو التعبير القوي عن الخلاص الانساني الذي يتم البحث عنه في الغرب وسط ضجيج المصانع والتقدم العلمي الذي جعل من الانسان عبارة عن رقم بسيط في المعادلة الاقتصادية الكبرى التي اخذت تبتلع كل شيء بما في ذلك التاريخ والجغرافيا والبعد الايماني الذي فقد كل شيء في ظل نظام لم يعد له من شغل سوى السيطرة على كل وسائل الحياة وحرمان بني البشر من أبسط حقوقهم في الحياة.■



حاول الكثير من المفكرين الاسلاميين اختراق هذا الحصار الاعلامي القائم في الدول الغربية

المراكز الإسلامية تصون هوية المسلمين في الغرب

إنجازات بعض الأقليات المسلمة الموجودة في بعض الدول الأوروبية... تؤكد أن المسلمين في الغرب قد أدوا دوراً نشطاً ومهماً في الحفاظ على عقيدتهم الإسلامية



بقلم: محمـــود بيـــومي

تكوّنت في الغرب جاليات وأقليات إسلامية منذ القرن الهجري الأول.. حيث قامت بالأندلس دولة إسلامية كبرى.. نشرت معطيات الحضارة الإسلامية في أوروبا لمدة تزيد عن ثمانية قرون... ومازالت المعطيات الحضارية الإسلامية ممتدة حتى وقتنا المعاصر.. لأن الحضارة الغربية قد نهلت من حضارة الإسلام وإنجازات علماء الإسلام في كافة المجالات.. كما تأسست دولة إسلامية في «صقلية» وجنوب إيطاليا منذ عام ١٢١ هجرية.. واستمر الحكم الإسلامي في «مالطة» لمدة ٢٢٨ عاماً...

وفي بعض الجزر الفرنسية لمدة ١٢٤ عاماً.. وفي «المجر» لمدة ٢٧٣ عاماً... وقد تعرّضت الدعوة الإسلامية في أوروبا للعديد من المعوقات بسبب العداء للإسلام والمسلمين عبر المراحل التاريخية المختلفة. فمسيرة الإسلام في القارة الأوروبية لها تاريخ طويل... لذا فإن الإسلام في أوروبا ليس بالدين الجديد أو الغريب.. بل إن المؤسسات المعادية للإسلام والمسلمين هي السبب وراء غُربة الإسلام في أوروبا.. ووراء الخصومة الكامنة لدى شعوب الغرب ضد الإسلام.. فالإعلام الغربي قاد ـ ولايزال يقود ـ أكبر حملة ضد هذا الدين الحنيف.

وتستعرض «الوعي الإسلامي» جهود المسلمين ـ في بعض الدول الأوروبية ـ في إنشاء المراكز الإسلامية والحفاظ على هويتهم العقائدية.. حتى لاتذوب الأقليات المسلمة في بوتقة المجتمعات التي يعيشون في نطاقها.. وكيف تمكّن المسلمون من استقطاب بعض الغربيين بعد تعريفهم بحقائق الدين الإسلامي الحنيف.

مراكز إسلامية في ألمانيا

يوجد في مدينة «ميونيخ» ـ عاصمة الجنوب الألماني ـ جالية إسلامية كبيرة... هاجرت إلى هناك منذ الحربين العالميتين.. وأغلب المسلمين هناك من الأتراك والألبان ومن منطقة يوغوسلافيا السابقة.. كما حدثت هجرات إسلامية معاصرة من دول المغرب العربي والدول العربية والإسلامية الأخرى.. وقد حاول المسلمون في هذه المدينة الألمانية الكبيرة ـ التي تضم مليونا و ٥٩٧ألف نسمة ـ تنظيم أنفسهم وتأسيس جمعيات إسلامية تهتم برعاية شؤونهم الدينية .. فأسسوا بعض الجمعيات الإسلامية التي حملت الطابع القومي والجنسيات الإسلامية المختلفة... مثل الجمعية الإسلامية التركية وغيرها.. إلى أن أسسوا إدارة دينية تتحدث باسمهم باعتبارهم من المهاجرين إلى ألمانيا كما أصدروا مجلة إسلامية.. ومنذ سنوات تولّدت لدى المسلمين هناك الرغبة في إنشاء مؤسسة إسلامية تعمل على توحيد جهود المسلمين.. فتم إنشاء المركز الإسلامي في مدينة «ميونيخ» الذي شاركت في بنائه بعض الدول العربية والإسلامية.

والمركز الإسلامي في ميونيخ.. هو المقر الرئيسي للجمعية الإسلامية في جنوب ألمانيا.. ويمتد نشاطه ليشمل المسلمين في بعض الدول الأوروبية المجاورة مثل النمسا وسويسرا.. وذلك عن طريق تنسيق الجهود التي تبذلها الجمعيات الإسلامية هناك.. حتى أصبح المركز منارة للإشعاع الديني والحضاري في أوروبا.. ويتكوّن المركز الإسلامي في «ميونيخ» من ثلاثة طوابق يشغل المسجد الطابق الثالث.. أما المئذنة فقد بنيت منفصلة عن المبنى وصممت وفقاً للطراز المعماري الإسلامي السائد في دول أوروبا الشرقية.. بينما يضم الطابقين الأول والثاني.. قاعات المحاضرات والندوات والمكتبة وبعض المرافق الإدارية.. كما يتبع المركز مبنى آخر يتألف من ثلاثة طوابق مخصص للفندق الإسلامي وبيت الضيافة لاستقبال ضيوف المركز والطلبة القادمين إلى مدينة «ميونيخ» للدراسة.. كما قامت إدارة المركز بشراء مبنى مجاور خصص للوضوء.

استراتيجية العمل الإسلامي

وقد حدد المركز استراتيجية العمل الإسلامي في الحفاظ على وحدة المسلمين هناك... وصيانة هويتهم العقائدية وحماية النشء المسلم وتربيته تربية إسلامية عن طريق تحفيظ القرآن الكريم الذي يصون عروبة لسانهم.. فتم إنشاء المدرسة الإسلامية الألمانية في «ميونيخ» على مساحة خمسة آلاف متر مربع... تدرّس فيها علوم الإسلام واللغة العربية القرآنية إلى جانب القضايا التي تهم الأمة العربية والإسلامية.. وقد أوفدت هذه الدول عشرات المعلمين للعمل في المدارس الإسلامية الموجودة هناك... وتلتزم السلطات الألمانية بدفع رواتب مائة معلم منهم.

وتهتم الدول العربية والإسلامية بإرسال المدرسين إلى الجاليات الإسلامية في مدينة «ميونيخ».. فترسل تركيا مدرسين لتدريس علوم الإسلام باللغة التركية وتهتم باكستان بإرسال معلمين لتدريس لغة «الأوردو».. وقد اتفق المركز الإسلامي مع مدارس الجاليات الإسلامية المختلفة على ضرورة تدريس اللغة العربية.. وأعد المركز فصولاً دراسية لتدريس اللغة القرآنية لأبناء المسلمين هناك من مختلف الجنسيات.. ويحرص الألمان على حضور هذه الدروس لتعلّم اللغة العربية.. كما يعقد المركز دورات لتدريب أئمة المساجد وندوات دينية بصفة دورية.. ويستضيف المركز عدداً من دعاة الإسلام لإلقاء المحاضرات الدينية.. التي يحرص رجال الإعلام على حضورها مما ساهم في التعريف الجيّد والصحيح بحقائق الدين الإسلامي الحنيف.

المركز الإسلامي في «آخن»

وتضم مدينة «آخن» الألمانية العديد من الجامعات التي يقصدها طلاب العلم من الدول الإسلامية والعربية... ويبلغ عدد المسلمين في هذه المدينة عشرة آلاف نسمة غالبيتهم من الطلبة المسلمين... الذين بدأوا في تنظيم شؤونهم الدينية والاجتماعية.. بإنشاء «الاتحاد الدولي للطلبة المسلمين»... واستقر رأيهم على ضرورة إنشاء مركز إسلامي في هذه المدينة حتى يتمكنوا من إقامة شعائر دينهم من خلال مؤسسة تعترف بها السلطات الألمانية... وقد تم وضع حجر أساس هذا المركز الإسلامي في مايو عام ١٩٦٤ ميلادية.. في احتفال حضره سفراء الدول الإسلامية في ألمانيا.. وقد افتتح هذا المركز في عام ١٩٦٧ميلادية وتم توسعة مبانيهفي العام التالي مباشرة.

ويضم المركز الإسلامي في مدينة «آخن» مسجداً جامعاً هو مسجد «بلال» ومدرسة عربية ـ إسلامية .. وله وقف إسلامي مسجل لدى السلطات الألمنية لضمان مصدر ثابت لتمويل المشروعات والنشاطات التي يقوم بها المركز.. ويساهم في دعم نشاطات المركز العديد من المؤسسات الإسلامية العربية.. ويسعى المركز للحصول على قطعة أرض تابعة لجامعة «آخن» مساحتها ألف متر مربع لإقامة مدرسة إسلامية وروضة للأطفال وقاعة للندوات والمحاضرات.. وإنشاء فندق إسلامي لاستضافة القادمين إلى هذه المدينة من

الأقليات المسلمة في أوروبا واحات مقيمة في الغرب.. تجسد قيم الإسلام في مجتمعات ورثت العداء للإسلام والمسلمين..

يعتبر المركز الإسلامي في مدينة «آخن» جسراً بين الحضارتين الإسلامية والغربية.

الدارسين والعمال وغيرهم.

جسر إسلامي مهم

ويعقد المركز الإسلامي في «آخن» منذ تأسيسه.. ندوات أسبوعية وأخرى شهرية يحضرها علماء الإسلام وعدد كبير من المسلمين والألمان.. كما يصدر مجلة إسلامية فصلية ونشرة شهرية تتضمن أهم إنجازات المسلمين هناك.. وتصدر النشرة والمجلة باللغتين الألمانية والعربية.. ويهتم المركز بنشر اللغة العربية بين المسلمين والألمان على حد سواء... إلى جانب إجراء البحوث المختلفة في الثقافة والتاريخ الإسلامي... بهدف التعريف بالإسلام وقضايا الأمة الإسلامية... والتعريف بالبلدان الإسلامية وما تضمه من كنوز التراث الإسلامي ومعالم الحضارة الإسلامية الخالدة... كما يقوم المركز بالرد على استفسارات المسلمين وغيرهم حول بيان موقف الإسلام من مختلف القضايا المعاصرة... ويتولى المركز إقامة الاحتفالات بالمناسبات والأعياد الإسلامية بطريقة لائقة.

لذا.. يعتبر المركز الإسلامي في مدينة «آخن» جسراً بين الحضارتين الإسلامية والغربية.. وشعوب الأمة الإسلامية — التي تمثلها الجاليات المسلمة هناك — وبين الشعب الألماني.

اليوم المفتوح

وفي إطار دور المركز للتعريف بالإسلام.. أعد المركز يوماً مفتوحاً يدعو فيه الشعب الألماني لزيارة المركز.. وتوجه الدعوات عن طريق وسائل الإعلام وقد أشارت مصادر المركز الإسلامي في «آخن»... أن عدد زواره في هذا اليوم يزيد عن ألف زائر يتعرفون على مزايا



الدين الحنيف من مصادر إسلامية أصيلة.. وقد ساهم ذلك في إقبال عدد لا بأس به من الشعب الألماني لاعتناق الإسلام... وقد أنشأ المسلمون الجدد من الألمان العديد من المقار... التي أطلقوا عليها اسم «دار الإسلام»... يعقدون بها ثلاثة مؤتمرات سنوياً لدراسة الخطط اللازمة لنشر الدعوة الإسلامية.

ويقوم المركز الإسلامي في مدينة «آخن» بمراقبة الذبائح التي تصدرها ألمانيا إلى الدول الإسلامية.. للتأكد من أن الذبح يتم وفقاً للشريعة الإسلامية... وللمركز علاقات وثيقة مع المراكز الإسلامية الأخرى في المدن الألمانية والمراكز الإسلامية في القارة الأوروبية... ومن مهام المركز الإسلامي في «آخن».. مساعدة الطلبة على التقدم العلمي وحل المشكلات التي تواجه العمال المسلمين.. وعن طريق العمل الإسلامي المنظم تأصلت هوية الجالية الإسلامية في ألمانيا.

إذاعة إسلامية في بلجيكا

أدى تطور العلاقات بين الدول الإسلامية والعربية وبلجيكا — بعد الحرب العالمية الثانية — إلى زيادة هجرة المسلمين إليها.. وبزيادة أعداد المسلمين ظهرت الحاجة إلى وجود تنظيم لأحوال المسلمين في بلجيكا.. فتأسس هناك «المجلس الإسلامي» في عام ١٩٦٣ ميلادية.. وكان من أهم أهداف هذا المجلس.. إنشاء أول مركز إسلامي في العاصمة «بروكسل»... وفي عام ١٩٦٥ ميلادية تقدم سفراء الدول الإسلامية هناك إلى الحكومة البلجيكية.. للاعتراف بالدين الإسلامي ومنح المجلس الإسلامي أحقية قانونية في رعاية شؤون المسلمين هناك.

وقد اعترف مجلس الشيوخ والنواب في بلجيكا بالديانة الإسلامية.. وصدر هذا الاعتراف بمرسوم ملكي في عام ١٩٧٤ ميلادية.. وقد أدى ذلك إلى إنشاء المركز الإسلامي في بروكسل منذ عام ١٩٧٥ميلادية.. وحضر حفل افتتاح المركز ملك بلجيكا وأعضاء السلك الدبلوماسي وسفراء الدول الإسلامية في «بروكسل».. وقد أقيم المركز الإسلامي داخل الحديقة «الخمسينية» على مقربة من المقر العام للسوق الأوروبية المشتركة والوزارات البلجيكية.

ويتكون المركز الإسلامي في بروكسل من أربعة طوابق... تضم المسجد الجامع ومصلى السيدات.. ويعتبر هذا المسجد من أبدع المساجد المقامة في أوروبا.. ويضم المبنى مدرسة إسلامية وقاعات للندوات والاجتماعات والمحاضرات ومكاتب لتحفيظ القرآن الكريم وفصولا لتعليم اللغة العربية.. وتضم مكتبة المركز ٤٠ألف مجلد وهناك متحف إسلامي تعرض به نماذج من مساجد العالم

الإسلامي.

ويبث المركز الإسلامي في بروكسل برامج إذاعية للتعريف بالإسلام وبيان مزاياه التشريعية وتعاليمه الربانية كماتوجد بالمركز إذاعة للقرآن الكريم.. وقد عقد المجلس العالمي الأعلى للمساجد ندوة بمقر المركز لمناقشة دفع مسيرة المد الإسلامي في أوروبا... وتدريب الدعاة وأئمة المساجد وتوفير الخطباء اللازمين للعمل في ١٤٠ مسجداً في بلجيكا.

دعم التعليم الإسلامي

وقد أسس المركز الإسلامي في «بروكسل» صندوقاً لدعم التعليم الإسلامي والعمل على إنشاء المدارس الإسلامية وتوفير المعلمين اللازمين لها، وقامت الدول العربية والإسلامية بإيفاد بعض الدعاة والمعلمين للعمل بالمركز وإهداء المكتبات الإسلامية إلى الجالية الإسلامية في بلجيكا.. إلى جانب ترجمات معاني القرآن الكريم.. ويقوم المركز الإسلامي في «بروكسل» بأداء رسالته في خدمة الإسلام والمسلمين في بلجيكا.. عن طريق رعاية الأسر المسلمة وتوفير الأعمال المناسبة للمسلمين... وتنوير الرأي العام البلجيكي بتعاليم الدين الإسلامي والرد على جميع الاستفسارات الدينية التي ترد إليه من المسلمين وغيرهم.

أقلية مسلمة نشطة

وتعتبر الأقلية المسلمة في انجلترا.. من أنشط الأقليات المسلمة في الغرب وأكثرها تنظيماً لشؤون الدعوة والتعليم الإسلامي.. حيث أسس المسلمون هناك أكثر من ٣٥٠ مسجداً جامعاً ومركزاً إسلامياً.. وقد نشأت فكرة إنشاء مركز إسلامي في لندن في عام ١٩٤٢ ميلادية.. عندما افتتح الملك «جورج» أحد المساجد في العاصمة الإنجليزية.. وقد تأسست لجنة للإشراف على بناء هذا المركز.. تضم سفراء مصر والسعودية والأردن في هذا الوقت.. فقامت مصر بشراء قطعة من الأرض لبناء المركز الإسلامي في لندن نظير تقديمها قطعة أرض في القاهرة لصالح الجالية الإنجليزية في مصر. وقد تكونت في عام ١٩٧٣ ميلادية... لجنة من سفراء الدول الإسلامية في لندن.. للإشراف على بناء المركز الإسلامي هناك.. وقد تم الانتهاء من البناء في عام ١٩٧٧ ميلادية.. وقُدرت تكاليف بناء المركز الإسلامي في هذا الوقت بخمسة ملايين جنيه استرليني ساهمت فيها الدول العربية والإسلامية بنسب متفاوتة.

ويتكون المركز الإسلامي في لندن.. من مجموعة من الأبنية ذات الطابع المعماري الإسلامي... ويضم المركز مسجداً جامعاً يتسع لعدة آلاف من المصلين، وملحق به مصلى للسيدات ومكتبة إسلامية تضم أكثر من مائة ألف كتاب.. إلى جانب قاعات الندوات والمحاضرات ومساكن خاصة بإمام المركز والعاملين به.. ومدرسة إسلامية لتعليم النشء المسلم تعاليم الإسلام وحفظ القرآن الكريم واللغة العربية.

مجلس القضاء الإسلامي

وقد أنشأ مجلس أمناء المركز الإسلامي في لندن.. مجلساً أعلى للقضاء الإسلامي يضم ٣٥ عالماً من مختلف الجنسيات والمذاهب الإسلامية.. وإنشاء مجالس قضائية عرفية للإشراف على تطبيق الشريعة الإسلامية على المسلمين في انجلترا.. كما قرر تكوين لجان قضائية في كل منطقة يوجد بها عدد من المسلمين... لإصدار الأحكام الشرعية في أي نزاع قد ينشأ بين المسلمين هناك.. كما قام مجلس القضاء الإسلامي بالتعاون مع القضاء الإنجليزي عند نظر القضايا الخاصة بالمسلمين وبخاصة في الأمور الشخصية.. حتى لا تتعارض الأحكام الصادرة مع أحكام الشريعة الإسلامية في حالات الزواج والطلاق والنفقة والحضانة والمواريث وغيرها. وقام المركز - بالتعاون مع اتحاد الجمعيات الإسلامية هناك - بإنشاء أول جامعة إسلامية في انجلترا لتدريس علوم الإسلام واللغة العربية وتخريج الدعاة اللازمين للعمل في المساجد والمدارس الإسلامية المنتشرة هناك... ويتم التدريس في هذه الجامعة باللغتين العربية والإسلامية ويتولى المركز الإسلامي في لندن.. مهمة تدريب أئمة المساجد ونشر الوعي الديني والتعريف بالإسلام.. مما أدى إلى زيادة أعداد المعتنقين للإسلام والذين يتعهدهم المركز بالرعاية، ويزودهم بالكتب الإسلامية اللازمة.. ويقوم المركز بتوفير اللحوم الحلال لجميع المسلمين في انجلترا.. وتسجيل أسماء المسلمين في سجلات خاصة بجميع المساجد في المناطق التي يعيشون فيها تمهيداً لإصدار أول إحصاء بعدد المسلمين هناك، والذين بلغوا أكثر من مليوني مسلم.

وبعد هذه مجرد نماذج من إنجازات بعض الأقليات المسلمة الموجودة في بعض الدول الأوروبية... تؤكد أن المسلمين في الغرب قد أدوا دوراً نشطاً ومهماً في الحفاظ على عقيدتهم الإسلامية.. وقاموا بدور أكثر إيجابية في إبلاغ دعوة الإسلام وهداياته إلى شعوب الغرب.. وأن الأقليات المسلمة في أوروبا واحات وبعثات إسلامية مقيمة في الغرب.. تجسد قيم الإسلام وتعاليمه في مجتمعات ورثت العداء الدفين للإسلام والمسلمين... وهي تؤدي اليوم دوراً مهماً في التعريف الجيد والصحيح بهدايات هذا الدين الحنيف.. والمراكز الإسلامية تعمل بكل جهد لصيانة هويّة المسلمين في الغرب■

وتعتبر الأقلية المسلمة في انجلترا.. من أنشط الأقليات المسلمة في الغرب وأكثرها تنظيماً لشؤون الدعوة والتعليم الإسلامي.

يؤثر اللبن في تخفيف حدة البكاء والإحساس بالألم لدى المواليد الجدد.

كلما أوغلت الإنسانية في الحضارة والعلوم اكتشفت صدق الدعوة الإسلامية بعمومها وتفاصيلها، وازداد يقين أصحاب العقول النيّرة، والقلوب السليمة بصدق دعوة محمد ﷺ، ومن ذلك حقائق طبية لا تخضع للأهواء، ولا يمكن تطويعها بحسب رغبات المخالفين والمعاندين، فالكون – كما يراه المسلم – كتاب الله الشاهد على كتاب الله الناطق.

ومن ذلك تجربة قام بها فريق علمي بجامعة ليدز ببريطانيا على أطفال حديثي الولادة، لدراسة أثر تناول المواد السكرية في تخفيف الشعور بالألم، والدكتور عبد المجيد القطمة، من موقعه العلمي والدعوي، يساهم مشكوراً في التذكير بحقائق الطب النبوي في هذه المسألة.

العلم يؤكد حقائق الطب النبوي

بقلم: د. عبد المجيد القطمة

رئيس الجمعية الطبية الإسلامية في بريطانيا

تجربة علمية بريطانية

قام مجموعة من العلماء والباحثين والاطباء الانجليز في المستشفى الجامعي بمدينة ليدز(Leeds) شمال انجلترا باجراء تجارب على الاطفال حديثي الولادة لمعرفة تأثير إعطاء جرعات مختلفة من محلول السكر(سكروز) على بكاء الطفل وإحساسه بالألم بسبب غرز حقنة لسحب الدم. ولقد قامت المجلة الطبية البريطانية (British Medical Journal) الاسبوعية بنشر البحث ونتائجه الكاملة بتاريخ ١٠/٦/١٩٩٥ تحت عنوان:(منع تألم الأطفال حديثي الولادة بواسطة محلول سكري).

وقع الاختيار على ستين طفلاً وطفلة بصحة جيدة تراوحت مدة حملهم بين ٣٧-٤٢ اسبوعاً، واعمارهم من يوم واحد إلى ستة ايام. وقد اجريت التجارب عليهم جميعاً في عنبر الولادة بالمستشفى المذكور بوضع ماء معقم في افواه نصفهم (٣٠)،اما النصف الآخر فقد قسم إلى ثلاثة اصناف: الصنف الاول وضع في أفواههم محلولاً سكرياً بنسبة ١٢,٥٪ والصنف الثاني اعطى محلولاً سكرياً بنسبة ٢٥٪وأما الصنف الثالث فأعطى جرعة من المحلول السكري بنسبة ٥٠٪(٢مل)، وقد تم كل ذلك قبل دقيقتين من سحب عينة بالوخز بالحقنة من كل وليد للتعرف على نسبة مادة بليروبين في الدم، والتي تعتبرمؤشراً لوجود البرقان عند الطفل. والبرقان حالة طبيعية تحصل لكثير من الاطفال بعد الولادة وهي غير خطرة ولاتدعو للقلق.

ووخز الطفل بالحقنة لسحب الدم يدعوه للبكاء لفترة من الزمن بسبب الألم. ولقد اجريت الدراسة بعد مراقبة بكاء الاطفال لمدة ثلاث دقائق من وخزهم بالحقن واظهرت النتائج بصورة عجيبة ان:

نتائج صحية

– المحلول السكري في فم الطفل يقلل كثيرا الإحساس بالألم ومن سرعة ضربات القلب.

– سجلت احسن النتائج مع الاطفال الذين اعطوا جرعة ٥٠٪ من محلول السكر اي الذين تلقوا أعلى نسبة.

– كلما زادت نسبة السكر في المحلول خف البكاء والإحساس وخفت سرعة نبضات القلب.

– وضع مادة سكرية في فم الطفل بعد الولادة تعمل بطريقة مدهشة على تخفيف او منع الألم مثل استعمال أدوية منع الألم او المسكنات.

ولقد اثبت عالمان آخران وهما بلاس وهو فماير (Plass&Hoffmeyer) عام ١٩٩١م ان اعطاء ٢مل من محلول سكري ١٢٪ عن طريق الفم للطفل تخفف كثيراً من بكائه، وتقلل من إحساسه بالألم عند وخزه بالحقنة لسحب عينة من الدم، او عند القيام بعملية الختان. كما اثبت علماء آخرون مع بلاس عام ١٩٨٩م تأثير اللبن في تخفيف حدة البكاء والإحساس بالألم لدى المواليد.

الطب النبوي

ولو تحولنا بعد هذه الجولة الطبية إلى الإسلام دين الرحمة والشفاء للبشرية جمعاء لوجدنا بوضوح مايلي:

– ان طبيب البشرية محمداً ﷺ كان أول من وضع المادة السكرية في فم الوليد وذلك بتحنيكه بالتمر المضغوغ من فمه الطاهر، وجعل هذا العمل سنة شائعة بين المسلمين.

فقد جاء في حديث أنس بن مالك الوارد في الصحيحين: فولدتُ غلاماً، فقال لي أبو طلحة: احفظه حتى تأتي به النبي ﷺ. فأتى به النبي ﷺ، وأرسلتْ معه بتمرات،. فأخذه النبي ﷺ فقال: «أمعه شيء؟» قالوا: نعم؛ تمراتٌ. فأخذها النبي ﷺ فمضغها، ثم اخذ من فيه فجعلها في فِيّ الصبي، وحنكه به، وسماه (عبد الله).

وفي الصحيحين من حديث أبي بردة عن ابي موسى رضي الله عنه قال: ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ

فسماه ابراهيم، وحنكه بتمرة(أي مضغها ودلك بها حنك المولود) ودعا له بالبركة.

هــذه هي سنة معلم البشرية ومعلم الاطباء محمد ﷺ.

ولم يتوقف الأمر على ذلك بل ثبت علمياً أن التمر يحوي نسبة عالية جداً من السكر ٧٠-٨٠٪ وفيه سكر الفركتوز والجلوكوز،وهما يمنحان الجسم طاقة عالية وغذاء أساسيا للجسم والدماغ، ويحوي التمر ايضا على بروتين بنسبة ٢,٢٪ وفيتامين أ.ب١.ب٢، وحمض نيكوتينك، كما يحوي معادن مثل البوتاسيوم والصوديوم والكالسيوم والحديد والمنغنيز والنحاس وغيرها. ويوجد البوتاسيوم بنسبة عالية وهو مفيد جدا لمنع نزيف الدم.

وكلنا يحرص في رمضان على سنة الإفطار على التمر، ولاشك ان ذلك يضم الفوائد الغذائية إلى الحكم الطبية الكثيرة.

والتمر مفيد جدا عند الولادة،قال تعالى ﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا. فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً. وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا. فكلي واشرابي وقري عينا﴾ [مريم :٢٣-٢٦]وكلنا يعلم ان الولادة عملية تحتاج الى طاقة حرارية وغذاء، وإلى مواد تخفف نزيف الدم.. وكل هذا توفر في دواء التمر فسبحان الله الحكيم.

وبعد اعطاء المادة السكرية في فم الوليد بعملية التحنيك تأتي الوصفة النبوية الثانية وهي ختان المولود الذكر في الايام الاولى من الولادة (اليوم السابع)، والختان عملية مؤلمة ولاشك ان المواد السكرية من التمر الممضوغ تساعد جدا في تخفيف الألم عند إجراءهذه العملية. ولم يقف الاعجاز الطبي النبوي عند هذا الحد بل تخطاه إلى الأمر بارضاع الاطفال حولين كاملين. وبداية الرضاعة هي اعطاء الكولستروم وهو اللبن المكثف الذي يحوي نسبة عالية من المواد الغذائية ومواد اخرى لتقوية المناعة ومحاربة الالتهابات.



● د. عبد المجيد القطمة

والرضاعة وحدها معجزة طبية وصحية للطفل وللأم علي حد سواء. ولقد اثبتت الأبحاث — كما اوردت انفاً — فائدة اللبن في تخفيف الانزعاج والاضطراب والقلق عند الوليد.

ولعل تحنيك المولود بالسكريات والرضاعة الطبيعية والختان من أروع المعادلات الصحية المنسجمة التي كشفت عنها علوم العصر الطبية، وهي بجملتها رحمة بهذا المخلوق الضعيف — الوليد — الذي أمن له الباريء سبحانه وسائل الصحة والوقاية.

يقول الله سبحانه: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ [فصلت/٥٣]. إن حقائق وعلوم العصر وكشوفاته الطبية تثبت يوما بعد يوم أن الإسلام معجزة صحية وطبية عجيبة تقي الناس من الأمراض النفسية والجسدية والعائلية والاجتماعية.وثبت أيضا أن في آيات القرآن الكريم الشفاء والرحمة لكل متبع له: ﴿وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ [الاسراء/٨٢]. وهكذا يتواتر علمياً بأن القرآن الكريم كتاب الله سبحانه ومحمد ﷺ نبي يوحى إليه من رب العالمين.

والطب الحديث يثبت لنا نحن المسلمين وغير المسلمين ان في كل حلال وفي كل فرض وفي كل سُنّة صحة ووقاية، وفي كل حرام مرضاً وشقاء.

نداء للعلماء المسلمين

ولقد اتصلنا -بعد نشر نتائج البحث -بالأطباء الذين قاموا باجرائه وقدمنا لهم اقتراحاً بعمل التجارب على السكريات من التمر، واقترحنا اجراءها على الاطفال المسلمين الذين يرغب أولياء امورهم بذلك، واجراء التجارب كذلك مع عمليات الختان التي يجد المسلمون — عادة — صعوبة بالغة في اجرائها في المستشفيات البريطانية، والتي نحلم جميعاً بتسهيلها لأطفالنا الذكور بعد الولادة،بالاضافة إلى ممارسة الرضاعة الطبيعية أيضا.

لاشك ان كل هذا سيكون مصدراً جيداً لاتمام البحث العلمي الطبي.

ولعل في هذا البيان مايحث العلماء والاطباء المسلمين على إجراء التجارب العلمية والطبية على كثير مما ورد في القرآن الكريم وفي سنة الرسول ﷺ ففي ذلك — بلاريب — خدمة عصرية طبية لحقائق الإسلام والدعوة إلى الله بأسلوب العصر وتثبيت اليقين وترشيد الضائعين من ابناء المسلمين: ﴿فورب السماء والارض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون﴾ [الذاريات/٢٣] صدق الله العظيم، والحمد الله رب العالمين ■

وضع مادة سكرية في فم الطفل عقب ولادته، يخفف إلى درجة كبيرة من إحساسه بالألم

لغة القرآن ودعاوي الهدم والتخريب

ثبت أن الأبجدية العربية اذا درست بطريقة صحيحة على أيدي أساتذة متمكنين قبلها الأطفال

ماأكثر الحراب التي وجهت إلى اللغة العربية.. لغة القرآن الكريم.

وفي العصر الحديث كثرت هذه الحراب، وشحذت، وكان يظاهرها قوى صليبية وصهيونية اجنبية، أو إقليمية شعوبية، وقامت دعوات متعددة مستهدفة لغة القرآن في شكل كتب ومحاضرات وصحف ونشرات. وقد تسترت هذه الدعوات كلها خلف قناع الزعم بتيسير اللغة العربية وتسهيل تعلمها. وأخطر من ذلك دعوة من رمى العربية بالجمود، ودعا الى خعلها، وزرع العامية مكانها. ونحاول في السطور التالية أن نعرض لأهم هذه الدعوات وموقفنا منها

بقلم الدكتور :جابر قميحة

أستاذ الأدب العربي بجامعة الملك فهد ـ بالظهران

الحروف اللاتينية:

في جلسة المجمع اللغوي المصري التي انعقدت يوم ١٩٤٣/٥/٣م تقدم عبد العزيز باشا فهمي باقتراح دعا فيه إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، ولم يكن هذا الاقتراح مستقلا، بل كان مشفوعا بالدعوة إلى هجر الفصحى، وإحلال العامية مكانها. وكانت كلماته التي صاغ بها مقترحاته تنم على نقمة عاتية على الفصحى.. لغة القرآن ولغة التراث العربي منذ أربعة عشر قرنا، وبلغ به الغلو في الحنق إلى درجة وصف الدعوة إلى تعلم الفصحى بأنها تحمل في ذاتها (محنة حائقة بأهل العربية، وطغيان وبغي، لأن في ذلك تكليفا للناس بما فوق طاقتهم (١).

ولم تلق هذه الدعوة قبولا من أحد، وهي تعتبر تجديدا للدعوة التي نفذها مصطفى كمال في تركيا، واستبداله الحروف اللاتينية بحروف اللغة التركية (وهي حروف عربية) ولكن القياس يأتي مع الفارق الكبير:

١ـ فالتراث العربي والإسلامي المكتوب بالعربية أغزر وأكثر كما من التراث التركي.

٢ـ وكل تراثنا الأدبي والفقهي والتاريخي والفلسفي مسجل بالعربية بحروفها المعروفة، وهذا يعني قطع الصلة تماما بين الاجيال القادمة وتراث الأمة وتاريخها.

٣ـوهذه الحروف هي التي كتب بها القرآن من أول نزوله في حراء، واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية يعني ايضا قطع الصلة بين الأجيال القادمة وقراءة القرآن في الصورة التي نزل بها جبريل على محمد بن عبدالله ـ صلى الله عليه وسلم .

٤ ـ ولو أخذنا بهذه الدعوة فإن تطبيقها ونشرها سيستغرق عشرات من السنين، حتى يمكن اعداد عشرات الألوف من المدرسين والكتاب الذين يكتبون ويعلمون على أساسها، وهذه صعوبة عملية يجب أن تكون في الاعتبار.

٥ـ وفي مواجهة تراثنا الضخم الهائل المكتوب بالحروف العربية لابد أن يكون لنا منه موقف من اثنين:

إما تركه كما هو بحروفة العربية الأصلية، ومن ثم لن تطلع عليه الأجيال القادمة التي تقرأ وتكتب بحروف لاتينية، وبذلك تكون هذه الاجيال مقطوعة الصلة بالماضي، مما يفقد الأمة هويتها الأصيلة.

وإما أن يترجم هذا التراث إلى الكتابة بالحروف اللاتينية وفي هذه الحال كما يقول أحد الكتاب (إذا أريدت ترجمة واحد في الألف مما كتب بالعربية لاحتيج إلى عشرات الآلاف من أبرع المترجمين، وإلى أموال ترجح ميزانية الولايات المتحدة الأمريكية)(٢)

٦ـ والقول بأن الحروف اللاتينية تيسر الكتابة والنطق في العربية فيه إسراف وتهويل، ومخالفة للواقع، بل العكس هو الصحيح:

أ ـ فالكتابة بالحروف اللاتينية ستشغل حيزا أوسع بكثير من الحيز الذي يشلغه المكتوب بالعربية، ومن ثم يستهلك قدرا مضاعفا من الورق.

فكلمة محمد التي تتكون من أربعة أحرف ستكون باللاتينية من ثمانية أحرف وتكتب هذه الحروف الجديدة هكذا Mohammd. وجملة مثل(اتجه محمد إلى بيته) ستكتب بهذه الصورة اللاتينية IT-Tagaha Mohammed Iia Baitihi.

ب ــ كما أنها ستوقع في اللبس بالنسبة لحروف كالهمزة والعين اللذين يعبر عنهما بحرف واحد هو الـ «A» فكلمة Ahmad يمكن ان تفسر على أنها العلم المعروف أحمد. ويمكن ان تقرأ كذلك أعمد، وهو الفعل المضارع من عمد بلسان المتكلم وكلمة :APiD يمكن ان تقرأ «عابد» وتقرأ كذلك «أبد»،من«الأبد».

ومما يوقع في اللبس كذلك ان يعبر بالحرف الواحد اللاتيني عن حرفين عربيين مختلفين: فحرف الـ D سيكون مقابلا للدال ومقابلا للضاد كذلك فكلمة Dani يمكن أن تقرأ«داني» بمعنى قريب « من الفعل دنا» ويمكن ان تقرأ «ضاني» بمعنى لحم الخراف.

ومن التعقيد والتزيد كذلك ،ونظرا لفقر هذه الحروف اللاتينية يستخدم حرفان لاتينيان مقابل الحروف العربية التي لاتجد لها مقابلا واحدا في اللاتينية فحرف الغين يكتب GH، وحرب الظاء يكتب DH.

٧ـ وقد ثبت أن الأبجدية العربية اذا درست بطريقة صحيحة على أيدي أساتذة متمكنين قبلها الأطفال واستساغوها، واستطاعوا أن يستكلموا مسيرتهم الطيبة في طريق تعلم العربية(٣) فالعيب ليس في الحروف العربية، ولا في العربية ذاتها،ولكن التخلف، وهبوط المستويات. يرجع الى اسباب خارجية تتعلق بمستوى المدرسين، وطرائق التعليم، والمناهج الدراسية، والأوضاع الاجتماعية في بعض الدول العربية ،مما لايتسع المقام لشرحه.

ولقد تعلم جيلنا القراءة والكتابة بالطريقة الصحيحة على أيدي رجال أفاضل متمكنين من اللغة العربية ابتداء من الكتاب، ومروا بالمراحل التعليمية المختلفة، وكانت النتائج طيبة(٤).

وقد لاحظت الدكتورة نفوسة سعيد(٥) أن عبد العزيز فهمي في تهجمه الضاري على الفصحى العربية كان متأثرا بالصليبي (ولكوكس) حتى في كثير من قوالبه التعبيرية كوصفه الدعوة إلى استعمال العربية الفصحى بأنها استكراه و(طغيان)و (بغي) (٦).

العامية لا الفصحى :

في فترات متقطعة كانت تثار مشكلة الفصحى والعامية، ولكن كان ارتباطها الوثيق بالوجود الاستعماري في وطننا العربي، على أنها ــ في اصلها ـ ظاهرة طبيعية في حياتنا اللغوية، ولكن الاستعمار استغل هذه الظاهرة ليحارب الفصحى بعد أن انحدر مستواها في العصر التركي الذي فرضت فيه اللغة التركية لغة رسمية للدواوين والتعليم. وقد سارت خطة العداء للفصحى في اتجاهين : بدأت حملات مسعورة تكشف من ناحية عما زعموه من جمود اللغة العربية وصعوبتها وبداوتها وتخلفها عن حاجة العصر.

ومن ناحية أخرى بدأت الدعوة للعامية وبيان مافيها - على زعمهم ـ من فصاحة وسهولة ومرونة، وقدرة على التعبير عن مطالب الحياة العصرية والقدرة على تثقيف الشعب وتعليم الأميين(٧).

ارتفعت الاصوات المنكرة الضارية تدعو إلى إحلال العامية محل الفصحى، وكان أعلى هذه الأصوات وأشدها جرأة ووقاحة صوت وليم ولكوكس(٨) الذي كان يدعو دائما إلى محاربة الفصحى، وإقصائها عن ميدان الكتابة والأدب وإحلال العامية محلها ،وقد ضمن دعوته هذه عملين مشهورين له.

الأول: محاضرة له بعنوان(لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن؟)

والثاني :رسالة نشرها بالإنجليزية بعنوان : Syria,Egypt,North Africa,and Maita Speak punic not Arabic. أي (سوريا ومصروشمال افريقيا ومالطة تتكلم البونية لا العربية).

وقد ألقى ولكوكس هذه المحاضرة سنة ١٨٩٣م في نادي الأزبكية(٩) ودارت هذه المحاضرة حول فكرة أساسية مؤداها: أن سبب عدم وجود الاختراع لدى المصريين(هو استخدامهم اللغة العربية الفصحى في الكتابة والقراءة، وينصحهم بنبذ هذه اللغة الصعبة الجامدة، واتخاذ العامية أداة للتعبير الأدبي) (١٠).

وواضح أن الهدف الحقيقي لولكوكس هو القضاء على العربية الفصحى، وحرمان أبنائها من تراثها في الدين والعلوم والآداب ليسهل على الاحتلال مهمته(١١).

وفي رسالته السابقة التي نشرها سنة ١٩٢٦م،أي بعد محاضرته السابقة بقرابة ثلاثة وثلاثين عاما. زعم أن اللغة التي يتكلمها الناس من حلب إلى مراكش بما في ذلك مالطة هي اللغة الكنعانية أو الفينيقية أو البونية.

وخصّ مصر بالبونية لأن كلمة Punis تشبه كلمة Fenic التي كان يطلقها قدماء المصريين على الفينيقيين. كما زعم أن اللغة البونية التي هي أساس لغة الحديث عندنا لاصلة لها بالعربية الفصحى، فقد دخلت مصر قبل أن تدخلها العربية الفصحى بألفي سنة، وأنها انحدرت إلينا من الهكسوس الذين أقاموا في مصر نحو خمسمائة سنة، والذين انتشرت لغتهم في أقطار عديدة حول مصر، حتى بلغت مالطة(١٢).

الفصحى ليست جامدة كما يعتقد، فهي تهمة في غير محلها

ويعود فيهاجم العربية الفصحى بضراوة: فهي في رأيه(لغة مصطنعة) يتعلمها المصري كلغة أجنبية ثقيلة في كل شيء، وان وصلت إلى الرأس، فهي لاتصل أبدا إلى القلب .تقف عقبة في سبيل تقدم المصريين.

دراستها نوع من السخرة العقلية، حالت بين المصريين والابتكار، قضت على الطلبة النابهين من المصريين الذين كان يرجى منهم كثير. وأدت صعوبة فهمها إلى حدوث بعض الكوارث التي شاهدها اثناء اقامته في مصر.

دراستها مضيعة للوقت ،وموتها محقق كما ماتت اللاتينية(١٣).

ويلح على دعوته بأن تحل العامية محل الفصحى، وان يعمم التعليم بها في كل المدارس، وحدد مدة هذا التعليم بعشر سنوات رأى أنها كفيلة بتخليص المصريين من السخرة الثقيلة التي يعانونها من جراء الكتابة بالعربية الفحصى (١٤).

ولكي يؤكد دعوته بالتمكين للعامية على حساب العربية ترجم من الانجليزية إلى العامية المصرية نصوصا من بعض روايات شكسبير (١٥) ،كما ترجم الإنجيل إلى العامية، أو كما يسميها اللغة المصرية العامة (١٦).

وألف كذلك بالعامية المصرية سنة ١٩٢٩م كتابا بعنوان(الأكل والإيمان) حاول فيه أن يدخل العامية في نماذج علمية (١٧).

وسلامة موسى

وقد تبنى دعوة ولكوكس عدد من العرب والمصريين لعل اشهرهم سلامة موسى الذي حمل على العربية الفصحى، ولخص أسباب حملته هذه فيما يأتي:

١ـ صعوبة تعلم الفصحى.

٢ـ عجزها عن تأدية أغراضها الأدبية أو العلمية.

٣ـ أنها تبعثر وطنيتنا المصرية وتجعلها شائعة في القومية العربية فالمتعمق في الفصحى - على حد قوله - يشرب الروح المصرية، ويدرس تاريخ مصر.

٤ـ أن رنة ألفاظها العالمية كثيرا ماتطوح الكتاب بسببها، حتى أصبحت الأسجاع هي كل همهم.

ويعلن سلامة موسى تأييده المطلق لولكوكس بضرورة هجر العربية الفصحى وإحلال العامية مكانها. وهو يسمي العربية الفصحى اللغة البدوية، ومن ثم لاتصلح أن تكون لغة ،ثقافة، لأن الثقافة بنت الحضارة، لابنت البداوة.

ولكنه يرى أن هذه النقلة من الفصحى إلى العامية يجب ألا تتم مرة واحدة، بل لابد أن تمر بمرحلة سماها مرحلة(التسوية بين الفصحى والعامية).

واوجه التسوية - في نظره - تتمثل فيما يأتي:

(١) إلغاء مايأتي:

أ ـ الألف والنون من المثنى

ب ـ الواو والنون من جمع المذكر السالم

ج ـ التصغير.

د ـ جمع التكسير، والاكتفاء بالألف والتاء لغير المذكر السالم.

هـ ـ الاعراب. والبديل هو تسكين أواخر الكلمات.

(٢) إيجاد حرف كبير عند ابتداء الجمل.

(٣) عدم ترجمة الألفاظ الأوروبية، والاكتفاء بتعريبها، كأن يقول «بسكليت» ـ لادراجة«١٨)

تمصير اللغة العربية:

ويدعو لطفي السيد إلى ماسماه بتمصير اللغة العربية، وكتب في ذلك سبع مقالات سنة ١٩١٣م ،نشرها في صحيفة «الجريدة». وهو لاينكر الفصحى، ولايدعو إلى إزاحتها،وإحلال العامية مكانها ولكن يدعو إلى ماسماه بعقد الصلح بين الفصحي والعامية، وخصوصا تلك التي يتكلمها سكان القاهرة. ومن أهم شروط هذا الصلح أخذ أسماء المستحدثات الأجنبية من اللغة اليومية، مثل : الأوتومبيل والبسكليت، والجاكيتة والبنطلون، والجزمة والموضة.فهو - على حد قوله - يريد أن يرفع لغة العامة إلى الاستعمال الكتابي، وينزل بالضروري من لغة الكتابة إلى ميدان التخاطب والتعامل.

والتزاما بهذه الدعوة ينصح لطفي السيد الكتاب والمترجمين ألا يحاولوا إيجاد اسم للتلغراف ولا للتليفون، ولا للفنوجراف(لأن من يحاول ذلك يجب عليه - من باب أولى - ألا يسمى الورد وردا، بل يسميه حوجما لأن الورد له اسم في العربية. والله يعلم والناس جميعا يعلمون أن التلغراف والتليفون والفنوجراف لم يكن لها أسماء في البصرة، ولا في الكوفة وفهجرنا نحن تلك الأسماء لنأخذ أسماء أعجمية)

ويمجد لطفي السيد العوام والعامية ،فيرى أن العوام يملكون بالوراثة سر اللغة ،ويصرفون البيان فيها تصريفا حيا مألوفا.وكثير من اساليبهم حسن جميل. والعامية - على حد قوله - قد اشتد ساعدها، واصبحت منافسا قويا للغة الفصحى: فهي لغة المحادثة بين الخاصة والعامة وتكاد تكون لغة المرافعات في المحاكم، وهي اللغة المفضلة للمسرح عند الخواص في عمومهم والعوام(١٩).

ولنا على هذه الدعوة ملاحظات ومآخذ تتلخص فيما يأتي:

١ـ أنها دعوة فيها من الحماسة الوطنية اكثر مما فيها من الحرص الواقعي على مصلحة اللغة العربية، في وقت كان لطفي السيد يتبنى فيه الدعوة إلى تمصير كل شيء، وهو يرفع شعاره المشهور (مصر

للمصريين)(٢٠).

٢ــ تمجيده للعــوام، ووصفهم (بأنهم يملكــون بالوراثة سر العربية يصرفون البيان فيها تصريفا حيا مألــوفاً) هــذا الحكم فيــه تهويل وإسراف لايتفق مع الواقع .فــاذا كان هذا هــو حظ العوام، فما حظ علماء اللغة المتخصصين إذن؟

٣ــ سخر لطفي السيــد من الاسماء العربيــة التي وضعت للمخترعــات الحديثة، وحكم عليهــا بالعجــز وقصر العمــر مثل سيــارة ودراجــة وهــاتف. وهي سخرية في غير محلهــا لأن الإسماء التي استشهد بها أزاحت فعلا مقابلها الأجنبي. وإن كان هناك نوع من القصور في هذا الجانب بالذات سنعرض له في حينه.

٤ـ الفصحى ليست جامدة كما يعتقد، فهي تهمة في غير محلها، كما سنرى .

٥ــ إذا كان لطفي السيــد يريــد التسهيل والتيسير حقــا فإن الأخــذ بالاستعمال العــامي للمصطلحــات الجديدة أصعب كتــابة ونطقا من الترجمة العــربية أو الأسماء المعــربــة: فالسيــارة أسهل من الأوتــومبيل. والهاتف أيسر من التليفــون، والــدراجــة اسهل من البسكليت.

٦ـ الأخذ بلهجة أهل القــاهرة في هذه الاستخدامات لايحل المشكلة، لأن الصعــوبة ستظل قائمة بــالنسبة لسكــان غير القاهــرة، وخصــوصــا سكان الصعيــد، والمناطق الجنوبية منه بصفة خاصة.

٧ــ والطابــع العام لهذه الــدعــوة هــو انها غائمــة المضمون، غــامضة الأبعــاد وهي في صورتها العــامة ضــد طبيعة الأشيــاء. فلا عجب أن تسقط بــلا نفس وبلا حراك.

وكما سقطت الدعوة إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربيــة سقطت الدعوة إلى إحــلال العامية محل الفصحى:

١ـ لأنها قامت على اكذوبة ينقضها الواقع وهي ان العامية اسهل نطقا وكتابة من الفصحى، والعكس هو الصحيح، ونسوق هنا بعض الأمثلــة التي تؤيد ذلك، مع ان المسألة ليست في حاجة إلى تأييد وتدليل:

النســاء : أســهل نطقا وكتابة من : الستات.

مبــاشرة: أسهل نطقــا وكتــابــة من :على طــول .أو طوالي

مارأيت: أسهل نطقا وكتابة من :ماشفتش

لايهمك : أسهل نطقا وكتابة من :ميهمكش.

وأنــا على يقين أن دعــاة إحــلال العــاميــة محل الفصحى يعلمــون هذه الحقيقــة، ولكنهم يغالطــون، بدليل أنهم يعرضــون دعوتهم ويعبرون عنها بالعربية الفصحى. وولكوكــوس أراد أن يثبت جدارة العــامية بالحلــول محل الفصحى فترجم الإنجيل إلى العــامية ،وكــذلك نصــوصــا من شكسبير.. لم يستطع ــ على عجمته ــ أن يجعل أسلوبه بالعــامية الخالصــة، بل فــرضت الفصحى عليه نفسهــا في جوانب كثيرة ممــا ترجم.

٢ـ وهذه الدعوة تجرنا إلى مشكلة عملية مستعصية تتمثل في السؤال التالي: بـأي العــاميات نـأخذ؟ إن عدد العاميات في شعوب الأمة العــربية يبلغ المئات، وهو في الوطــن الواحد قــد يبلغ العشرات .وقــد رأينا لهجتين مختلفتين في مدينة واحدة بشمال مصر.

وحتى في حالة الاتفاق بل الإجماع العربي على عامية واحدة ولتكن عامية القاهرة، سيكون هناك ـ ولاشك ـ عقبات عاتية في التنفيــذ.إذ لو سارت الأمور طبيعية فإننا سنحتاج إلى عشرات من السنين ـ لالنشرها ـ بل لاعداد المعلمين الذين سيقومون بتدريس هذه اللهجة، وعشرات اخرى لنشر هــذه اللغة الجديــدة. ولاشك ان السيــاســة سيكــون لها الــدور الاكبر في استكمال المسيرة أو نقض الاتفاق الاجماعي، والاحتمال الأخير أقوى بكثير جدا.

٣ــ وتــراثنــا الفقهي والأدبي والفلسفي الهائل هل سيترجم إلى هذه العامية؟ وماقدر الجهود والميزانيات التي ستهدر في مثل هــذا العمل؟ أم سيترك هذا التراث كما هــو ،ويحول إلى المتاحف، وبــذلك نعزل الأجيــال القادمة عن ماضيها العلمي الجليل.

٤ـ وهذه الدعوة اعتمــدت على اكذوبة اخرى، وهي أن الأمة العــربية هــي الأمة الوحيــدة التي نجــد فيها ظاهــرة (الازدواجية اللغويــة) أي تنفرد ــ دون بلاد العالم ـ بأن لها لغتين: لغة حديث وتعامل هي العامية ،ولغة كتابة وهي العربية الفصحى، والمصلحة ـ كما يــزعم هؤلاء ــ أن تحل الأولى محل الثــانيــة ـ كلغــة وحيدة ـ للحديث والتعامل والكتابة.

والواقع ينقض هذه الاكذوبــة، فظاهرة الازدواجية اللغوية موجودة في كل دول العالم :فالناس في النوادي والشوارع والأسواق يتحــدثون لغة غير لغة الكتــابة والخطابة والمحاضرات، يستوي في ذلك الدول المتقدمة في أوروبا وأمــريكا ودول العــالم الثالــث(٢١) يقول الاستــاذ عباس حــافظ وهــو أحــد كبــار المترجمين العالميين من الانجليــزية إلى العــربية في مقــال نشره له بمجلــة الإذاعــة المصريــة سنــة ١٩٥١م (إن أرقى شعوب الارض تكتب بلغة تغاير لغة الكلام، ومن يظن أن الانجليز أو الفرنسيين أو الروس أو الألمان يكتبون كما يتكلمون يخطىء الخطأ كله. فإن لهؤلاء ايضا لغة كلامية، أو كلاما دارجــا، أو طريقة سخيفة في التعبير لاتستقيم إذا كتب، ولاتكفي للتــأديــة بها، ولا تصلح للإنشــاء والوصف والترسل والاستطــراد المطلوب في الأدب الرفيع)(٢٢).

٥ ــــ واصحاب هذه الدعــوة لايفكرون في مستقبل عربي مــوحد ،إن الخضــوع للهجات يعنــي تقنينها، وتقنينها يعني سيطرتها،وسيطرتها تعني فقدان أكبر عنصر من عنــاصــر المستقبل العــربي السليم، فاللغــة

الخضوع للهجات يعني تقنينها، وتقنينها يعني سيطرتها، وسيطرتها تعني فقدان أكبر عنصر من عناصر المستقبل العربي السليم

الواحدة هي كل ماأبقت لنا الأيام من وشائج القربى، ومن الثروة المعنوية، والأخذ بهذه اللهجات يعني أننا نسعى بذاتنا لتخريب ذاتنا :ذاتنا الماضية، وذاتنا المستقبلة(٢٣).

٦- ومن عجب أن المستشرقين الذين دعوا في حرارة وحماسة إلى احلال العامية محل العربية الفصحى في بلادنا، لم يرفعوا صوتهم بمثل هذه الدعوة في بلادهم، وقد رأينا أن ظاهرة الازدواجية اللغوية في هذه البلاد ايضا. بل ترى على العكس من ذلك : ارتفاع أصوات بضرورة توحيد الناس على الفصحى، والقضاء على لهجاتهم العامية(فالجمعية الوطنية الفرنسية عهدت عام ١٧٩٤م إلى الأب غريفوار بأن يضع تقريرا يبين فيه الوسائل الناجعة للقضاء على اللهجات الشعبية، ولتشجيع الفصحى في فرنسا)(٢٤).

فهم يحللون لأنفسهم مايحرمونه علينا، ويحرمون على أنفسهم مايحللونه لنا، بل يجندون كل قواهم لحملنا عليه، أخذنا انفسنا به(٢٥)

وكان للنحو نصيبه من الحملات الضارية: فهناك من دعا إلى إلغاء الإعراب بتسكين أواخر الكلمات

القضاء على النحو:

وكان للنحو نصيبه من الحملات الضارية: فهناك من دعا إلى إلغاء الإعراب بتسكين أواخر الكلمات.

وهناك من دعا إلى حذف بعض قواعد النحو أو تعديلها على غير الطريق الذي نهجته قديما: كحذف موانع الصرف، وجعل العدد من جنس المعدود، وابقاء المفعول به منصوبا في حالة بناء الفعل للمجهول، والاكتفاء بقلب الفعل فنكتب « قُتِلَ عليا» بدلا من «قُتِل عليٌ»..الخ.

فإذا ماقلنا إن تنفيذ ذلك سيترتب عليه تعذر قراءة القرآن، وتدبر معانيه جاء الجواب غريبا عجيبا في اقتراح جديد بأن (تكون لنا قواعدنا، وللقرآن قواعده التي ستكون معرفتها وقفا على المختصين في الدين وطلاب الدرسات العليا. وجهلنا بهذه القواعد لن يضير إسلامنا، لان هناك مسلمين لايعرفون اللغة العربية، ولا يعرفون قواعدها، وهم رغم ذلك مسلمون لاشك في إسلامهم، يتلقون احكام القرآن من أساتذتهم وفقهائهم(٢٦).

وهي دعوة تدميرية خطيرة، ولكنها في الوقت نفسه لا تستطيع ان تثبت امام النقد الحصيف:

١- لأنها تعني التضحية بالقرآن نفسه إذ تباعد بيننا وبين القرآن، وتحرمنا معرفة لغته، والقواعد التي تقوم عليها. وفرق بين قراءتنا للقرآن بأنفسنا ،وتدبرنا معانيه، وتجاوبنا معها، وبين التجائنا إلى فقهائنا لتوضيح ماالتبس علينا فهمه ومعرفته.

٢- معروف ان القواعد هي قوانين تأليف الكلام. وتأليف الكلام في كل لغة يجري على نظام خاص بها، لاتكون العبارات مفهومة ولا مصورة لما يراد حتى تجري عليه، ولاتزيغ عنه.

٣- في قواعد ارقى اللغات الاوروبية صعوبات وشواذ لاتقل عما يعددونه من صعوبات في قواعد اللغة العربية (٢٧).

٤- واذا بحثنا عن مصدر الشكوى من صعوبة قواعد اللغة العربية وعسر تعلمها وجدنا انها ترجع - في حقيقة الامر - إلى بعض المستشرقين الذين حاولوا تعلم اللغة العربية، وهي شديدة البعد عن لغتهم الاوروبية في بناء الكلمات، ونظام التأليف، وعادات النطق، والى المستعمرين الذين ارادوا ان يتخذوا من صعوبة قواعد العربية مبررا للعدول عنها الى العامية، حتى يقضوا بذلك على اهم مقومات الوحدة العربية والوحدة الإسلامية(٢٨).

٥- وقد ترجع صعوبة النحو - كما يقول استاذنا عبد العليم ابراهيم - إلى أمور تتعلق بمنهج الدراسة، والكتب المقررة، ومستوى المدرسين واساليب الامتحانات، والجهل بالغرض من القواعد، والمبالغة في فهم منزلتها(٢٩). مع انها وضعت اصلا وسيلة لضبط الكلام، وصحة النطق والكتابة، وليست غاية مقصودة لذاتها (٣٠).

٦- والقول بترك الاعراب، وتسكين أواخر الكلمات لايلغي الإعراب، لان الإعراب في الفصحى ليس مقصورا على أواخر الكلمات، لانه داخل في بنيتها، وبتغيره تتغير معاني الكلمات، مع تماثل حروفها .فالحركة الداخلية تفرق بين اسم الفاعل والمفعول من غير الثلاثي مثل: محترِم ومحترَم .بين الفعل المبني للمعلوم، والفعل المبني للمجهول، مثل كَتَب،كُتِب.وتفرق بين المصدر والفعل. مثل :عِلْم، عَلِم.

كما أن الضبط هو الذي يحدد نوع الاسلوب. وعلى سبيل التمثيل نسوق الجملة الآتية:

«ماأجمل الربيع»

إنها - وهي غفل من الضبط - تحتمل المعاني الآتية:

أ- التعجب: لو وضعت فتحة على الكلمتين بعد(ما التعجبية) .

ب - النفي: ببناء اجمل على الفتح، ورفع الربيع على الفاعلية ويكون المعنى أن الربيع لم يُبدِ لنا جمالا.

ج - الاستفهام: برفع : اجمل، والربيع مجرور بالاضافة.

ويكون معنى الاستفهام: اي ايام الربيع اجمل؟

ولو اخذنا انفسنا بتسكين أواخر الكلمات لأدى ذلك إلى تدمير تراثنا الشعري كله، ولما استقام لنا شعر بعد ذلك، وذلك لانهيار الوزن الذي يعتمد على التفعيلة، وهي تعتمد على المتحرك والساكن، وعلى سبيل التمثيل سنحاول قراءة بيت شوقي آخذين أنفسنا بالاقتراح السابق. إن صورته الجديدة هي:

بالعلمْ والمالْ يبني الناسْ ملكهمْ

لم يبنْ ملك على جهلْ وإقلالْ

لقد اصبح الشعر نثرا، طريقة إلقائه تثير الضحك بل الغثيان.

وتيسير النحو لايكون بمثل هذه المقترحات التي تهدمه، بل تهدم الفصحى ذاتها، ولكن علينا ان نفرق في هذا المقام بين النحو كوسيلة، والنحو كغاية:

ففي الحالة الاولى: يطلب النحو لتصحيح النطق والكتابة . وتيسيره يكون باتباع الآتي:

أ ـ التركيز على القواعد الوظيفية، أي التي يكون استخدامها مطردا ونافعا لتقويم الاسلوب وتصحيحه.

ب ـ الاكتفاء بالوجه الاعرابي الواحد فيما له اكثر من وجه كإعراب مابعد سوى وعدا وخلا وحاشا. وكذلك اعراب مابعد لاسيما.

ج ـ تجنب الخلافات النحوية بين مدارس النحو المختلفة.

د ـ الإفادة من المناهج الحديثة في تدريس النحو، كطريقة(قوائم المتماثلات) في اللغة الفرنسية (٣١).

ويمكن استخدام هذه الطريقة في تدريس المصادر واشتقاقها من الثلاثي والرباعي والخماسي والسداسي، وكذلك في تدريس المشتقات، وخصوصا المعتل الوسط مثل: مصون، ومبيع، والمعتل الآخر مثل: مرجُوّ، ،مشْرِيٌ.

فتصنيف هذه المشتقات في قوائم سيقدم المثال الذي يقاس عليه، وذلك ـ في مثل الحالات السابقة اسهل من التعرف على القاعدة وحفظ تفصيلاتها.

هذا عن النحو يدرس كوسيلة لتصحيح النطق والكتابة، وهي المهمة الاساسية للنحو. اما النحو كغاية مقصودة لذاتها فهو مطلب العلماء والدارسين المتخصصين الذين يعدون بحوثاً واطروحات جامعية. ولاقيد على هؤلاء في علوم علم النحو بكل مدارسه وخلافاته وتضارباته، لان مثل هذه المباحث انما هي للخاصة لا لعموم المتعلمين(٣٢).

كانت هذه هي اهم الدعوات التي رفعت سيوفها في وجه اللغة العربية هادفة إلى القضاء على لغة القرآن، ولكنها بحمد الله ـ مع كثرة الجراح التي اصابتها ـ مازالت ترفع رأسها بقدرة الله، ففيها من عوامل البقاء ماهو اقوى بكثير جدا من اسلحة العدوان والافناء.

والذين يأخذون على اللغة العربية صعوبة فهمها ودراستها، وجمودها وعجزها عن مسايرة ركب الحضارة ـ كما يزعمون ـ اقول هؤلاء مخطئون أو مغالطون، لان مثل هذه التهمة او هذه الاتهامات يجب ألا توجه للغة العربية، بل توجه إلى فئتين من الناس: الدراسين انفسهم الذين لايتجشمون العناء ولايبذلون الجهد الشاق المطلوب لخوض مثل هذه الدراسة، كما توجه كذلك إلى المقصرين من علماء العربية وخبرائها فهم مطالبون بأن يمنحوا اللغة العربية من الجهود مايذلل صعوبتها، ومايجعلها دائما تنطلق في حيوية وقوة وقدرة.

وهناك ملحظ لم يتنبه إليه كثيرون وهو أن اللغة ـ أية لغة ـ مثل عملة الدولة: تروج وتنتشر، ويطلبها الآخرون بقدر مالأهلها من استقرار سياسي، وتقدم تقني واقتصادي، فاللغة الصينية مثلا« كانت قبل ثورة ١٩٤٩ في الصين لغة متخلفة، وها نحن نجدها الآن، وقد تحولت إلى لغة حية يستخدمها الصينيون في التعلم والبحث العلمي، والشيء نفسه يقال بالنسبة للغة اليابانية)(٣٣)

وماكانت دعوات الهدم والتخريب لتسقط مقهورة تحت قدمي اللغة العربية إلا لأن الله منحها من الفرائد والخصائص الذاتية مايضمن لها الحياة والخلود، ومايعد ردا عمليا واقعيا على كل مارميت به اللغة العربية من عيوب ونقائص، إنها لغة القرآن، وحمايتها والحفاظ عليها حماية للقرآن وحفظ له، وعلينا ان نواصل العمل بصدق وعلم وامانة في سبيل ذلك، ولنشحذهممنا دائما ـ في مواجهة مؤامرات القضاء على العربية ـ ونحن نقرأ ونسمع قوله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ صدق الله العظيم. ■

الهوامش

١ـ انظر د. نفوسة زكريا. تاريخ الدعوة . إلى العامية وآثارها في مصر ١٤٥ (دار المعارف ـ القاهرة ـ ط(٢ـ ١٩٨٠).

٢ـ أحمد عبد الغفور عطار: قضايا ومشكلات لغوية ٨٢(دار تهامة ـ جدة ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢).

٣ـ من ربع قرن تقريبا، وتقليدا للغرب دون مراعاة الفروق بين اللغات طبقت في مصر طريقة الجشتالت في تعليم القراءة والكتابة، وهي الطريقة الكلية أو التحليلية التي تعتمد على تعليم الكلمة والجملة أولا، ثم تعليم الحروف بعد ذلك. وكانت النتائج سيئة للغاية، مما دفع الدولة إلى الرجوع عنها.

انظر في مفهوم هذه الطريقة ومزاياها وعيوبها: كتاب الموجه الفني لعبد العليم ابراهيم ٨١ ـ ٨٥ القاهرة ـ ط ١٣ ـ ١٩٨٤). وانظر بتفصيل اكثر لنظرية التعليم الجشطلتية الفصل الرائع الذي كتبه (مايكل فريتمر) من ص ٢٢٩إلى ص ٣١٧ من كتاب (نظريات التعلم) ترجمة الدكتور علي حسين حجاج(الكويت ـ عالم المعرفة ـ اكتوبر ١٩٨٣).

٤ـ فكلنا في الكتاب كنا نقرأ آيات القرآن الكريم من المصحف، وأذكر ـ وأنا في الصف الثالث الابتدائي في الاربعينيات ـ اي من قرابة نصف قرن، كنت أقرا لأبي ـ وقد كان أميا ـ كل ليلة قرابة ساعة في الف ليلة وليلة وسيرة الزير سالم، وحمزة البهلوان، وكانت هذه الكتب رديئة الطباعة، وكلماتها غير مضبوطة بالشكل وكانت جائزتي كل ليلة(تعريفة) اي خمسة مليمات اي

الذين دعوا في حرارة وحماسة الى احلال العامية محل الفصحه لم يرفعوا صوتهم بمثل هذه الدعوة في بلادهم

مايساوي حاليا نصف هللة.

٥ ـ نفوسة: مرجع سبق : ١٤٥

٦ـ نشير في المقام ايضا إلى ان عبد العزيز فهمي لم يكن أول من دعا إلى استخدام الحروف اللاتينية بدل العربية، فقد كان رائد هذه الدعوة « ولهلم سبيتا» الصليبي الألماني، وتبناها ـ غير عبد العزيز فهمي ـ امثال سلامة موسى، وفي لبنان طائفة من المارونيين منهم: أنيس فريحة وسعيد عقل.

٧ـ د. حاتم صالح الضامن: نحو لغة عربية سليمة ٣٢.(بغداد ـ ١٩٧٨)

٨ ـ وهو مهندس ري انكليزي وفد إلى مصر سنة ١٨٨٣ في اول عهد الاحتلال البريطاني لمصر.

٩ـ نشرت المحاضر بعد ذلك بالعربية الركيكة القريبة من العامية. في مجلة الازهر التي كان يشرف عليها ولكوكس نفسه وأحمد الازهري.

١٠ـ نفوسة: مرجع سبق ٣٥.

١١ـ نفوسة : مرجع سبق ٣٥

١٢ـ نفوسة: السابق ٣٧. وانظر ادلته الواهية ص ٣٨.

١٣ـ السابق:٣٩

١٤ـ انظر السابق ٤١.

١٥ـ انظر السابق ٥٥.

١٦ـ انظر السابق٦١.

١٧ ـ انظر السابق ٦٧

١٨ـ انظر نفوسة السابق ١١٩ ـ ١٢١.

١٩ـ انظر في تفصيل هذه الدعوة: نفوسة: السابق ١٢٤ ـ١٣٦.

٢٠ ـ امتدت هذه الدعوة فيما بعد إلى الأدب فأصدر أمين الخولي كتابه(إلى الأدب المصري) وفيه يدعو إلى الادب المصري (المكتوب بالعربية الفصحى) وتبنيه ودراسته وتدريسه في المدارس والجامعات بحيث لايزاحمه ادب عربي آخر.

وهي دعوة وطنية إقليمية ضيقة سرعان ماماتت في مهدها، وقد تكفل عدد من النقاد بتفنيدها وخصوصا الدكتور شكري فيصل في كتابه(مناهج الدراسة الأدبية) من ص ١٥٧ ـ ٢٢٠.

٢١ـ وقد لمست ذلك بنفسي خلال خمس سنوات قضيتها في باكستان،وسنة قضيتها بالولايات المتحدة في مدينة (نيوهافن) بولاية كنكتكت.ومن الظواهر الصوتية في عامية هذه المدينة حذف حرف (T) من الكلام إذا كان متوسطا فكلمة (ووت)» Water تنطق(ورر) Warer. وكلمة (بتر) better تنطق (بر) ber-er.وكلمة (فورتي) forty ينطقونها(فوري) fory وغير ذلك كثير مع اختلاف واضح بين عاميات الشمال وعاميات الجنوب. والفوارق اوضح بين لجهات الزنوج ولهجات البيض في الولايات المتحدة.

٢٢ـ انظر: احمد العطار:قضايا ومشكلات لغوية ٥٨.

٢٣ـ شكري فيصل: قضايا اللغة العربية العاصرة ـ ٤٠ ـ (تونس ١٩٩٠).

٢٤ ـ د. غازي طليمات: ومضات وشبهات في دراسة المستشرقين اللغوية ٢٣ دراسة في مجلة القافلة عدد المحرم ١٤١٥(السعودية).

٢٥ـ انظر نفوسه: مرجع سابق ٢٠١و٢٠٢.

٢٦ـ نفوسة: مرجع سباق ٢٠٢ وصاحب هذه الدعوة اسمه حسن الشريف في مقال له بعنوان(تبسيط قواعد اللغة العربية) نشره في الهلال في عدد اغسطس ١٩٣٨.

٢٧ـ ومن ذلك تصريف الافعال في اللغة الفرنسية مثل:ALLer,avoir

٢٨ـ انظر نفوسه: مرجع سباق ٢٠٣ و ٢٠٦.

٢٩ـ عبد العليم ابراهيم :الموجه الفني ٢٠٥

٣٠ـ السابق :٢٠٣

٣١ـ وهي الطريقة المستخدمة في تصريف الافعال الشاذة في الفرنسية

ـ وماكثرها ـ مثل: Etre,vior.avior ,aller.

فيجعل فعل من هذه الافعال مع تصريفاته مع الضمائر المختلفة، على رأس القائمة، ويندرج تحته الافعال التي تماثله في التصريف وقد رأينا مايشبه ذلك في كتاب استاذنا عبد العليم ابراهيم (النحو الوظيفي).

٣٢ـ عرض استاذنا الدكتور شوقي ضيف المحاولات الصادقة لتيسير النحو قديما وحديثا: ابتداء من الكسائي في القرن الثاني الهجري مرورا بابن مضاء الاندلسي وغيره. وفي العصر الحديث عرض لمحاولات ابراهيم مصطفى بكتابة« إحياء النحو» الذي نشره في يناير ١٩٣٧.ومقترحات لجنة وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٣٨ وقرارات مؤتمر مجمع اللغة العربية في مصر سنة ١٩٤٥.وقدم الدكتور ضيف محاولة احدث من المحاولات السابقة وضعت على اساس ستة هي:

١ـ تنسيق النحو تنسيقا جديدا بحيث تلغى طائفة من ابوابه الفرعية مع رد امثلتها إلى ابوابها الاصلية.

٢ـ إلغاء الإعراب التقديري والمحلي

٣ـ الا يشغل الناشئة بإعراب كلمة لايفيدها إعرابها لها أي فائدة في صحة النطق بها.

٤ـ وضع تعريفات وضوابط جيدة لبعض ابواب النحو التي يعسر على الناشئة فهمها فهما سليما.

٥ـ حذف زوائد كثيرة في الابواب لاتمس اليها حاجة.

٦ـ اضافات جديدة ضرورية لتمثل الصياغة العربية تمثلا دقيقا.

(انظر تفصيلات كل ذلك في محاضرته القيمة(تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا) منشورة في كتاب اصدره مجمع اللغة العربية الأردني ٤١ ـ٦٧).

٣٣ـ د. سعيد اسماعيل علي: الفكر التربوي العربي الحديث ١٦٤(الكويت عالم المعرفة مايو ١٩٨٧)

جعل الله في هذه الحياة لكل شيء سببا فلا مكان فيها للمصادفة والعبث

من الحقائق الإسلامية الثابتة أن غاية العمل الإسلامي في هذه الحياة هي تحقيق معنى العبودية لله سبحانه وتعالى في الفرد وفي المجتمع الإنساني، أداءً لأمانة المسؤولية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران: ١١٠] وتحقيقا لأعباء الوسطية التي شرف بها أمة الإسلام: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ [البقرة: ١٤٣] ونقصد بالعمل الإسلامي كل الدعاة إلى المنهج الإسلامي الشامل الموجودين على الساحة العالمية، الذين يرون في الإسلام طريق الخلاص للبشرية الممزقة، ويؤدّون دورهم في واقعهم، ويستشعرون مسؤوليتهم تجاه ذلك بمختلف الوسائل المشروعة وفي مواقعهم المختلفة سواء انتظمتهم جماعات أو جمعيات أو مؤسسات مهمتها الهداية والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة اقتداءً برسول الله محمد عليه الصلاة والسلام الذي بعثه الله رحمة للعالمين.

العمل الإسلامي وفقه السنن

غير أن تغيير الواقع الإنساني عقائديا وفكريا وسلوكيا، عمل يبلغ من الصعوبة والعسر ما يجعل الكثير من مؤسسات العمل الإسلامي تبوء بالفشل في تحقيق مارامت من أهداف إنسانية، ذلك أن للواقع سطوة على النفوس ينشأ منها الاستمراء والالف فينزع إلى الاستقرار والثبات، ويتأتى على الإزالة والتغيير. وهذه السطوة التي تكون للأوضاع القائمة هي التي تفسر ما يلقاه دوما أصحاب الدعوات التغييرية وفي مقدمتهم الرسل والأنبياء من جمّ المصاعب في هدم القديم الفاسد وغرس الجديد الصالح، تلك المصاعب الناشئة من تصميم الواقع على الثبات تصميما صوره قوله تعالى: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ [الزخرف: ٢٣].

وتضاف إلى سطوة الواقع في العمل الإسلامي معضلة أخرى ليست بأخف من تلك السطوة، وهي معضلة تنزيل المبادىء والأفكار والأحكام في الواقع الراهن إذ إن عملية إزالة القديم ماهي إلا تمهيد لتنزيل البديل انطلاقا من المرجعية الإسلامية من جهة، وملاءمة لظروف وملابسات الإنسان موضوع التغيير من جهة أخرى،

بقلم: محمد بن علي بن جبرة

واعتبارا لعقبات المصالح الطاغوتية التي ترى في دعوة الإسلام خطرا عليها. إن هذه المصاعب التي تنضوي تحت لوائها العديد من المشاكل والعراقيل، تستلزم أن يكون العاملون للإسلام، قبل شروعهم في عملية التغيير، قد استوعبوا وتمثلوا سنن الله في الحياة، واعتبروا بالتجارب التغييرية التاريخية، من أجل ترشيد مسالك العمل الإسلامي والاهتداء لأساليبه الحكيمة السليمة، واجتناب المعاثر وتكرار الأخطاء.

التعامل الصحي مع سنن الله

لقد جعل الله في هذه الحياة لكل شيء سببا، فلا مكان فيها للمصادفة والعبث، وهذا من مقتضيات العدل الإلهي الذي شرع الأسباب وأقام الحياة على سنن وناطها بعلل، وخلق الإنسان وكلفه بتعمير الأرض وسخّر له ما فيها، ثم رتب نتائجه في الدنيا والآخرة على ضوء قدرته على امتلاك القدرة على اكتشاف قوانين التسخير، والتحقق بمعرفة سنن الله التي تحكم الأنفس والآفاق. لذلك جاءت رسالة الإسلام الخاتمة مراعية لسنن الحياة، هادية الإنسان إلى حسن التعامل معها، فمن بديهيات الإسلام أنه يتعامل مع الإنسان بكل مكوناته الروحية والنفسية والجسدية اعتبارا لسنن الله الجارية التي شرعها الله له، وأن غاية التنزيل الحكيم من بعض الوجوه يتمثل في هدي الإنسان إلى سنن الله في النفس والحياة وحسن تسخيرها والتعامل الصحي معها وعدم الارتباط بها. هذه السنن الحياتية جاء الأنبياء وأوقفوا الناس عليها، وقدموا لنا نماذج من حياتهم عن كيفية التعامل معها. لقد نصر الله أنبياءه بعدما تعاملوا مع سننه في النصر كما شرع الله، ولو أراد الله نصرتهم في كل معركة بسننه الخارقة لنصرهم بلاشك، ولكن قضية النصر والتمكين تخضع لسنة الله بحسن الاستفادة من الإمكانات المتوفرة والفرص المتاحة، ولا تتحقق بالأماني وانتظار الصدف، قال الله تعالى: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به﴾ [النساء: ١٢٣]. لذلك فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يهاجر من مكة إلى المدينة إلا بعد توفير أرضية العمل الإسلامي المقبل وتأمين الرحلة تعاملا مع سنن الله

في التمكين وانتصر في معاركه ضد قوى الكفر بعدما وفر الأسباب النفسية والمادية للنصر، فكان الأسوة الحسنة في التعامل الصحي مع سنن الله.

وكذلك هزم المسلمون في معركة أحد بسبب تقصيرهم في التعامل الصحي مع سنن الله في النصر عند مخالفتهم لأوامر قائدهم، قال تعالى: ﴿أولّما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها، قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾ [آل عمران: ١٦٥].

والقرآن الكريم يقرر في مواضع كثيرة. أن هناك سننا تحكم الكون بأسره في كل قطاعاته وأبعاده سواء في مستوى المادة والحياة والمجتمعات والحضارات، كما في قوله تعالى: ﴿يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم﴾ [النساء: ٣٦].

﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ [آل عمران: ١٣٧]

﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾ [الأحزاب: ٣٨]

ويقرر القرآن الكريم أن لهذه السنن سمتان أساسيتان هما: عدم التبدل وعدم التحول إلا بسننه الخارقة سبحانه وتعالى، أي تتكرر كلما توفرت الأسباب والشروط الموضوعية، فهي تحدث وتمشي إلى نهايتها بدون تبدل أو تحول يحرف مجرى سيرها، وهذا ما عبر عنه قوله تعالى: ﴿فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ [فاطر: ٤٣] إن هذه المعطيات تدفع إلى ضرورة الاستفادة من مختلف قوانين الحياة في مشروع العمل الإسلامي التغييري.

والأمر المحزن حقا أن يعتبر بعض العاملين في الحقل الإسلامي أنفسهم فوق مرتبة سنن الله على خلقه، فيعفون أنفسهم من النقد الذاتي الضروري للتقدم بالعمل، ولا يرضون الاعتراف بالهزيمة مستبعدين ذواتهم ووسائلهم من المشاركة في إحداثها، ويحصرون أسبابها في الصهيونية العالمية طورا أو الصليبية طورا آخر، أو الماسونية أو الاستعمار أو الشيطان، بل وحتى في النهاية لا مانع من إرجاع ذلك إلى إرادة الله سبحانه وتعالى عما يقولون، وهذا يذكّرنا بقول الذين أشركوا من قبل حينما عللوا شركهم بأن الله أراد لهم هذا قال تعالى: ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾ [الأنعام: ١٤٨]إن المتتبع لمسالك حدوث الأشياء يرى بشكل مؤكد أن العوامل الذاتية هي دوما الأساس لكل حدث يتم بعد ذلك سواء في مستوى المادة أو النفس أو المجتمع، فمرض الجسد سببه ذاتي قبل كل شيء وهو انخفاض مقاومة الجسم للجراثيم الموجودة دوما، كذلك سقوط الحضارات كان دوما بفعل انتحار داخلي أولا. لذا فإن عملية النقد الذاتي والتبصر بسنن الله في الحياة يعتبران الالتفاتة الضرورية إلى العامل الجوهري الذي عن طريقه يمكن حل المعضلات جذريا، فتطهير الوسط الداخلي عقديا وفكريا وسلوكيا هو الذي يهب الصحة للعمل ويقي من التعثر ويرفع من المقاومة.

والعمل الإسلامي اهتم كثيرا بخصومه أكثر من داخله، فهو رأي الصليبية والصهيونية والاستعمارية والمخابرات، وما التفت إلى نفسه بهذا القدر، والحقيقة أن القوى الخارجية هذه لا تفعل فعلها إلا بقدر قابليتنا نحن، فإذا غيرنا ذواتنا نحو المناعةوالقوة لم نترك المجال للعدو لتنفيذ خططه فينا. ومنطق القرآن في هذا المجال هو في هذا الاتجاه حيث يؤكد سبحانه أن الناس أنفسهم يظلمون، ولذا ربطت سنن الله تغيير ما بالنفس بتغيير المجتمعات، قال تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [الرعد: ١١]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه» [رواه مسلم]. كذلك في حادثة الافك، وهي تلك المحاولة التي كان الهدف منها تفجير المجتمع المسلم من الداخل، يعقب القرآن الكريم على ذلك بأن دور المؤمنين أن يحققوا مناعتهم الداخلية فلا يصدقوا ما يقال عنهم: ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين) [النور: ١٢].

ثم هزائمنا المعاصرة المتكررة أمام العدو الصهيوني، لا يمكن أن نفهم أسبابها إلا إذا عدنا إلى ذواتنا، إلى جوهر الأفكار التي نحملها في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا، إلى وسائل إعلامنا المتعددة، إلى واقعنا بكل أبعاده... فسوف لا نجد السنن الذاتية الموضوعية للنصر وتحرير أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. إن تحرير الأرض السليبة لا يجب أن يكون شعارات بدون إعداد وتربية وفكر وثقافة وقوة، فصلاح الدين الأيوبي رحمه الله، قبل تحرير القدس بدأ بتحرير الذات فغيرها واستشعر المسؤولية أمام الله والأمة والتاريخ، فأنهى موانع النصر السائدةفي عالم المسلمين آنذاك، فبنى جيل التحرير، وكذلك قام العلماء والفقهاء والقادة بمسؤولياتهم، وتوكلت الشعوب المسلمة على ربها بعد استفراغ الجهد لتسخير سنن الله في النصر، فكان نصر الله، وكان تحرير المقدسات... واليوم مهما ارتفعت أصواتنا في استدعاء صلاح الدين الجديد، فلا سبيل إلى النصر والتحرير دون العزم على تحرير ذواتنا من الوهن والخنوع

والعمل الإسلامي اهتم كثيرا بخصومه أكثر من داخله، فهو رأي الصليبية والصهيونية والاستعمارية والمخابرات، وما التفت إلى نفسه بهذا القدر

سر تعثر العمل الإسلامي يعود إلى ضرب من الأمراض الفكرية التي انتقلت من خلال الثقافة التي سادت عصور الانحطاط واللافاعلية في طول العالم الإسلامي

والتكاسل وانتظار الصدف والأقدار التي تجري بسنن الله في مخلوقاته، ودون التبصر والاعتبار بالتاريخ وحوادثه وتجنب العثرات التي سبق لأجيال قبلنا السقوط فيها، فلا يتكرر اللدغ من الجحر مرتين، وتلك سنة الله، فلن نجد لها تحويلا أو تبديلا، كما جاء في القرآن العظيم الذي أصّل الوعي بسنن الله في خلقه وأبرز أهمية العامل الذاتي في الأحداث: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾ [الأنفال: ٥٣].

سلامة الفكر والتصور ضرورة

إن سر تعثر العمل الإسلامي اليوم يعود في معظمه إلى ضرب من الأمراض الفكرية التي انتقلت كموروثات من خلال الثقافة التي سادت عصور الانحطاط واللافاعلية في طول العالم الإسلامي وعرضه، كعدم مراجعة النفس، وإخراج الذات من المشكلة، والبحث عن المبرّر، كل ذلك يقود إلى تعليل خطير في موضوع السبب والنتيجة، وهو أن النتائج في العمل الإسلامي ليست مربوطة بأسبابها، بل هي معلقة بإرادة الله، وهكذا تتوقف كل عملية مراجعة فتتكرر الأخطاء وتتبدّد الطاقات بدعوى أننا علينا أن نعمل وليس علينا أن نصل إلى النجاح، مع أن الله فطرنا وطبعنا على أن نرى نجاح أعمالنا، فالطبيب يريد أن يطمئن على نتيجة عمليته، والمهندس عن صحة تصميمه، والمعماري عن استواء عمارته، والتاجر عن ربحه، والسياسي عن خططه وبرامجه... وهكذا تمشي الحياة إلا من يقود دقّة العمل الإسلامي فإنه لا يفترض حدوث أخطاء في الطريق أخرت النجاح، بل يعوزه إلى قدر الله، وهل قدر الله سوى حكمته وسننه الكونية التي تحكم الخلق، هذا التصور الصحيح لقدر الله هو ما عبر عنه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بقوله: «(نعم فرارا من قدر الله إلى قدر الله!» (١).

رغم ذلك ومن منطلق إيماننا بقدرة الخالق التي لا تحدّها حدود، تبقى الإرادة الإلهية المطلقة فوق قانون السنن فتتدخل لتعطيله في أي لحظة من لحظات الزمن، وما المعجزات والكرامات إلا شواهد حية على تدخل القدرة الإلهية المطلقة في نسق تلك القوانين وتعطيلها، ويشير بعض العلماء إلى أن تعطيل الله لسنّة كونية ما يتم وفق قوانين وسنن أخرى.

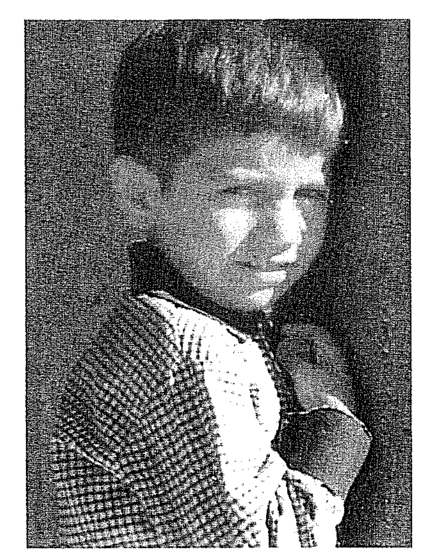
وفي هذا المجال لابد أن نميز بين النتائج العاجلة والنتائج البعيدة المدى، فالقرآن يحذر من الاغترار بالنتائج السريعة العاجلة، فهي كالزبد الرابي ينتعش برهة لكنه سرعان ما ينطفيء: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ [الرعد: ١٧]، فالنتائج العاجلة ليست مقياسا للصواب والخطأ ومعيارا للحق والباطل.

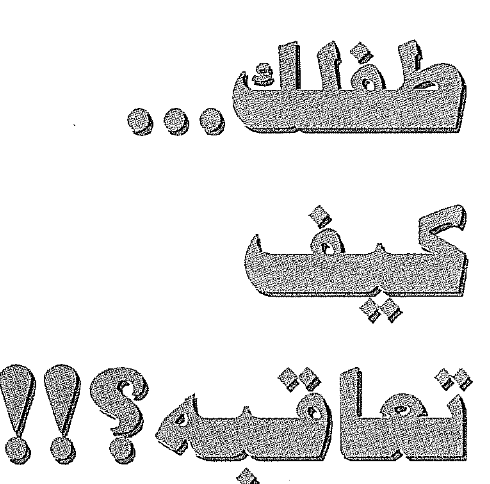
وكذلك لابد من التمييز المنهجي بين المحنة كوسيلة إيضاح وأداة تمحيص وإعداد للنفوس وتنقية للصفوف، وبين ما يمكن أن يقع نتيجة التقصير والعجز عن الدراية وفقه سنن الله في التغيير واستعجال النتائج، فالمحن في المنظور القرآني، لابد أن تواجه كل دعوة للإصلاح والتغيير: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾:[العنكبوت: ٢و٣]، لأن المواجهة بين الحق والباطل أيضا من سنن الله في الحياة، ليميز الله الخبيث من الطيب ولتنشأ الأمة القائمة على أمر الله من خلال الاختبارات العسيرة، حتى تكون قادرة على حمل رسالة الله إلى الناس، بعيدا عن عوامل الضعف والوهن والاسترخاء. أما المصائب والفساد، فيؤكد القرآن أنها من صنع الناس: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلّهم يرجعون﴾ [الروم: ٤١]، ولعل أخطر مواطن الضعف والفساد المؤثرة تلك التي تكون من الذات، ذلك أن الفساد الخارجي عادة ما يصلّب العزم، ويوقظ الهمم ويشحن الفاعلية، لذلك نجد أن أكثر العاملين للإسلام يقظة وجدية وفاعلية أولئك الذين يعملون في مجتمع كثر فساده. لكن الخطورة في تسلل عوامل الضعف والانحلال والهامشية داخل الصفوف، ولقد حمّل القرآن المسؤولية كاملة للمسلمين عند هزيمتهم في معركة أحد، وهذا يقتضي من العاملين للإسلام الوعي الدقيق للتمييز بين ما هو محنة وما هو نتيجة لإهمال السنن، ذلك أن الخلط بينهما يؤدي إلى نوع من المغالطة والهروب من المسؤولية.

وهنا لابد من الإشارة أن خطأ الدعاة إلى الإسلام في الوسائل أو في خطط العمل الاجتماعية أمر طبيعي، بسبب ضغط الواقع وشراسة الأعداء التي تؤدي إلى ردود فعل خاطئة نتيجة الضعف البشري والفهم الخاطيء في التعامل مع المحن، أما الأمر غير الطبيعي فهو التستر على ذلك الخطأ والسكوت عنه بحجة خوف التمزق وإحداث الخلخلة في الصفوف.. والقرآن العظيم يعلمنا أن الحق أحق أن يتبع. والله يهدي إلى الحق وهو الموفق إلى سواء السبيل.■

الهوامش

(١) حادثة هذه المقولة أن عمر رضي الله عنه نوى الذهاب إلى الشام لينظم شؤونه بعد ما تمّ فتحه من أقصاه إلى أدناه، فسار من المدينة حتى إذا وصل قريبا من تبوك لقيه أمير الأجناد وأخبره أن أرض الشام انتشر فيها الطاعون. فأمر عمر بالرجوع، فقال له أبو عبيدة بن الجراح أفرارا من قدر الله يا عمر؟ فنظر عمر طويلا إلى أبي عبيدة ثم قال: لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة! نعم فرارا من قدر الله إلى قدر الله!!





طفلك... كيف تعاقبه؟!!

... مما لاشك فيه أن العنف في تربية الأولاد.. يشبه الإهمال البغيض.. والتدليل المسرف.. إذ النتيجة واحدة.. فالاطفال الذين يعيشون في هذين المناخين: مناخ العنف أو مناخ التدليل - يصلون في النهاية إلى شخصية مضطربة وإن تفاوت الاضطراب. ففي ظل العنف يكون الخوف والحقد.. وضعف الشخصية والرغبة المكبوتة في الثأر والانتقام. وفي ظل التدليل المسرف تكون الميوعة والحيرة وفقد الاعتماد على النفس.. ومع هذه المثالب يكون الشخص كالميت في مجتمعه فيشعر بالأسى يعتصره.. حينما يوضع في معترك الحياة فلا يجد معه ما يصارع به الحياة إذا لم يسلحه والداه. وبالرغم من القدوة الحسنة.

وبالرغم من الارشاد والتوجيه.. قد يخطىء الطفل.. وهنا يأتي العقاب.. فكيف نعاقبه؟!!... هذا وقد شغلني موضوع الطفل وكيفية عقابه.. ومتى يكون العقاب.. وفي حقيقة الأمر بحثت وجلت كثيرا في كتب علم النفس.. وبخاصة علم نفس الأطفال.. فما وجدت إلا نظريات تحذر من الضرب ومن الأضرار النفسية والانحرافات التي يقع الطفل في براثنها.. بيد أني لم أجد منهجا مفصلا يستطيع الأب اتباعه لتربية ابنه عنه طريق الضرب.. ولم أجد من يقرر الضرب ويبينه كوسيلة لتربية الإسلام في العقاب.. وقلت: إن الإسلام هو الدين الحق لكل البشر وعلى كافة المستويات ولابد أن يكون له منهجه الخاص للثواب والعقاب عامة وللأطفال بصفة خاصة.. ووفقني الله عز وجل للتوصل إلى الطريقة التي انتهجها الإسلام في عقوبة الابن أو الابنة أو عقوبة الأطفال بصفة عامة.. فما هذه الطريقة؟!!

هذا ما سوف نجيب عليه في هذا المقال إن شاء الله تعالى.

بقلم
سعد رفعت راجح

... بادىء ذي بدء معاملة الطفل لابد وأن تكون باللين والرحمة فقد روى البخاري في الأدب المفرد: «عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش» وروى الآجري: «عرفوا ولا تعنفوا».

وروى الحارث والبيهقي: «علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنِّف».

ومما يؤكد أن المعاملة بالرفق واللين هي أصل من أصول تنشئة الأطفال في الاسلام ومنهجه وملاحظة الرسول ﷺ للأطفال ورحمته بهم. ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنه.. وعنده الأقرع بن حابس التميمي فقال الأقرع: إن لي عشرة ما قبلت منهم أحدا قط فقال له الرسول ﷺ: «من لا يرحم لا يُرحم».

ومن ثم فعلى الآب أن يتمثل مظاهر الرحمة في معاملته لأولاده.. لأن الرحمة والحب إذا نزعا من قلب الأبوين فاعتقد أن التربية مهما كانت لا تنفع حينذاك. ومن ثم لا ينشأ الطفل على مكارم الأخلاق إذاً فما على الآباء إلا أن يسلكو مع أبنائهم سبيل الرحمة لينشأ الطفل على الأخلاق الكريمة.

المعاملة بالرفق واللين هي أصل من أصول تنشئة الأطفال في الاسلام

والرسـول ﷺ أعطى للآباء الأنمـوذج الأمثل في معاملته وملاحظته والرفق بالأطفال فقد روى النسائي والحاكم:

بينما كان رسول الله ﷺ يصلي بالناس إذ جاءه الحسين. فركب عنقه وهو ساجد. فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا: قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر. فقال: «إن ابني ارتحلني ــ أي جعلني كالراحلة فركب على ظهري ـ فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته».

ومن أقواله للحسن والحسين أثناء مداعبتهما وهما يتعلقان به:

«نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما».

وما يجب أن نحذر منه الآباء هو عدم معاقبة الطفل على سلوكيات مذمومة يراهم الأطفال يقومون بها ليل نهار بل لابد للأب الذي يريد معاقبة طفله أن يكون قدوة له أولا حتى تنفع حينئذ الموعظة وتجدي أساليب التربية ويكون بذلك للعقاب دور في تربية الأطفال.

العقاب.. نهاية المطاف:

... وكما حث الإسلام الآباء على اتخاذ الرحمة والعطف ديدنهم فقد حثهم أيضا على عدم استخدام العقاب إزاء كل سلوك غير سوي يقوم به الطفل بل يجب على الآباء التحلي بالتؤدة والروية ويكون اختيار العقاب كأسلوب للتقويم والتربية نهاية المطاف.

فبين الأطفال ولا شك الكثير من الفروق الفردية من حيث الاستجابة وردود الأفعال والحالة المزاجية والذكاء.. فبعض الأطفال ينفع معهم النظرة العابسة للزجر والإصلاح.. بينما نجد أن التوبيخ في العقوبة يؤتي أكله مع طفل آخر.. وقد يرى بعض الآباء أن الزجر والتوبيخ لايفيدان مع أطفالهم وأنهم فاض بهم.. فيلجأون إلى العصا في حالة اليأس.

ويرى الكثير من علماء التربية الإسلاميين أمثال ابن سينا ـ والعبدري ـ وابن خلدون ـ أنه لا يجوز للمربي أن يلجأ إلى العقوبة إلا عند الضرورة القصوى.. وأن لا يلجأ إلى الضرب والعقاب إلا بعد التهديد والوعيد وذلك لإحداث الأثر المطلوب في إصلاح الطفل وتكوينه خلقيا ونفسيا.

ويقرر ابن خلدون في مقدمته أن القسوة المتناهية مع الطفل تعوده الخور والجبن والهروب عن تكاليف الحياة.

ومما ترويه كتب التاريخ أن الخليفة الرشيد طلب إلى «الأحمر» مؤدب ولده ألا يدع ساعة تمر دون أن يغتنم فائدة تفيده من غير أن تحزنه فتميت ذهنه وألا يمعن في مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه ويقومه ما استطاع بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليه بالشدة والغلظة.



وما نخلص إليه أن الآباء يجب أن يكونوا حكماء في استعمال العقوبة كما يجب ألا يلجأ إلى العقوبة إلا في نهاية المطاف وفي مرحلتها الأخيرة.

إنحراف الطفولة.. كيف عالجها الإسلام؟!

والإسلام لايقف مكتوف الأيدي إزاء إنحراف الأطفال.. بل إن الإسلام ولا شك سبق علماء النفس والتربية وتفوق عليهم أي تفوق في مجال رسم المنهج القويم لعلاج مشكلة الانحراف عند الأطفال واضعا المنهج الذي يسير عليه الآباء لإصلاح نفسية أطفالهم وتنشئتهم ليكونوا أفرادا خيرين في مجتمع إسلامي خير ونستطيع أن نلخص طريقة العلاج ومنهجيته في النقاط التالية:

أ- الإرشاد والتوجيه:

فعلى الآباء أن يرشدوا أولادهم إلى الخطأ غير متناسين توجيههم إلى الأصح فقد روى البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: كنت غلاما في حِجْر رسول الله ﷺ (أي تحت رعايته) وكانت يدي تطيش في الصحفة (أي تتحرك هنا وهناك في القصعة). فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سمّ الله ـ وكل بيمينك ـ وكل مما يليك».

وبهذ التصرف النبوي الحكيم يدلنا رسول الله ﷺ على كيفية التوجيه الموجز المختصر والمؤثر للأبناء راسما الطريق لنا كمسلمين قبل أن نفقد أعصابنا ويحدث مالا يحمد عقباه.

ب- الإرشاد إلى الخطأ بالإشارة:

وعلى الآباء أيضا بدء الخطوة الثانية من خطوات منع الانحراف الطفولي والمتمثلة في الإرشاد إلى خطأ الطفل بالإشارة كنوع من أنواع توجيه السلوك ولاشك أن هذه النقطة مرتبطة أيما ارتباط بسابقتها فإذا وجد الآباء أن أطفالهم على عتبة ارتكاب سلوك شاذ فما عليهم إلا أن

بل لابد للأب الذي يريد معاقبة طفله أن يكون قدوة له أولا حتى تنفع حينئذ الموعظة

القسوة المتناهية مع الطفل تعوده الخور والجبن والهروب عن تكاليف الحياة.

يوجهوا نظر أطفالهم بإشارة ما لتعديل سلوكهم الذي بدأوا يمارسونه بالفعل وقد تكون هذه الإشارة أبلغ في الإصلاح من التوبيخ والقسوة والقهر الذي نحاول عن طريقة منع الطفل من تكرار الخطأ. فلقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان الفضل رديف رسول الله (ﷺ)، فجاءت إمرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه. وجعل رسول الله (ﷺ) يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر. فقالت: يارسول الله إن فريضة الحج أدركت أبي وهو شيخ كبير لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟

قال نعم:

إن هذا لدليل قاطع على الإرشاد إلى الخطأ بالإشارة، الأمر الذي أثّر في رديف رسول الله (ﷺ).

التوبيخ.. أسلوب إسلامي لعلاج الانحراف الطفولي:

وتأتي المرحلة الثالثة في المنهج الاسلامي الرشيد لعلاج الانحراف الطفولي ألا وهي التوبيخ.. فقد لا ينفع مع طفلك.. نظرة مؤنبة حازمة أو إشارة لتغيير سلوك ما. أو قد يستلزم الخطأ الذي وقع فيه الطفل عقابا أشد قوة من النظرة المؤنبة الحازمة فلهذا نجد أن الاسلام وجه النظر إلى استخدام التوبيخ كأسلوب للعلاج وهذا يتضح جليا في السيرة النبوية حيث رأينا أن الرسول (ﷺ) عالج خطأ أبي ذر حين عير الرجل بسواده بالتوبيخ والتأنيب وذلك في قوله: يا أبا ذر «إنك امرؤ فيك جاهلية» ثم وعظه بما يلائم المقام وما يناسب التوجيه!!.

الهجر.. حل إسلامي فريد:

.. وإذا وجد الأب أو القائم على تربية الطفل أن الموعظة البليغة أو النظرة الخاطفة أو الملاطفة الرقيقة أو الإشارة العابرة أو الكلمة الزاجرة لا تجدي فتيلا في أصلاح أمر الطفل فعندئذ يجب على الأب أن يتدرج مع الطفل إلى أسلوب أشد نوعا.. له تأثيره السحري في نفسية الطفل ألا وهو الهجر كأسلوب إسلامي فريد لعلاج الانحراف وكوسيلة من أساليب العقاب النفسي للصغار والكبار على السواء. وكل من ضرب في مجال السيرة النبوية بسهم يجد أن الرعيل الأول بقيادة المصطفى (ﷺ) كانوا يعاقبون بالهجر في إصلاح الخطأ وتقويم الإعوجاج حتى يرجع المنحرف إلى جادة الصواب. فهذا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما هجر ابناً له إلى أن مات لأنه لم ينقد لحديث ذكره له أبوه عن رسول الله (ﷺ): «نهى فيه الرجال أن يمنعوا النساء من الذهاب إلى المساجد». وهذا كعب بن مالك حين تخلف عن النبي (ﷺ) في تبوك يقول: «نهى النبي (ﷺ) عن كلامنا. وذكر خمسين ليلة..» حتى أنزل الله توبتنا في القرآن الكريم.

الضرب.. هل أقره الإسلام؟!:

ومما لاشك فيه أن العقوبة بالضرب أمر أقره الإسلام.. ولكن يتساءل البعض عن الوقت الذي يجب أن نضرب فيه الطفل المنحرف وهنا يقرر الإسلام أن يأتي بالمرحلة الأخيرة بعد الوعظ والهجر ولا يجوز اللجوء إليه إلا بعد اليأس من كل وسيلة لإصلاح وتقويم الطفل. ومما رواه أبوداود أنه عليه الصلاة والسلام قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر. وفرقوا بينهم في المضاجع». وقال تعالى في [سورة النساء آية/ ٣٤]: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾.

الضرب.. وعلاج الإسلام للإنحراف قبل وقوعه!:

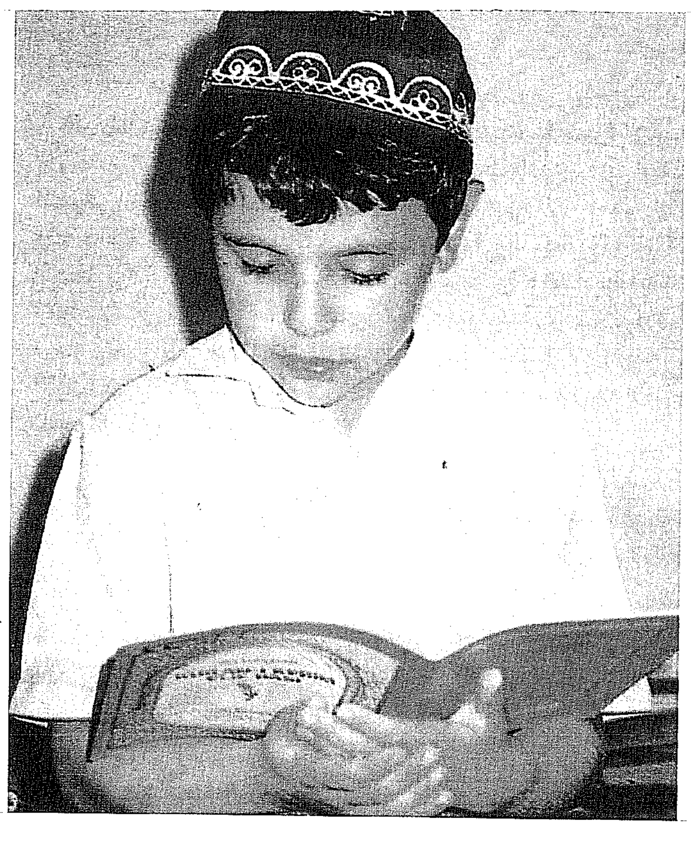
والطفل إذا ارتكب خطأ وكان الضرب من قبل الأب هو الاختيار الوحيد بين البدائل فقد يعاقب بعض الآباء أبناءهم بمعزل عن أقران الطفل وإخوانه الباقين.. وقد يعاقبه أمام أعين إخوانه القاطنين في نفس المنزل بغية إصلاح ما أعوج من أمر طفله وحتى يتعظ من تسول له نفسه أن يحذو حذو أخيه.. إن هذا الأسلوب في العقاب أمام أنظار الآخرين من الأساليب البارعة من قبل هؤلاء الآباء لأنهم بذلك يمنعون الإنحراف قبل وقوعه.. والإسلام حرص كذلك على استخدام هذا الأسلوب من جانبه حتى لا يتفشى الانحراف في المجتمع ويئد الإنحراف قبل وقوعه حرصا منه على بناء المجتمع الخير عن طريق تربية أفراده وجعلهم أفرادا خيرين. وذلك من منطلق أن العقوبة أمام الأخوة تترك الأثر الكبير في نفوسهم ويحسبون ألف حساب لعقوبات تنالهم إذا هم تصرفوا نفس التصرف الشاذ والمنحرف وبهذا تتحقق الموعظة ويتحقق الاعتبار من جانبهم وقد قيل: (السعيد من اتعظ بغيره).

... ولكن الإسلام حين أقر عقوبة الضرب ـ كما سبق بيانه فإنه أحاط هذه العقوبة بدائرة من الحدود وبسياج من الشروط حتى لا يخرج الضرب من دائرة الزجر والإصلاح إلى دائرة التشفي والانتقام.. فما هي إذن تلك الشروط؟!!!

١- على الآباء ألا يستخدموا أسلوب الضرب في العقاب إلا بعد أن يستنفذوا جميع الوسائل التأديبية والزجرية التي سبق بيانها.

٢- على الآباء ألا يضربوا أطفالهم وهم في حالة غضبية شديدة حتى لا يندموا بعد إلحاق الضرر الجسمي البالغ بأطفالهم أخذا بوصية الرسول (ﷺ): (لا تغضب) رواه البخاري.

٣- وإذا كان الضرب هو الحل الوحيد فعلى الآباء أن يتجنبوا الوجه والرأس والصدر والبطن فتلك



ولاشك أماكن حساسه والضرر بها يكون عواقبه وخيمه. لقوله (ﷺ): (ولا تضرب الوجه) رواه أبو داود. ولقوله (ﷺ): «لا ضرر ولا ضرار». رواه أحمد وابن ماجة.

٤- وإذا بدر انحراف من قبل الطفل لأول مرة فعلى الآباء ألا يكيلو له الصاع صاعين بل يجب أن تكون العقوبة غير شديدة وتكون بتعقل بالضرب على اليدين أو الرجلين بعصا غير غليظة. وأن يضرب من واحدة إلى ثلاث ضربات وذلك للطفل في مرحلة الطفولة المبكرة.. أما إذا كان الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة.. «مرحلة المراهقة.. والبلوغ» فلا يزيد الأب عن عشر ضربات لقوله (ﷺ): «لايجلد أحد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود الله تعالى» متفق عليه.

٥- ألا يكون العقاب البدني للطفل إلا بعد بلوغه سن العاشرة.

٦- أن يترك الآباء لأبنائهم الفرصة للعودة إلى الجادة والصواب وأن يأخذوا عليهم العهد بعدم الرجوع إلى نفس الخطأ وخاصة إذا كان السلوك الشاذ حدث من الطفل لأول مرة.

٧- أن يقوم الآباء بضرب أبنائهم وأطفالهم بأنفسهم وألا يضربهم إخوانهم وأقرانهم بوازع من الأب حتى لا نزرع بين الأخوة والأقران بأيدينا نار الحقد والغل والكراهية مدى الحياة لأن هذا التصرف من قبل بعض الآباء ينطبع في نفوس أطفالهم ولا يكرهون من قام بضربهم فحسب بل يمتد الكره ليصل إلى الأب الذي يجد العقوق في سلوك طفله في المستقبل.

٨- أن يبين الأب للطفل أنه لا يكرهه حين ضربه بل هذا من منطلق الحفاظ عليه وجعله رجلا سليما لإيعاب وبذلك يفهم الطفل لماذا ضرب!.

٩- ألا يغفل الآباء مبدأ المكافأة عند أي تصرف قويم يقوم به أطفالهم.. وأن تكون المكافأة فورية لأن المكافأة يكون لها مفعول أكبر عندما تقدم فور حدوث السلوك كلعبة يرغبها الطفل أو مجرد ابتسامة أو التربيت على كتفه ليشعر أنك تستحسن تصرفه.. ولا شك أن لهذا الأسلوب فعل السحر بالنسبة للصغار. والطفل بطبيعته يحتاج إلى الانتباه الايجابي من قبل والديه.

١٠- على الآباء أن يكونوا حازمين إزاء تصرفات أطفالهم فإن أخطأ الطفل فعليه العقاب وإن أحسن فله الثواب.

كلمة أخيرة:

.. مما لاشك فيه أن الإسلام بهذا قد عرض منهجا مفصلا للعقاب النفسي والبدني فعلى الآباء أن يلتزموا بهذا المنهج الإسلامي في علاج انحراف الطفولة غير متناسين مبدأ المكافأة عندما يتصرف الطفل تصرفات حسنة وسلوك قويم على شرط أن تكون هذه المكافأة فورية بغية تنشئة سليمة للأطفال الذين هم أمل المستقبل ودرع الأمة التي تحميها وتعصمها من مخططات الأعداء الذين لا يألون جهداً لتقويض أركانها.

الهوامش

١- الأمومة والطفولة في الإسلام: عبد الغني أحمد ناجي.

٢- كيف يصبح طفلك اجتماعيا: د.رسمي عبدالملك.

٣- الأطفال مرآة المجتمع: د.محمد عماد الدين اسماعيل.

٤- تربية الأولاد في الإسلام: عبدالله ناصح علوان.

٥- أطفالنا كيف نسوسهم: يعقوب فام.

٦- دراسة تجريبية في أساليب الثواب والعقاب التي تتبعها الأسرة في تدريب الطفل وأثرها على شخصية الأبناء. رسالة دكتوراه. كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٦٦م.

٧- التربية في الإسلام: أحمد فؤاد الأهواني (القاهرة: دار المعارف ١٩٧٠).

على الآباء أن يرشدوا أولادهم إلى الخطأ غير متناسين توجيههم إلى الأصح

كثرت الكتابات المعاصرة المتناولة لظاهرة الصحوة الإسلامية، أو ما يسمونه خطأ بـ «الإسلام السياسي» أو«الأصولية»... وتعددت التقويمات النقدية من خارج الإطار الإسلامي الحركي، وكذا من داخله، بل أصبحت الظاهرة الإسلامية الشاغل الأساسي لدوائر الإعلام والسياسة والمؤسسات الأكاديمية: النفسية والسوسيولوجية. ويعكس هذا الاهتمام الغربي المكثف إرادة ملحة لمحاصرة امتداد الصحوة وتناميها حيث تخضع لبحث دقيق وتنقيب متواصل عن مكامن قصورها وضعفها لتُواجَهَ من خلالها، لذا يبقى على العقل الإسلامي أن يسارع قبل الآخرين إلى كشف القصور وتبيين الخلل مع إعطاء تصحيحاته ومعالجاته، أو على الأقل التدليل عليها، حتى لا نترك الأخطاء تتراكم بدون معالجة، وتستغل من طرف المغرضين لتشويه حركة الالتزام الإسلامي المعاصر.

عوائق أمام امتداد الصحوة الإسلامية

بقلم الأستاذ الطيب بوعزة

وفي هذا السياق نتساءل في هذا المقال عن مكمن القصور في كياننا الإسلامي الحركي المعاصر، مستهدفين بذلك المساهمة في إيجاد العلاج والتقويم المناسب. ذلك أن الصحوة الإسلامية ــ اليوم ــ في مسيس الحاجة إلى النقد العلمي والتصويب المخلص، وليست محتاجة إلى الغزل وعذب القول ورقيق المديح!

يقول سبحانه وتعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وأولئك هم المفلحون» (١)

إن أي تشخيص لوضعية الصحوة الإسلامية حاليا، إلاَّ ويخلص بسهولة إلى إبصار موقعها كاتجاه ذي موقف نقدي إزاء الأسلوب الذي ينتظم به المجتمع العربي الإسلامي. هذا الأسلوب التنظيمي الذي انحرف عن الدين واتبع النموذج الغربي. ومن ثم فالصحوة ذات مشروع حضاري يهدف إلى استبعاد المنكر وإحلال المعروف وذلك باستعادة الصبغة الإسلامية إلى المجتمع في كل مجالاته وأصعدته. ولاشك أن هذا طموح حضاري مبارك ينبع من داخل الشخصية الحضارية للأمة، لكنه طموح صعب تقف أمام إنجازه معوقات من كل لون ونمط:

١ــ معوقات خارجية: تقف أمام إنجازه وتجسيده القوى الغربية الإستعمارية التي ترى في المد الإسلامي جبهة لو أمكن لها التجذر في الواقع الإسلامي لوقفت باقتدار ضد أطماعها وأساليبها الاستغلالية، ولذا نرى أن الكتابات الغربية الراصدة للصحوة الإسلامية، ولامتداداتها ومواقع وجودها وأساليب تفكيرها واجتهادها، ومواقع نقصها وقصورها، وملامح مستقبلها، أكثر من الكتابات الإسلامية ذاتها، لأن هذه الأخيرة سادها نوع من الصمت عن النقد الذاتي والتصويب الشجاع، فطغت على الخطاب الإسلامي نبرة الاعتزاز بالذات وتسويغ الأخطاء وتبريرها. وهذا ما أدى إلى استفحال هذه الأخطاء وتراكمها وتضخيم القصور وإنمائه.

ولاشك أن هذا الرصد الإعلامي الذي يمارسه الغرب يؤشر على استمرار تنصيب التحديات والمعوقات في طريق الصحوة والمشروع الحضاري الإسلامي. إذ أن هذا الرّصد ينتج عنه توقع لمستقبل هذه الصحوة، ومن ثم ينتج عنه تجديد وابتداع أساليب مواجهتها واستباق خطاها لوضع المطبات والعراقيل.

ومن المعوقات الخارجية أيضا: أن أغلب الأنظمة السياسية السائدة ابتعدت عن شرع الله وتغربت فكراً وسلوكاً، فلم يعد يربطها بتاريخها وحضارتها رباط. وبالتالي فهي تريد الصحوة الإسلامية إتجاها يسبح بحمدها ويبجل ويخلع على مواقفها ألوان التبرير والتسويغ، إذ لا ترى في الإسلام سوى شعارات جوفاء ترفع لخطب ودّ الوجدان الشعبي، لا مدلولات فعلية متجسدة كسلوك ونمط ملموس

> الرصد الإعلامي الذي يمارسه الغرب يؤشر على استمرار تنصيب التحديات والمعوقات في طريق الصحوة

الصحوة ذات مشروع حضاري يهدف إلى استبعاد المنكر وإحلال المعروف

في التفكير والعيش. وهذا ما أدى إلى عرقلة خطوات هذه الصحوة من طرف الأنظمة ومحاصرتها، وخلق نوعاً من الصراع بينهما، نسأل الله عزل وجل أن يزول وينتقي، ويحل محله واقع الحوار الجاد والاحترام للتعددية والاختلاف. وإن نغمة التاريخ المعاصر، وإرهاصات المستقبل السياسي الدولي التي أخذت في التبلور والتشكل، هو انتفاء الأحادية وإفساح المجال لتعدد الأصوات وتنوع الآراء، ولن ينضج الواقع السياسي في وطننا إلا بتجسيد هذه الأخلاقيات وجعلها قوانين سارية متداولة، لأن خنق الأجواء وإقفال الشارع السياسي في وجه الصحوة الإسلامية لن يزيد إلا في تعكير الواقع وفساده، وبروز مختلف أشكال وألوان التشدد والتنطع.

٢ـ المعوقات الداخلية: إلا أنه مهما كانت درجة تعقيد واستعصاء المعوقات والسياجات الخارجية التي تقف أمام تقدم واتساع وتجذر المشروع الإسلامي، فإن المعوقات الداخلية والسياجات التي تنتصب حول مجالات التفكير النقدي الحر داخل مساحة العقل المسلم أشد خطورة بل لعل تعظيم المعوقات الخارجية يؤدي ــ لا محالة ـ إلى تحويلها إلى مشجب جاهز يعلق عليه كل تأخر لكيان الصحوة، وهذا ما يزيد في تكريس حالة التأخر هذه، أو هو على الأقل تحريف للعقل المسلم عن مصادمة مشكلات واقعية موجودة داخليا، والتي تزداد بفعل تجاهلها نمواً واستحكاما داخل الظاهرة الإسلامية المعاصرة. ولا أقصد بالعوائق الداخلية مواقف قاصرة يجب تعديلها أو تجاوزها، ولا مصطلحات سائرة في أدبيات الصحوة يجب العدول عنها، ولا رأيا من الآراء يجب الاحتياط من الاعتماد عليه.. لا أبداً لأن سلبيات جزئية كهذه لا تستحق أن نركز عليها كل جهودنا وتفكيرنا، هذا وإن استحقت بعض الاهتمام، وإنما يجب أن نركز الانشغال على طريقة التفكير التي ينتهجها عقل الصحوة لإبصار قصورها. ذلك لأن معالجة فكرة خاطئة عمل صائب ولاشك، لكن علاج آلية إنتاج الفكرة أصوب، فعلاج طريقة التفكير يؤدي إلى الوقاية مسبقا من النتاجات الفكرية السلبية، ويمكن من إنتاج مواقف وآراء إيجابية. إذن يجب التركيز على معالجة آليات ومناهج التفكير، وليس الانغلاق في معالجة آثارها ونتائجها فحسب.

٣ـ نحو تفكير إسلامي واقعي: وما نقصده بنقد طريقة التفكير يستبين أكثر حينما نستعيد تحديد الهدف الحضاري لصحوتنا. إنها كما أسلفنا القول في البداية هذه السطور، تهدف إلى استرجاع الصبغة الإسلامية إلى مجتمعنا الراهن، ليس في مجال الاعتقاد والتفكير فقط، بل في مجال الاجتماع أيضا، بتبديل النظم المجتمعية السائدة وتغييرها بإحلال النظم التشريعية الإسلامية محلها.

لكن غياب هذا الطموح عن التحقيق والتجسيد الواقعي يرجع ــ فيما يرجع إليه ــ إلى طريقة التفكير التي تستخدمها هذه الصحوة، إذ أن تجسيد فكرة نظرية في واقع ما يشترط بداهة التوفر على خصائص معينة في أسلوب التفكير، وأولى هذه الخصائص وأهمها هو التوفر على قدرة نافذة في فهم وإدراك ذلك الواقع الذي هو موضوع التغيير والتبديل.

وإذا عدنا إلى وعي الصحوة وتفكيرها نجد أن معادلة «الواقع» مغيبة منه، وحين تستحضر أحيانا فإنها لا تحتل موقعها اللائق بها. هذا بينما كان من أوجب الواجبات أن تكون الواقعية عنصراً أساسياً في تفكير هذه الصحوة. خاصة وأن سيد قطب ـ ذلك المرجع الكبير للوعي الحركي الإسلامي المعاصر ـ جعل «الواقعية» خاصة أساسية من خصائص التصور الإسلامي. لكن للأسف التصقت الإتجاهات التنظيمية الإسلامية إلتصاقاً جامدا بمفاهيمه عن «الحاكمية» و«الجاهلية» و«الاستعلاء»... دون أن تستوعب بعضا من تصوراته

طريقة تكفير الصحوة الإسلامية تبدو وكأنها في خصام مع الواقع والواقعية

الفكرية الغنية التي تركز على إنماء التفكير والإقلال من العاطفية والانفعال وبناء المواقف على سابق درس وبحث واقعي.
وهذا النقص الحاصل في منهج تفكير الصحوة ــ وثمة نقائص أخرى ليس هذا مقام الحديث عنها ــ يعكسه بوضوح ذلك الغياب الخطير للعلوم الاجتماعية والرؤى والمفاهيم المنهجية الملحقة بها، والتي تمكن من قراءة الواقع السائد وتغييره، وإحلال الشرع الإسلامي محله، هذه العلوم التي تكاد تغيب غيابا مطلقا في التأليف الإسلامي، هذا فضلا عن غيابها في مواثيق الحركات الإسلامية وبياناتها الحركية والسياسية والذي يجب الانتباه إلى خطوته أن غياب الفهم الوقعية، وما يشترطه من دراسة الواقع والإحاطة به ليس نابعاً من تجاهل غير مقصود، بل هو نابع من استهجان الحركيين الإسلاميين لهذا النمط من من التفكير ابتداء.
يقول يوسف القرضاوي: «ذكرتُ يوما أمام داعية كبير ضرورة التخطيط القائم على الإحصاء ودراسة الواقع، فكان جوابه: «هل تحتاج الدعوة إلى الله وتذكير الناس بالإسلام، إلى تخطيط وإحصاء؟!».
هذا مع أن النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة طلب إحصاءً بعدد من يلفظ بالإسلام، فأحصوا فكانوا: ألفاً وخمسمائة كما روى ذلك البخاري ومسلم» (٢).
والانكى من ذلك أن العلوم الإنسانية تحظى عادة في الكتابات الإسلامية بقدح مجاني لا أثر فيه للمعرفة الجادة. وآية ذلك أن الكتب الإسلامية القليلة التي اهتمت بقضايا الثقافة نجدها حين تستحضر علوم الإنسان تأخذ نتفا من المعلومات، ثم تشدد على نقاط معينة في علم النفس أو علم الاجتماع... وتبين سلبيتها الأخلاقية الروحية، ثم تخلص بتسرع إلى تهافت هذا العلم أو ذاك.
وإليك مثالاً جليا على ذلك يقول سميح عاطف الزين:
«أما علم الاجتماع فمبني في جملته على نظرته للفرد والمجتمع، إنها مبنية على الفطرة الفردية. ولهذا تنتقل من الفرد إلى الأسرة، وإلى الجماعة، وإلى المجتمع، على اعتبار أن المجتمع مكونٌ من أفراد، ولهذا تعتبر المجتمعات منفصلة، وما يصلح لمجتمع لا يصلح لآخر، وبنى علماء الاجتماع على هذه النظرة نظريات خاطئة، وكان ذلك هو السبب الرئيسي الذي أدى إلى الخطأ في نظرات علم الاجتماع». (٣). لاشك أن كاتب هذه السطور لم يقرأ بعمق حتى مصنفا مدرسيا واحداً عن علم الاجتماع إذ لو فعل لأدرك أن علم الاجتماع اتجاهات ومدارس ومذاهب متنوعة، بل وإن علماء الاجتماع القائلون بأن المجتمع مكون من أفراد والمعتمدين على الرؤية التجزيئية الملغية للعلاقات هم أقل نسبة من غيرهم القائلون بأن المجتمع حصيلة علاقات لا حصيلة تجميع أفراد وتراكمهم.
ثم يسترسل قائلاً: «وأما ما جاء في علم الاجتماع عن الجماعة من أن الجماعة أسرع إدراكاً للأمور وأقوى إثارة للمشاعر من الفرد الواحد. فصحة هذا القول لم تأت من ناحية النظرة إلى المجتمع، وإنما أتت من حيث غلبة المعلومات الكثيرة المتكررة على المعلومات الفردية» (٤).
ثم يخلص إلى استنتاج متسرع غريب: «كل ما بني إذاً على النظرة إلى المجتمع فاسد، وما صح منه تأتي صحته من كونه ناتجا عن سبب آخر، لا عن النظرة إلى المجتمع وعليه فإن علم الاجتماع فاسد، لأنه مبني على نظرة فاسدة، وهي النظرة إلى المجتمع والفرد» (٥).
وهكذا ينتهي الكاتب إلى هدم هذا العلم في أربعة عشر سطر!!!
ولقد تم تداول مثل هذه الكتابات في الوسط الإسلامي، فتربي هذا الشباب المسلم على تحقير العلوم ونقدها دون فهم أو إدراك حتى لأولياتها. وأولى بنا أن نراجع موقفنا السلبي هذا، ونعيد تقويم هذه العلوم، ونركز خاصة ـ على جانبها المنهجي لاستمداد ما يمكن أن يستمد والإستناد عليه والإستعانة به في تشكيل رؤى منهجية خاصة للفرد والمجتمع الإسلامي المعاصر. فهذه المفاهيم المنهجية السوسيولوجية هي مداخل أساسية لفهم وإدراك الواقع، وبدونها ستظل قدرة إبصار الواقع والنفاذ إلى عمقه وملامسة تركيبته في حكم الإستحالة والإستعصاء المطلق.
هذا دون أن نقصد بهذا القول إلى الاعتماد والاستنساخ السلبي لما تبلور في علوم الإنسان في الغرب، فمن النوافل الاشارة إلى أن هذا الجانب من الثقافة أكثر إلتصاقا بخصائص الشعوب وطبيعتها في التفكير والحياة، وأولى بنا حين نستمدها أن نعيد صياغتها بالقدر الذي تصبح فيه منسجمة مع طبيعتنا واحتياجاتنا المعرفية والاجتماعية. وخلاصة القول: إن طريقة تكفير الصحوة الإسلامية تبدو وكأنها في خصام مع الواقع والواقعية، وإن الحاجة ماسة إلى عقد مصالحة بينهما في أسرع وقت ممكن.

الهوامش:

(١) سورة آل عمران، [آية ١٠٤].
(٢) يوسف القرضاوي: أين الخلل (٢) مجلة الأمة عدد ٥٦ (١٤,٥/١٩٩٥)
(٣) ـ (٤) ــ (٥): سميح عاطف الزين «الاسلام وثقافة الانسان» طـ٥ بيروت ١٩٧٨ ص ١٧٥ ـ ١٧٦.



الواقع الثاني في الأدب الإسلامي

بقلم الدكتور
محمد عادل الهاشمي

شاع في أوساط عامة الناس ـ تأثراً بالثقافة الوافدة ـ أن الواقعية تعني مجرد وقوع الحدث، أو ما يبدو للناس من ممارسات يدركونها بشكل محسوس. أما الأوساط المتأدبة التي تقبس منهجها من الآداب الأوروبية فنظرتها إلى الواقعية ــ في ترجمة وقائع الحياة ـ تبدو من خلال مذاهب أو أوجه عدة للواقع حسب مبادىء الأدب الأوروبي وواقعياته الأدبية، منها الواقعية النقدية التي تصور الواقع السيء مبالغة فيه ومنفرة منه ورائدها (بلزاك)، والواقعية الطبيعية التي تصور الإنسان يصدر عن غرائزه وتركيبه (الفيزيولوجي) ورائدها (إميل زولا)، والواقعية الاشتراكية التي تبشر بالمذهب المادي الاشتراكي ومن روادها (جروكي) و(تشيكوف)، وما سوى ذلك من الواقعيات. فما الواقعية المتميزة التي نقصد إليها في مقالنا؟

إن الواقعية الإسلامية هي الطرح الأدبي الجديد لحقائق فكرية وفنية، هي ميدان واسع للتناول الأدبي والتنويع الفني، نعرض منها لخاصة فريدة هي الواقع الثاني. فما الواقع الثاني؟ وما ميادينه وآفاقه؟

إن الواقع الثاني في الأدب الاسلامي قفزة أدبية على الواقع الراهن، وتطلع من خلال الواقع الحادث إلى واقع أعلى، إنه ليس وقوفا عند الواقع المادي الذي تعتمده المذاهب الأدبية اشتراكية أو براجماتية.

من منهجه إن كان الواقع المادي والنزوع الحيواني واقعا حادثا في حياة الإنسان. فهناك واقع آخر حري بالتسجيل والتجربة الأدبية يميز إنسانية الإنسان برهافة مشاعره، وطلاقة روحه، وارتقاء غاياته، ويغطي هذا الواقع الانساني شطرا كبيرا من حياة البشرية في تاريخها الغابر وأشواقها في المستقبل.

إن الواقع الحادث حقيقة ما في ذلك شك، ولكن الارتفاع عن الواقع الحادث حقيقة واقعة كذلك(١). فكم من إنسان مغمور استطاع في واقع قاس متخلف أن يرتفع على واقعه الحادث وأن يطور نفسه ويصبح في مستوى عال رفيع.

الواقع الثاني في الأدب الإسلامي طرح أدبي جديد لمنهج متفرد في الأدب والتصور

الواقع الإسلامي ارتفاع الإنسان على واقعه الحادث في عملية صعود وارتقاء

وهذا ما يدل على أن الارتفاع فوق الواقع الحادث، وعدم الرضا بالمنزلة السابقة أو المستوى البشري الراهن حقيقة انسانية وواقع انساني يؤيدهما التصور الاسلامي والحياة الاسلامية التي لا ترتضي الجمود وتتطلب الإضافة والرقي. يعبر عن ذلك حديث رسول الله ﷺ: «لا بورك لي في مطلع يوم لم أزدد فيه علما» يمثل لهذا الواقع القافز فوق الواقع الحادث انطلاق العرب من حدود الحياة القبلية الضيقة في الجزيرة العربية الجاهلية ليصبحوا رادة العالم وسادته في العلم والحضارة في الإسلام. ولم يكن ليتحقق ذلك لولاة الواقع الاسلامي الذي لا يرتضي للمسلم السكونية والجمود، ويتطلب الارتقاء والارتفاع. وقد سجل الأدب الإسلامي في فجر تألقه آفاق هذه النقلة في ميادين شعره ونثره.

لقد حقق الأدب الإسلامي عن طريق هذه القفزات فوق الواقع الحادث التطلع الانساني الذي عجزت عنه الرومانسية في أفق «العالم الثاني»، فظل لدى الرومانسية أملاً واهماً، وخيالاً مهوماً وهروباً، على حين قفز الأدب الإسلامي إلى هذا الواقع الأكبر على مستوى التصور والإبداع الفني. ولنعرض لبعض ميادين الواقع الثاني لتجلية حقيقته.

عملية التحويل الإسلامي

أنتجت ثمرات الإيمان تحولا خطيرا في سير البشرية وسجل النتاج الأدبي رجع هذه الثمرات مذ أعلن محمد ﷺ دعوة ربه فنهضت بها تلك النفوس العالية التي خرجت من جاهليتها لتعتنق الإسلام وتتمثله وتضحي في سبيل ذلك بالنفوس والمهج. وقد عبر شعر الفتوحات الإسلامية والمواقف الأدبية فيها عن آفاق هذا التحول الحضاري العجيب. لقد ودعت تلك النفوس البشرية واقعها الحادث في الجاهلية لتستقبل واقعها الثاني في الإسلام، فتتفوق على نفسها وعلى الآخرين وكأنها قد أضحت خلقا ثانيا، وإن كانت ترجع إلى أصولها البشرية الأولى بالنسب. وقد يقال إن هذه التحولات ليست دائمة، ولكنها واقع يصنع التاريخ، ويجترح المعجزات، ويرفع الأمم.

مرتقيات الفاعلية والإيجابية

إن الإنسان في التصور الإسلامي إذا توهج بالإيمان لن يستريح حتى يحيل الإيمان إلى حقيقة واقعة في نفسه وفيما حوله. هذا الجهد والطاقة المبذولة يضيفان إلى الحياة إنجازا جديدا يطور الإنسان ويرفع من واقعه الحادث إلى واقع أعلى، أعلى في الإيمان، أعلى في التقوى، أعلى في البناء، أعلى في المناشط الوجدانية، وهذا ما يقودنا إلى الكشف عن سر تفوقنا في منجزاتنا وحضارتنا عبر تاريخنا الزاهر. لقد كنا أعلى من عدونا في ميزان القيم الانسانية، وأعلى في ميزان الإيجابية الإنسانية المنبثقة عن التقوى. وهذا هو السر الواقعي في ارتقاء العرب، لقد كانوا أمة جاهلية بادية، جاءها الإسلام فجعلها - بمبادئه - تتفوق على نفسها، وتسابق الأمم التي كانت قبلها في الحضارة.. لقد أصبحت الأمة المسلمة التي يمشي النصر في ركابها، تفتح العالم شرقا وغربا في مدى نصف قرن، وترووده إلى الحياة القويمة المهتدية بهدى الله. هذا السر الواقعي في التفوق ينبئنا عنه النص الذي يدبجه الخليفة الراشد الأديب عمر بن الخطاب، إلى قائده سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما، يقول:

(أما بعد: فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكون أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم... وإنما ينتصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية، كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا..)(٢).

إذن كان نصرنا على عدونا بارتقائنا عليه، بالطهر، وبالغاية العليا، وبالمهمة الربانية. وأجمل بهذه المعطيات من فاعلية وإيجابية، هي التي قفزت بأمتنا إلى الواقع الثاني. وقد سجل الأدب الإسلامي قفزات هذا الارتقاء والفاعلية في نتاجه عبر العصور.

حوافز العقيدة في اليوم الآخر

اليوم الآخر ميادين وجدانية فسيحة للآداب أطلقت خيال الأدباء في مختلف العصور فكان أروع نتاجهم، ولكن لم يبلغ مستوى الواقع الثاني في الأدب الإسلامي، وسر ذلك أن التصور الإسلامي للحياة زود الإنسان المسلم بشحنات وجدانية في موقفه من هذا اليوم، فأخذ بشد نفسه إليه بشغف وتفان، يبذل كل طاقاته في الدنيا وفاعلياته أملا بالظفر بالجنة ورضوان الله، وهكذا يزداد كل يوم حوافز وفاعليات ويقدم جهودا وتضحيات، ليكون عند الله في الدار الآخرة من الظافرين.

المسلم بالواقع الثاني يشق الحاجز الأرضي، فيسمو على مواضعات الأرض لأن عينيه ترنوان إلى العالم الآخر، من حيث لا يستطيع الرومانسي مثلا أن

يـزايل هـذا الحاجز الأرضي الـذي يريد الخلاص منـه. إن الرومانسي في محاولة صعـوده قد تصـارعت فيـه القـدرة المقطـوعـة عن النبع الأصيل مع الآمال الكبيرة فعاد من رحلتـه مشتتا ممـزقا محطما. أمـا الإنسـان الـذي صاغـه الإسـلام فأبـواب الاتصـال بخـالقـه كثيرة وقـرباتـه التي ترفعـه عند اللـه في الحياة الـدنيا وفي الآخـرة غزيـرة، والمؤجـل مــن الخير والجزاء إلى الآخرة أكرم وأجـزل وأرفع مقاما، وهذه كلها حوافـز للإنسان المسلم أن يطلب خير الآخرة، حيـث الواقع الأعلى والعطـاء الأوفى، ومـا لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطـر على قلب بشر.

هذه التصورات العليـا للإنسان المسلم، جلاها لنا الأدب الإسلامي في لوحات وضيئـة من نعيم الجنة، فكـانت آفـاقـا أدبية جـديـدة على التنـاول الفني، فتحت لـلأدبـاء الموهـوبين مجالي رحيبـة فـوق مألـوف الـواقع، تـروي التطلع الإنسـاني إلى واقع علـوي، ليس تمامـا تهويما أو سبحـات خيـال، وإنما هـو واقع محقق بـوعد اللـه، يحبـو المتقين في اليـوم الآخـر من الإكرام ورفيع المنـزلة مـا لا تدرك شأوه الأبصار أو العقول. إنه لعالم أدبي لا يطيق تصوير علاه إلا أدب رفيع كـالأدب الإسلامي في واقعـه الثاني.

الهجرة

الهجرة: مغادرة البلد الأصلي إلى بقعـة أخـــرى لتحقيق إنســـانيـة الإنسان في البلد الجديـد من خلال إقامة شرع اللـه فيه ثم الانكفاء إلى البلد الأصـلي لتحريـره من الرجس والطغيـان وإرساء قـواعد الحيـاة الإنسانيـة المهتدية بهدى اللـه فيه، وتمثل هـذه الهجـرة ـ في التصـور الإسـلامي ـ الـواقع الثـاني، لأنها هجرة من ديار الشرور والهبوط إلى بقعة أرضيـة أو فكريـة، يقيم فيها المسلم شرع الله ونظامه.. إنها قفزة إنسانية فوق الشر إلى الخير. يمثل لهذه الهجـرة في أدبنـا الإسـلامي المعـاصر الأستـاذ: أحمد رائف في مسرحيته «البعد الخامس» وتتيح له خصـائص الأدب الإسلامي أن يبني عالما جديدا يشد إليه الإنسان الذي حطمتـه المادية والاستغـلال وشرور الحروب. ففي المسرحيـــة (نلفي على سطح المريخ) قد انتقلت أنظار البشر من عـالم الأرض الذي ســادت فيه الشرور والطغيـان إلى العالم الثاني، العـالم الجديد الذي أخذ ينشـد فيه الإنسان خـلاصه، ويودعـه تطلعاته وأمـانيه التي لم تتحقق على الأرض أو في الـــواقع الحادث.. وعلى سطح المريخ حصل التغيير في بعض النفوس التـي كان مـلأهـا الشر على الأرض فأخـذت تثـــوب إليهم بعـد هجـــرتهم من الأرض نفوسـهم ورؤاهم الإنسانية بعيدا عن الطغيان وإهدار انسانية الانسـان.

أخـذ المهاجـرون من الأرض إلى المريخ أو إلى الـــواقـــع الثـــاني يستعيـــدون إنســـانيتهم في واقع جـديد حـافل بالأطـايب والخير.. فكـانت الهجـرة رحلـة فكـرية وجـدانية نفضت عـن النفوس مـا علق بها من الأوضـــار والشرور لتستقبل عالم الفطرة الشيق النقي. وتمثل لذلك من المسرحيـة بالحوار الآتي:

ليـديا: (تسأل الأمـريكي الـذي اهتدى على المريخ من شرور دولته، كيف يكون انقاذ العالم من ويلاته وشروره التي صنعتهـــا الـــدول الكبرى؟) فتقول:

ـــ وكيف يمكن أن يتنبـه العـالم للهاوية التي يتحرك نحوها؟

سكـوت (الأمـريكي المهتـدي)، يجيب بأن لابـد من عمليـة الـواقع الثاني للانقاذ) فيقول:

(لا فــــائدة، كلهـم يجري في السباق الجنوني نحو الموت. ولكي يستيقظـوا من هذا السبـات عليهم أن يقطعوا الرحلة التي قطعناها أنا وأنت والآخرون)(٣).

ويمثل للـواقع الثاني في شعـرنا الإسلامي المعاصر وعملية التحويل الشاعـر: محمود مفلح الـذي يشد أمتـــه المنكـوبـــة بـــالاحتـــلال والاستغلال إلى عالم ثان تتمثل فيه آفاق العقيدة وتتحرك فيـه طاقاتها التي تبعث الحيـــاة في الأمـــة من جديد، عن طريق هجرة نفسية عبر عنها بالإسراء.

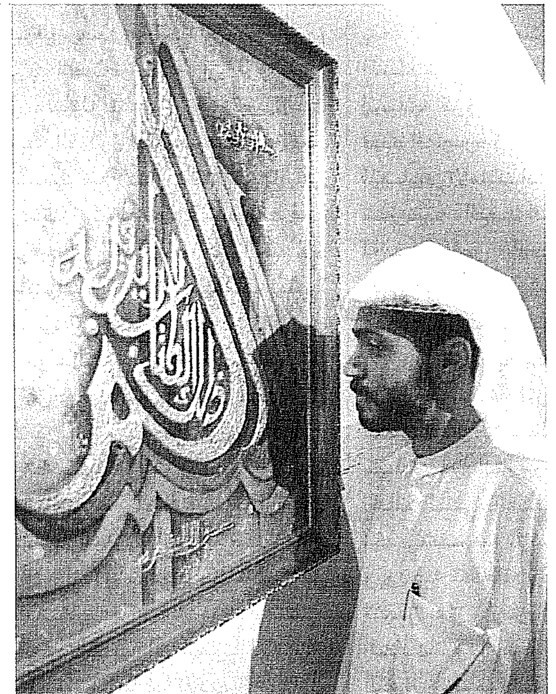
لم يمت شعبُنا العظيم ولا جفّت
على الـدهـر تـربتي السمـراءُ
نحن من أكسب الحجـارة نبضاً
فإذا الأفقُ بـرقُها والشتـاءُ
لم يـزل ينتخي الجموع صـلاحُ
الدين يزهـو في قبضتيه اللواءُ
كيف نلقي السـلاح والمسجـدُ
الأقصى جراحٌ والمهدُ والأحياءُ
كيف نلقي السلاح والمجـرمُ الوغد
على صـدرنـا رحىً ووبـاءُ
وإذا هـزتِ العقيـدةُ شعبـاً
سقط الزيـفُ وابتدا الإسراءُ(٤)

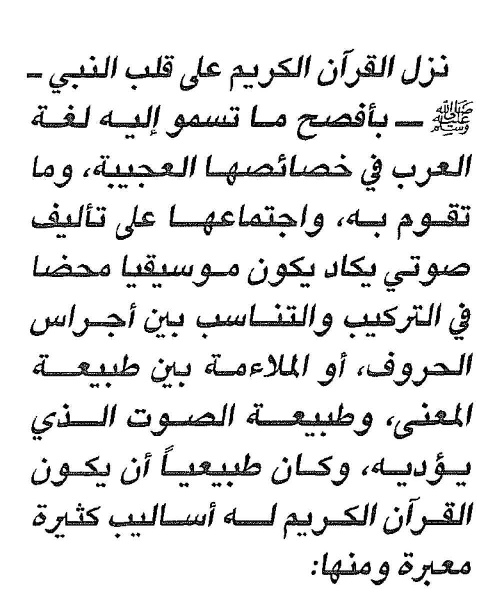
إن الواقع الثاني نفحـة أدبية من نفحـات الواقعيـة الإسلاميـة التي تتميـز عن الـواقعيـات الأوروبيـة بنظـرتها الإنســانيـة ومنهجهـا المتفـرد، وهـي ذات خصـائص فـريـدة تمـثل لأصـالتنا الأدبيـة وتـعكس شـخصيتنا الحضـاريـة وتـــعبر عـــن آفـــاق الأدب الإسلامي. ولنا معهـا جولات فنية قادمة■

الهوامش

١- انظـر منهج الفن الإســـلامي ص:٥٦.
٢- العقد الفريـد أحمد بن عبد ربه ١ ص:٤٠
٣- مسرحيـة البعـد الخامس أحمد رائف ص:١٨٥و١٨٦.
٤- ديـوان الـرايـة: محمـود مفلح ص:١١-١٣.

ورد في القرآن الكريم كثير من قصص الأنبياء وكل قصة لها هدف معين





نزل القرآن الكريم على قلب النبي - ﷺ - بأفصح ما تسمو إليه لغة العرب في خصائصها العجيبة، وما تقوم به، واجتماعها على تأليف صوتي يكاد يكون موسيقيا محضا في التركيب والتناسب بين أجراس الحروف، أو الملاءمة بين طبيعة المعنى، وطبيعة الصوت الذي يؤديه، وكان طبيعياً أن يكون القرآن الكريم له أساليب كثيرة معبرة ومنها:

أساليب التصوير الفني في القرآن الكريم

بقلم/ د. أحمد مصطفى عبدالحميد

١- التعبير عن الحالة النفسية بالصورة المحسوسة:

وهو ما يسمى بالتجسيم النفسي وإخراج ما يدور في النفس إلى عالم المحسوسات(١) ومن ذلك قوله تعالى ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة﴾[الحج:١١].

والحالة النفسية هنا هي حالة تزعزع العقيدة حيث لا يستقر الإنسان على يقين ولا يحتمل قضاء الله بقلب مطمئن، ولا يجعل عقيدته بمعزل عن ملابسات حياته بعيدة عن ميزان الربح والخسارة، ولكن القرآن يعبر عن هذه المعاني النفسية (التزعزع) بصورة مجسمة محسوسة، فالخيال يكاد يجسم هذا الحرف الذي يعبد الله عليه هذا البعض من الناس، وإنه ليكاد يتخيل الاضطراب الحسي في وقفتهم وهم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب، وإن هذه الصورة لترسم حالة التزعزع بأوضح مما يؤديه وصف التزعزع لأنها تسطع في الحس وتتصل منه بالنفس(٢).

ومن ذلك رسْم القرآن وتصويره لحالات الفزع والخوف من خلال عرضه لمشاهد القيامة في أول سورة [الحج/١و٢] ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم. يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ ففي الآية تصوير حسي مجسم لمعانٍ نفسية، فالمشهد الذي تعرضه الآية حافل بكل مرضعة ذاهلة عما أرضعت، تنظر ولا ترى وتتحرك ولا تعي، وبكل حامل تسقط حملها والناس سكارى، وما هم بسكارى يتبدى السكر في نظراتهم الذاهلة وفي خطواتهم المترنحة، هذا مشهد مجسم تكاد العين تبصره ويكاد الخيال يرسمه(٣).

٢- التعبير عن المعنى الذهني بالصورة الحسية:

وذلك ما ورد في آيات كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها، لا تفتح لهم

أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾[الأعراف:٤٠] فالآية بطريقة التصوير الذهني تريد أن تقول: إن (الذين كفروا لن يدخلوا الجنة أبدا)، ولكن أسلوب التصوير الحسي عرض الآية بهذه الصورة حيث يترك الإنسان يرسم بخياله صورة لتفتح أبواب السماء، وصورة أخرى لولوج الحبل الغليظ في سم الخياط ويختار من أسماء الحبل الغليظ اسم (الجمل) خاصة في هذا المقام لاستكمال الصورة ويدع للحس أن يتأثر عن طريق الخيال بالصورتين ماشاء له التأثر ليستقر في النهاية معنى استحالة دخولهم الجنة في أعماق النفس وقد ورد إليها هذا المعنى من طريق العين والحس - تخييلا - ومع وروده من طريق الذهن أيضا(٤).

٣- رسم الصورة المجسدة بالكلمات:

ومثال ذلك قول الله تعالى ﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد﴾. [الحج:٤٥].

فالمعنى المقصود من الآية هو لفت النظر إلى الأمم التي جاءت ومضت وكذبت أنبياءها، فأهلكها الله، وتركت آثارها من ورائها.

فجاءت الآيات لتظهر لنا هذا المعنى في صورة لوحة مرسومة بريشة مبدعة ترسم لنا صورة أمام الخيال شاخصة صامتة لا حراك فيها، صورة يُنظر فيها أطلال خالية وبيوت سقط بعضها على بعض، وينظر في جانب من اللوحة بئر متروكة معطلة وقصر لا تزال فيه جدران باقية، وهكذا تشاهد لوحة فنية رائعة صورتها كلمات هذه الآية في رسم معبر نادر يغشاه صمت رهيب تلوح عليه آثار القرون والسنين(٥).

٤- خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية:

وهو ما يسمى «بالتشخيص» وقد سماه علماء البلاغة القدامى مجازا أو استعارة وهذا ما ورد في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿والصبح إذا تنفس﴾[التكوير:١٨]. وهنا الاستعارة أو المجاز تفارق الكذب وهذا يأتي للتشخيص في التعبير الأسلوبي للقرآن الكريم. والآية قد أحالت الصبح إنسانا يشارك الناس في تنفسه، فتركت للخيال مجالا واسعا لكي يتصور هذه الحياة الوديعة الهادئة التي تنفرج عنها ثناياه وهو يتنفس، فتتنفس معه الحياة ويدب النشاط في الأحياء على وجه الأرض(٦) فأين هذا التصوير المبدع من قول علماء البلاغة القدامى إن في الآية مجازا حيث شبه الصبح بالانسان في التنفس، ثم حذف المشبه به وعبر عنه بشيء من لوازمه.

٥- التصوير والتعبير بالقصة:

وقد ورد في القرآن الكريم كثير من قصص الأنبياء وكل قصة لها هدف معين، والقصة المكررة كانت تستكمل ما سبق وتضيف حقائق جديدة وكل قصة لها بداية ولها نهاية ولها أبطال، وهذا ما فصله الشيخ سيد قطب تفصيلا رائعا في كتابه التصوير الفني للقرآن الكريم.

هذا وقد اعترض بعضهم على هذا الوجه من إعجاز القرآن بأن الفن هو التلفيق والاختراع على غير أساس من الواقع بل يكون من خلق الخيال فكيف ينسب هذا الفن إلى القرآن الكريم بل ويكون وجها من وجوه الاعجاز فيه.

وقد أجاب الشيخ سيد قطب بأن هذا التعريف للفن غير صحيح، وإن الفن يتسع أيضا للتعبير عن الحقائق الواقعية.

وإنما نشأ هذا الوهم في أذهان المعترضين لأن رُوَّادَ القصة والفن في العالم كانوا من هذا الصنف الذي يعتمد في قصصه على الخيال الكاذب الذي لا أصل له من الحقيقة، كما كان يصنع (هو ميروس) (وهريود في الالياذة) و(الأوديسا) و(الأعمال والأيام). وكما صنع رواد الفن في أوربا حيث إنهم لم يكونوا يتوخون الحقيقة في أعمالهم وفنونهم. ولكن الفن الحقيقي يتسع أيضا للتعبير عن الواقع، فالحقيقة تصلح أن تعرض عرضا فنيا كاملا، وليس من العسير أن نتصور هذا متى تخلصنا لحظة من العقلية المترجمة التي نعيش بها، ومتى خلص تصورنا من النماذج الغربية البحتة ونظرنا إلى الاصطلاحات نظرة موضوعية شاملة.

فالفن هو جمال العرض وتنسيق الآراء وبراعة الإخراج سواء أكان ذلك التعبير عن حقيقة كما صنع القرآن الكريم أم عن خيال كما صنع كتاب القصة الغربيون قديما وحديثا.

٦- التعبير بالتصوير الموسيقي:

يرى الشيخ سيد قطب أن في القرآن إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع يتناسق مع الجو، ويؤدى وظيفة أساسية في البيان ففي سورة النازعات على سبيل المثال أسلوبان موسيقيان وإيقاعان ينسجمان مع جوين فيها تمام الانسجام.

أولهما: يظهر في هذه المقطوعة، السريعة الحركة القصيرة الموجة القوية المبنى، تنسجم مع جو مكهرب سريع النبض شديد الارتجاف على النحو التالي ﴿والنازعات غرقا، والناشطات نشطا. والسابحات سبحا. فالسابقات سبقا. فالمدبرات أمراً. يوم ترجف الراجفة. تتبعها الرادفة. قلوب يومئذ واجفة. أبصارها خاشعة. يقولون أئنا لمردودون في الحافرة، أئذا كنا عظاما نخرة. قالوا تلك إذا كرة خاسرة. فإنما هي زجرة واحدة . فإذا هم بالساهرة﴾ [النازعات:١-١٤].

والثاني: يظهر في هذه المقطوعة الرخية الموجة التي تنسجم مع الجو النفسي الذي يلي مباشرة حديث الكرة الخاسرة والزجرة الواحدة على النحو التالي: ﴿هل أتاك حديث موسى. إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى. اذهب إلى فرعون إنه طغى. فقل هل لك إلى أن تزكى. وأهديك إلى ربك فتخشى﴾[النازعات:١٥-١٩].

الفن هو جمال العرض وتنسيق الآراء وبراعة الإخراج

والفرق واضح بين الإيقاعين وكيف أنهما ينسجمان مع معاني الآيات(٧).

ولنأخذ مثلا آخر من سورة الرحمن وإن المرء ليحاور حين يقرأ هذه السورة فيتساءل: هل انبعث إيقاعها الرخيُّ المنساب من مطلعها، أم نهايتها، أم من خلال آياتها، وإذا به يكتشف بأن النغم يسرى في كل فصلة من فواصلها، وفي كل مقطع من مقاطعها، بل في كل لفظ من ألفاظها، فكل جزء فيها هو لحن شجي من ألحان السماء(٨).

اقرأ في مطلعها. ﴿الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان﴾ [الرحمن:١-٤] وتذوق هذا النغم الرخيم الهادىء(٩).

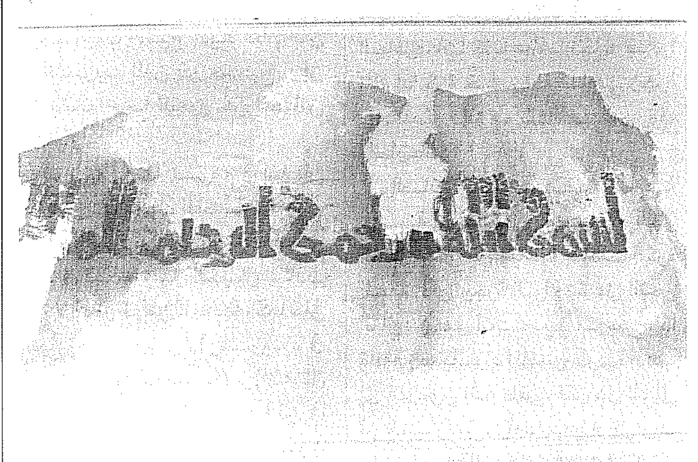
ثم اقرأ في وسطها ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان، فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان. فيهما عينان تجريان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. فيهما من كل فاكهة زوجان. فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ [الرحمن/ ٤٦-٥٣]. ولاحظ ما في المقاطع من إيقاع متواز يأخذ الألباب والأسماع.

واقرأ في خاتمتها ﴿حور مقصورات في الخيام. فبأي آلاء ربكما تكذبان. لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان. فبأي آلاء ربكما تكذبان، تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾[الرحمن/ ٧٢-٧٨].

ثم استمع معي إلى لون آخر من موسيقى القرآن متهاد شجي يثير الأحاسيس والمشاعر يعرضه القرآن من خلال الأوعية المتعددة التي وردت فيه، واستمع إلى دعاء زكريا وهو ينادي ربه قال: ﴿رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا. وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا. يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا﴾[مريم/ ٤-٦].

إن البيان هنا لا يرقى إلى وصف العذوبة التي تنتهي في فاصلة كل آية بيائها المشددة، وتنوينها المحول عند الوقف ألفاً لينة كأنها في الشعر ألف الإطلاق، والجدير بالذكر أن الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي قد سبق أن أشار إلى أسلوب التصوير الموسيقي في القرآن من خلال كتابه (تاريخ آداب العرب)(١٠). كما يقول بعض الباحثين إن أبا زكريا الفراء في كتاب (معاني القرآن — كان أول من عنى بالموسيقى الصوتية للقرآن الكريم(١١)■

في القرآن إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع يتناسق مع الجو، ويؤدى وظيفة أساسية في البيان



الهوامش

١- دكتور ذكي المحاسني — الأدب الديني صفحة ٣٣ القاهرة سنة ١٩٧٩.

٢- التصوير الفني في القرآن طبعة دوار الشروق صفحة ٤٠ ـ بيروت ـ سيد قطب.

٣- مشاهد القيامة في القرآن للشيخ سيد قطب دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦.

٤- في ظلال القرآن المجلد الثالث ص١٢٩١ دار الشروق سيد قطب.

٥- دكتور محمد سعيد رمضان من روائع القرآن ص٣١٢.

٦- التصوير الفني في القرآن ص٦٢ سيد قطب.

٧- التصوير الفني ص١٥٤ وما بعدها.

٨- المرجع السابق ص٢٠٥.

٩- التصوير الفني ص٩٢ وقارن صفحة ٣٨ ومابعدها من كتاب الأدب الديني للدكتور ذكي المحاسني.

١٠- دكتور صبحي الصالح ـ مباحث في علوم القرآن صفحة ٣١٣. ط بيروت سنة ١٣٨٤هـ.

١١- راجع الجزء الثاني من كتاب معاني القرآن ص٣٣٦ لأبي زكريا الفراء ـ تحقيق محمد علي النجار نشر الدار المصرية للتأليف والنشر.

حـوار مع فـرعـون

للشـاعر: محمـد وليـد

دموع القلب قد هطلت
كأحزان بتشرين
وأنوار الربى رحلت
وأسراب الحساسين
وغادر عطره الريحان
صار الورد قربانا كآلاف
القرابينوأشرع سيفَه الجلادُ
يقطع كل أزهار البساتين
وماج القبر في الفلوات يزخر
بالمساجين
وذا فرعون يرميني
بساطور وسكين .
ألايا أيها الفرعون كلمني
لماذا انت ترهبني؟
وقد كثرت عبيدك بالملايين
تحاربني وتسجنني.
وفي الزنزانة السوداء
ترميني
تحرض كلبك المسعور
بالأنياب ينهشني
وجلاداً بحد السوط
يجلدني..
وإن ماقلتُ ياربّاه أنقذْني
شتمتَ الرب في قلب الزنازين
لماذا انت ترهبني
وانت اليوم تحكمني..
أنا أدري..
بأنك لست ترهبني
ولكن ترهب العلياء في ديني
وترهبني لاني أبعث الآمال
في قلب المساكين
وترهبني لان الروح تسري
في الملايين
إذا ماشئت عذّبْني
فلي جسد بتلك الارض
يربطني
ولي روح لرب الكون
تعليني..
وما انا طالب عفواً لترحمني
فإنك لست إنساناً لتفهمني
ورحمة ربي الخلاق تكفيني
إذا ماشئتَ جوعني
فما أنا طالبُ زاداً لتشبعني
فإنك لست انسانا لتفهمني
ورب الكون يطعمني
ويسقيني
إذا مارحت تقصيني..
فرب العرش يدنيني
وإن مارحت تقطعني
فرب العرش يوصلني
وإن مارحت تقتلني
فرب العرش يحييني
وإن ماعمت البلوى.
على أيدي الشياطين
فلي مثل بأيوبٍ
وايوبُ يواسيني
وان ماطال سجني بين اروقة
الزنازين
فيوسف في مناقبه يسليني
وان قُطعتْ يميني وهي
تحمل راية الاسلام في شمم
شمالي سوف تحملها
فإن قطعت..
سيهرع جعفر الطيار يلقفها
ويفديني
وإن ماهجرتي طالت..
وطاردني دعاة الشر في
عرضي وفي ديني..
وما من مرفأ في الارض
يؤويني
واهدر ذلك النمرودُ حُرَّ
دمي..
واغطش ليلى المجبول بالألم
تذكرت النبي وقد قضى في
الغار أياما
يلاقي الضر في كرم
واذكر دمعة الصديق عند
الغار تكبر في موازيني
وان اثنين كان الله ثالثهم
مضوا بعزيمة الايمان في
نصر وتمكين
فتشرق عبر روحي راحة
الإيمان.. بالبشرى تداويني
انا المسلم اني اسمع الدنيا
تناديني
وعندي البلسم الشافي
لأمراض الملايين
ستعلو رايتي في هذه الدنيا
وتعليني
ستنبثق الورود الحُمر من
قلب البراكين
وتورق في صحاري الرمل
غابات من الزيتون والتين.

صبرا... إن موعد الفجر لقريب

بقلم: أم سلمى

ارتفعت اليد وهوت نحو وجنتها، تطلب فكها وهب النسيم: صبرا.. إن موعد الفجر لقريب. هزت رأسها وكأنها تنفض عنه أثر الصفعة، وشدها من رأسها:(أما زلت تصرين على الصمت؟) رغم الالم الجارح ابتسمت، الصمت، العالم كله غارق في صمت أخرس. يعش حالة لامبالاة حادة، وكأن شعاراته الإنسانية لاتطال هذا الجزء من العالم.

جن جنونه والابتسامة تعلو شفتيها، هوى عليها بقبضته الغليظة، خيط من الدم سال فوق شفتيها. هبت عاصفة الشوق، غمرتها، استحمت داخلها.

صبرا..إن موعد الفجر لقريب.. الشريط السينمائي الهزيل يمر أمامها، تراقبه، الابتسامة لاتفارقها، والكدمات الزرقاء الحمراء تحيط بكل جسمها تحكي للوجود همجية الممثلين، تطلعت حولها. الغضب الاعور يقفز من الوجوه الكالحة، يحاصرها، تشع ابتسامة من جسمها المتألم.. وزلزل الصمت جموع.. إنا قادمون، بالايمان متوجون، نخطو في طريق نصفها نار ونصفها غيوم.. إنا قادمون في فجر يوم جميل، إناقادمون في مواكب الحب واليقين.

تـوالت الصفعات، تلطم كل جسمها، ظلت شامخة، لكن عنف الصفعات أرغمتها على السقوط، لم تعد تحتمل الوقوف، سقطت ولم تتأوه، ارتفعت القدم الغليظة وهوت نحو رأسها الصغير. اختلط الدم بالارض يسقيها، لازالت الارض ظامئة للمزيد.. أحد ..أحد ..أحد..

خارت قواها واستسلمت لغيبوبة صاحية، سمية تشرب من كأس النصر سمية ترشف من عطر الجنة، سمية تقدمي اعطيني زهرة من زهور الجنة. سمية ترنو بشوق إليها، تعانقها، رمح غادر يشق صدر سمية، صبرا..إن موعد الفجر لقريب.. سمية تبتسم، سمية تمد يدها، لمسة حانية أيقظتها، الظلمة تقبع حولها، تتربص بها، تستأسد عليها، وثب قلبها. الوحوش. الالم ينتشر في كل جزء من جسمها النحيل. أطلقت العنان لأهات تنفس شيئا من عذابها.فكرت: الحمد الله ،لابد أن العملية قد نجحَت وإلا لما ألهبوا ظهري بالسياط كي أفشي لهم عن أسماء من قام بها.

الرائحة القذرة تثيرها. تململت في جلستها، اطلقت رجليها، ارتطما بوعاء سال منه شيء لزج. الرائحة تزداد حدة، أحست بالاختناق. الالم عنيف لايطاق في جسدها كله. اغمضت عينيها. (لابد من الصمود، لايقهرهم غير استهانتنا بعذابهم اليائس ،يكاد الجنون يلتهمهم، لن تمضي أيام قليلة حتى يطلقون سراحي، إني أعرفهم ،شربت نذالتهم مع الماء الذي لوثوه منذ وطئت اقدامهم أرضنا، سوف يراقبونني عسى أن يصلوا إلى مجموعة كبيرة من المجاهدين، ورغم أنهم لم يعودوا يفرقون بل يحرثون الاهالي حرثا ويحشدونهم داخل السجون، لكن عذابهم يكون أكثر جنونا وأشد وحشية إذا هم وضعوا أيديهم على المجاهدين، لابد من الدماء ،لابد من الشهداء، لازالت السماء تحن لاستقبال أحبابها..

ملحمة من النور تضيء الكون يازمن الظلام، رجال ونساء قهروا الظلم و رغم الغدر الذي اندفع كثور مجنون والتصق بأمة القرآن. لكن الدم غلى وفار. فاض ومضى يشق الطريق الصلبة التي تكلست بفعل القهر والبغي والتبعية والظلم والاستسلام ووو... انمحت الآلام الجسدية واعتصر الحزن والالم الحقيقي أعماقها.قطرة ،قطرة، قطرة، والصمت يطبق، يقيم حصرا حول النهر الذي يشق الطريق، أما آن لهذه الأمة أن تتطهر؟ أما آن لهذا الكون أن يتوضأ؟؟وتتدفق الصور. تجتاحها بتحد مرعب، وواقع مثقل صلب يكتسحها.. وصورة سمية تشق ستور القهر والخوف: تندفع للقاء الشوق الصارم..والعيون منتصبة ترقب التحركات. ترصدهاوتحرث لمجرد الظن، والمجاهدون يقتلون..يبادون.. يعذبون.. يسقط واحد ،فتنبت من قطرات دمه العشرات ،حيَّ على الجهاد، صوت يطغى على الاصوات يستمطر الخلاص، الفرج، الفجر.. الفجر..

فتحت باب الزنزانة، ركلها الجندي بحذائه الضخم تحركت شفتاها: هل أستطيع متابعة الطريق. أعني يارب.. جذبها من رأسها ودفعها نحو الباب.. وابتدأت سلسلة أخرى

من التعذيب الوحشي، وهي مصرة إصرارا عنيفا على الصمت. يريدون الوصول الى رؤوس أخرى يمارسون عليها ساديتهم، يتلذذون بتعذيبها ليضمنوا الخضوع والاستسلام.. لكن النبات الاخضر يتحدى ويرفع هامته عاليا رغم وطء الاقدام لم تعد بنيتها تتحمل خارت قوتها من شدة التعذيب، استسلمت طيلة الوقت لغيبوبتها الصاحية وأطياف حبيبة تزورها تسمح عنها الآلام، وتعدها بالنصر، بالفجر الجديد، وينتفض الجسم ويدق القلب بعنف، أيسير كل شيء على مايرام كما رسمنا؟يقول أحمد لابد من زرع الرعب في قلوبهم، لابد من إشعال نار القلق في عقولهم، يهتف عبد الله بحزن دفين لابد من ترحيلهم..لابد أن يخرجوا من ديارنا كفى مانهبوه ،يتعالى الكلام، يشتد الحماس، ويظل إبراهيم صامتا حتى يهدأوا، يقول بهدوء: والآن لنبدأ في وضع الخطة الجديدة. وينسلون الواحد تلو الآخر وكل واحد يعرف ماذا سوف يفعله. ويذهب لتأديته وكله أمل في نيل الشهادة، فلم تكن تطيب الحياة بعد ان فتحوا اعينهم على الواقع ووعوه جيدا، بركان خامد ثار ،ودخل في تجربة جهادية سلاحه فيها الحجارة. وانتشر نبض التجربة في شريان الارض، نهض الكل، وعربد الجنون اشتعلت حمالات القبض والتعذيب والبركان يجرف الفساد ويقذف بالحجارة.

مر أسبوعان، ثم افرجوا عنها. ذهبت الى البيت ،وجدت أمها وحدها، سألت عن أخيها محمد. الوحوش قبضوا عليه في نفس اليوم، قالت الأم: ياكبدي قلبي يتقطع تعانقا طويلا وبكت امها، قالت : جفت الدموع يابنتي، لكن حين رأيتك انتعش الامل، هذه دموع الامل، سألتها : (وعمر يأمي أين هو؟).

اندفع عمر صائحا، تعلق بعنقها، أحست بدموع ساخنة تجري بصمت، اختلطت الدموع، وهي تتحسس رأسه، كان معصوبا بخرقة، التقت عيناها بعيني أمها ،قالت الأم :(شجه أحد الملاعين بعقب بندقيته، كان يرمي الحجارة عليهم، لم يستطع الهرب، امسكه وشجه، اندفع الدم من رأسه كصنبور، ركله بقدمه، الغريب ،ياابنتي انه لم يسقط، هل تتصورين، ولد في التاسعة مكسو بالدماء يركله المتوحش وأنا أمسح وجهه ولايسقط بين يدي، ومع ذلك مازال يقذف بالحجارة.. ابتسم محمد برجولة وقال:

(لن أهدأ حتى ننتصر أو نستشهد، سنكون في الجنة مع رسول الله أليس كذلك يأختي؟).لم ينتظر جوابها وهتف ببراءة:(حين ضربني كدت أرفع يدي وأضربه لكنه ركلني، خفت ،لكني تذكرتك، أدرت ظهري ولم أجر، وأنا اتمنى ان يقبض علي، كنت اظن أنني سوف أراكِ في السجن.

غمزت الأم بعينيها وقالت: ندم على فعلته قاطعها بعنف:لم أندم على رمي الحجارة ،ولكن ندمت على أني لم أهرب. كنت بطيء الحركة حتى استطاع ان يدركني ويضربني، لكني الآن تعلمت أن اضربه واجري.

ربتت على ظهره فصمت :من المعاناة والالم يتخرج الرجال.

كانت تريد الاتصال بأم احمد ارسلت عمرا جاءت مع ابنها احمد شرحت لها كيف تمت العملية التي دخلت بسببها السجن: استشهد عمار مفجرا معه عددا كبيرا من الجنود، تمكن الآخرون من الانسحاب بعد أن ضللت العدو وقبضت عليك، ثم توالت العمليات، استشهدت خديجة، كانت حاملا، بقرها في بطنها وهو يجرها، سقطت ظلت تنزف حتى أسلمت الروح على صوت ضحكاتهم القلقة، استرسلت أم أحمد تعدد العمليات المتواصلة ثم أردفت بمرارة: وازدادت وحشية المتوحش وتمادي في عنفه.

التفتت صوب أمها، كانت تراقبهما بصمت، عيناها محمرتان، غشيتها سحابة أدخلتها تخوم الذكرى... والدها مضرج بالدماء على عتبة الباب، حين تهاوي، دخلوا يفتشون وينهبون، كانت منزوية في حضن أخيها محمد ترقب مايجري حولها ،كان عمر لازال رضيعا في حضن أمه، صياحه يعلو على ضجيجهم، قلبوا الدار، لم يجدوا شيئا مروا فوق جسد والدها المسجى وأمها تبكي وتولول، كان يلفظ أنفاسه الاخيرة ويوصيها برعاية أطفاله ، ومد يده، أمسك بيد محمد، وقال بصوت متقطع:الجهاد يابني، الجهاد، موعدنا الجنة، أخذ بيدها،فتح فمه ثم أطبقه إلى الابد.. لازالت صيحات أمها ترن في أذنها.. انتهبت على صوت أم أحمد.

من الافضل ألا تقومي بأي شيء في هذه الأيام، حتى تغفل عنك العيون قليلا.

أجابت:بل من الغد، سأبدأ بالتحرك إن شاء الله تعالى..

ابتسمت أم أحمد، نسمات رقيقة ترطب الجو الخانق، تعطي الأمل بالنصر القريب، بالفجر الجديد الذي يلوح في الآفاق.. بدر تنتفض ترفع الله أكبر عاليا، تصعد بدر عاليا وتكبر، وتتلاحق الضربات تنتصب رماحا ضد الغاضبين، هذا زمن الغضب المبارك، زمن المستضعفين، لكم اشتاقت إليك الانفس يابدر.. ورنت الأم إليهم، سبحان الله، يتكاثرون يتوحدون تحت راية التوحيد، حقا، ان موعد الفجر لقريب!





حديقة الوعي

إعـــــداد: أحمد عبدالجبار

من هدي كتاب الله

قال عز وجل:

﴿وله ماسكن في الليل والنهار وهو السميع العليم. قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولايطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين.قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين. وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير﴾[الانعام:١٣ـ١٧]

قال سبحانه:

﴿ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير. إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لأيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾[آل عمران: ١٩٠و١٩١]

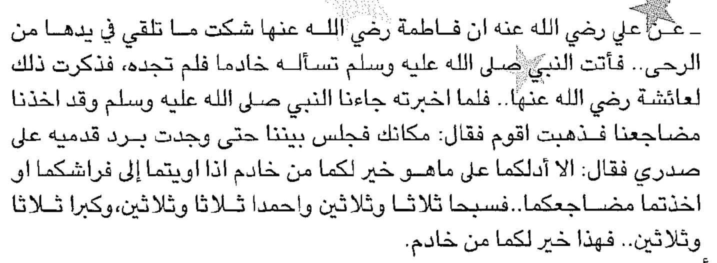
من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى الطبراني عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مامن عبد ولا أمة إلا وله ثلاثة اخلاء:

فخليل يقول: انا معك،فخذ ماشئت ودع ماشئت فذلك ماله.

وخليل يقول:انا معك،فإذا أتيت باب الملك تركتك، فذلك خدمه واهله.

وخليل يقول: انا معك حيث دخلت وحيث خرجت، فذلك عمله»



من مأثورات الدعاء

ـ عن علي رضي الله عنه ان فاطمة رضي الله عنها شكت ما تلقي في يدها من الرحى.. فأتت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله خادما فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها.. فلما اخبرته جاءنا النبي صلى الله عليه وسلم وقد اخذنا مضاجعنا فذهبت اقوم فقال: مكانك فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري فقال: الا أدلكما على ماهو خير لكما من خادم اذا اويتما إلى فراشكما او اخذتما مضاجعكما..فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين،وكبرا ثلاثا وثلاثين.. فهذا خير لكما من خادم.

وعن حفصة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ويقول ثلاث مرات «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك».

وعن ابي الازهر الانماري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اخذ مضجعه من الليل قال: «باسم الله وضعت جنبي، اللهم اغفر لي ذنبي واخسأ شيطاني وفك رهاني واجعلني في الملأ الاعلى..»

ثلاثيات

ــ كان سلمان الفارسي يقول: أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث: ضحكت من مؤمل في الدنيا والموت يطلبه، وغافل ولايغفل عنه، وضاحك بملء فيه لايدري أمسخط ربه أم مرضيه؟وأبكاني ثلاث: فراق الأحبة محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي الله حين لاأدري إلى النار انصرافي أم إلى الجنة.

من روائع الكلام

ـ قال حكيم: اعقل الناس من جمع علم الناس إلى علمه، واغفل الناس من لم يتعظ بتغير الدنيا من حال الى حال.. واعرف الناس بالزمان من لم يتعجب من احداثه..ومن عرف الايام لم يغفل عن الاستعداد للآخرة..ولو اعتبرت بما مضي حفظت مابقى.. ولاخير في معين مهين، ولافي صديق ضنين، ومن تورط في الامور بغير نظر في العواقب، فقد تعرض للنوائب.

أظلم الظالمين لنفسه

ـــ قـال الشـافعي: اظلم الظـالمين لنفســـه من تـواضع لمن لايكـرمـه ورغب في مـــودة من لاينفعه

كرامة المرأة

ـ قال مصطفى السباعي :كرامة المرأة ان تعامل كانسان ،لا ان يتلاعب بها كدمية، وان ينأى بها عن مظان الشبهات، لا ان تطرح في وقود الشهوات، وتلوكها الالسن بشتى الشائعات،وقال ايضا: لا تيأس،فاليأس كفر برحمة الله، ولاتغضب،فالغضب قتل لفضائل النفس، ولاتحقد، فالحقد تشويه لجمال الحياة، ولاتحزن، فالحزن اتلاف لاعصاب الجسم والروح، ولاتحمل من الهموم ما يضنيك،ولاتكن انانياً، فالإيثار اجمل فضائل الإنسان.

ألك قلب؟

ـــ قـال عبد اللـه بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ اطلب قلبك في ثلاثة مواطن:

عند سماع القرآن وفي مجالس الذكر وأوقات الخلوة.. فإن لم تجده في هذه المواطن.. فسل الله ان يمن عليك بقلب فإنه لاقلب لك.

زهد الحكام

ـــ وفد إلى عمر رضي الله عنه الربيع بن زياد الحارثي ،فشكا عمر طعاما غليظا يأكله، فقال الربيع يا أمير المؤمنين! ان احق الناس بمطعم طيب،وملبس لين، ومركب وطيء لانت.

فضرب رأسه بجريدة وقال: والله ماأردت بهذا الامقاربتي وانني كنت احسب ان فيك خيرا، الا خبرك بمثلي ومثل هؤلاء؟ فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم، وقالوا: انفقها علينا، فهل له ان يستأثر دونهم بشيء؟ قال الربيع :لا

ذكر الموت ونسيانه

ـــ قال بعض الفقهاء (من اكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة. ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، و ترك الرضى بالكفاف، والتكاسل في العبادة)

سياسة الدنيا وسياسة الدين

ـــ قال أبو العباس محمد بن يزيد: قسَّم كسرى أيامه فقال:

يصلح يوم الريح للنوم، ويوم الغيم للصيد، ويوم المطر للشرب واللهو، ويوم الشمس لقضاء الحوائج.

ـــ قال الحسين بن خالويه:ماكان اعرفهم بسياسة دنياهم،يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم قد جزأ نهاره ثلاثة اجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه، فكان يستعين بالخاصة على العامة،وكان يقول: أبلغوني حاجة من لايستطيع إبلاغي ،فإنه من أبلغ ذا سلطان حاجة من لايستطيع إبلاغها، آمنه الله تعالى يوم الفزع الأكبر.

الملك ثلاثة

ـ الملك ثلاثة: ملك دين، وملك حزم، وملك هوى..

فأما ملك الدين ،فإنه إذا أقام لأهله دينهم، فكان دينهم هو الذي يعطيهم مالهم، ويلحق بهم ماعليهم أرضاهم ذلك، وأنزل الساخط منهم منزلة الراضي في الاقرار والتسليم.

وأما ملك الحزم، فإنه به تقوم الأمور، ولايسلم من الطعن والتسخط، ولن يضره طعن الضعيف مع حزم القوي.

وأما ملك الهوى، فلعب ساعة ودمار دهر..

حوار مع السعادة

ـ قيل للسعادة أين تسكنين؟

قالت: في قلوب الراضين

قيل: فبم تتغذين؟

قالت: من قوة ايمانهم

قيل: فبم تدومين؟

قالت :بحسن تدبيرهم.

قيل: فبم تستجلبين؟

قالت: أن تعلم النفس ان لن يصيبها إلا ماكتب الله لها.

قيل: فبم ترحلين؟

قالت: بالطمع بعد القناعة، وبالحرص بعد السماحة، وبالهم بعد السرور، وبالشك بعد اليقين.

أربعة تلازمهم الكآبة

● غني يخاف على ماله من الضياع

● وحسود لايرجع عن غيه

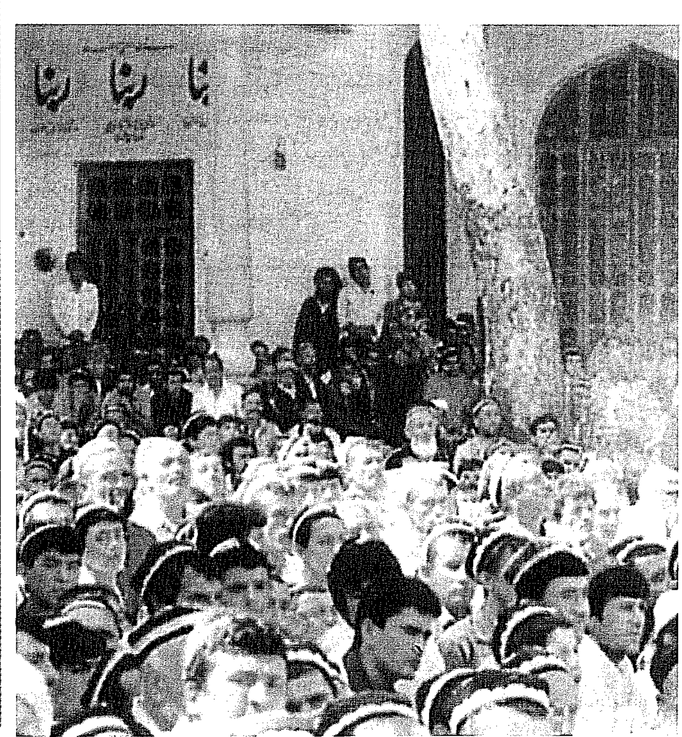
● وطالب رتبة فوق طاقته

● ورفيق أدباء ولا أدب له

نشرت مجلة الليموند الفرنسية مقالا بقلم دانييل فرنيه تساءل فيه هل يقف العالم وهو على مشارف القرن الحادي والعشرين على عتبة عصر الأقليات وهدم كيان الدولة الوطني من جراء منح الحقوق الجماعية للأقليات ؟ هذه المعالجة.. جاءت تعليقا على كتاب صدر حديثا لجوزيف يعقوب استاذ العلوم السياسية بالجامعة الكاثوليكية في ليون فرنسا و(الوعي الاسلامي) تقوم بنشر المقال دون تعليق ليطلع الاخوة القراء على مايدور من مستجدات وآراء في الساحة العالمية. يقول كاتب المقال:

هل يقف العالم على عتبة عصر الأقليات؟!

هناك خلاصة لفكرة جاءت في شكل نبوءة مفادها (ان القرن الواحد والعشرين سيكون قرن الهويات والنزعات المتميزة في مجال العرقيات الوطنية والثقافية والحضارية) ويضاف الى هذه الفكرة تحذير يبرز كل ما تنطوي عليه الاحداث المعاصرة من تطورات وهو ان سلام الغد يتوقف في جانب كبير منه على حل مشكلة الاقليات . وصاحب هذا التشخيص هو جوزيف يعقوب استاذ العلوم السياسية بالجامعة الكاثوليكية في «ليون» وقد وردت فكرته هذه في كتاب اصدره مؤخرا ويتميز فيه بأنه يبتعد عن العموميات ،واذا تعمقنا في التفاصيل الواردة به نجده يبحث ظهور مشكلة الاقليات وعلاقاتها مع الواقع الوطني ودور المنظمات الدولية في تأكيد وحماية حقوق الاقليات.



الأقليات في أوروبا

ولعلنا نعرف انه بعد عام ١٩١٨ صدرت سبع عشرة وثيقة دبلوماسية تتعلق بالاقليات وبمراجعة هذه الوثائق تركزت ست عشرة منها على اوروبا. ولم ينس جوزيف يعقوب التنبيه الى هذه الحقيقة، واذا كانت السياسة التي انتهجتها اميركا بزعامة ويلسون غداة الحرب العالمية الثانية لم تتوصل الى حل مشاكل صراع الاقليات من اجل الحصول على اعتراف بحقوقها ،فلاشك ان هذه السياسة كانت متأثرة في ذلك الوقت بخروج اميركا من مأزق اوروبا بشكل اثر في المشاعر، بعد ان رسمت هذه السياسة حدودا جديدة غلب عليها الطابع المصطنع مثل سابقتها بالضبط، وهي التي

مـزقـت امبراطـوريـــات متعــددة القوميات لتقيم مكانها دولا حياتها حافلـة بالصعـوبات وتنطـوي علي نزعة الانضمامية اي المطالبة بضم ابناء اللغة والوطـن الواحد الى كيان الدولة الأم، وهو امر يؤدي الى مزيد من المشاكل في المستقبل.

ويقول جوزيف يعقوب لقد عدنا الى المرحلة الاولى للجيل الرابع في مجال حقوق الانسان وهـو جيل الحقوق الجماعيـة ذات الطـــابع الاتحادي وذلك بعـــد الحقـــوق الفـــرديــة والحقوق الاجتماعية والاقتصادية والحق في تقرير المصير.

ويطـرح الباحث تســاؤلات عديـدة مثل:كيف يصبح من الممكن ضمان هــذه الحقــوق، اي حقــوق(الجيل الـــرابع) دون التعــرض للـــمبدأ المقـــدس الكبير لسيــادة الـــدول - الأمم؟

انهامشكلة تواجهها فرنسا منذ عدة سنـوات مع انها تعد (وطن حقـوق الانســان) وكانت هـذه المشكلة قـد سويت بشكل قانـوني خلال النزاع الـذي انـدلع حول مسألـة وجـود شعب كورسيكا عام ١٩٩١.واشار المجلس الدستوري الى ان الدستور لايعرف سـوى شعب واحـد، وهذا الشعب مكـون من (مـواطنين) اي من (افراد لاتمايز بينهم) ومع ذلك فـان هـذا البيـــان لايحل المشكلـة السيـاسيـــة لانـدمـــاج العنـاصر الـدخيلة، وذلـك مما ادى الى قيام (المجلس الاعلى لـلاندمـاج) بعملية موازنـة حساسة جدا، وحـرجة بين مفهوم (عـدم وجود افكـار مبيتة) للجـوانب النـوعيـة الخصـوصيـة الثقافية بالـذات والتركيز على نقاط التشـابـه والتـلاقي في المســاواة في الحقـــوق والـــواجبـــات لتحقيق التلاحم لنسيجنا الاجتماعي.

مستقبل الدولة - الأمة

ويظهـر ممـــا تقـدم ان جـــوزيف يعقوب مقتنع بان المستقبـل للدولة



- الامة، ولكن ليس بـالضرورة ان يكون ذلك في المرحلة الحالية، وذلك ان الـدولـة - الامـــة هي الـرمـز المرجعي، بل والمثل الاعلى بالنسبة للمجمـوعات العـرقيـة التي تعتبر نفسهـا كأقليـات في مجتمعات اكثر اتساعا ورحابة.

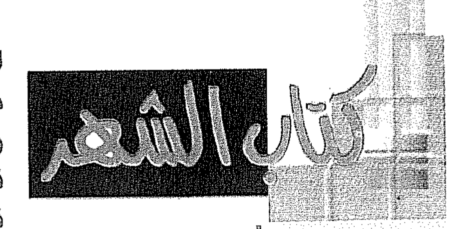
ويضف جوزيف يعقـوب في كتابه قائلا:ان كل مجتمـع عرقي يهدف إلى تأميم نفسه كما تحاول كل امة ان تنيط نفسها بهويتها السياسية الخاصــة بها أي تبرز نفسهـا من خلال مفهوم مايسمـى (بالدولة - الأم)التي تعمل من اجل الحصـول لنفسهـا على حـدود مـرسـومـة معترف بها، وذلك طبقـا للمقـولـة الماركسيـة المضللـة التي جـاءت تكـريسـا لنـداء الماركسيين الـذي يقول :يـاايها الوطنيـون في جميع بـلاد العالم تفـرقـوا عن بعضكم وانفصلوا.

فإذا كـانت هناك مـرحلة خـاصة بسيولة وتقسيم وتجزئة السلطات فكيف يمكن لما يعـرف بالـدولة - الأمة ان تضل او تضيع؟

ان منح الحقوق الجماعية للأقليات يمكن ان يؤدي إلى هدم كيان الدولة الـوطني من خـــلال قلب نظـامهـا كـــما قـــد يـؤدي في الوقـــت ذاته الى انقاذها من خلال تأطير النعرات والحركات الاقليمية.

وهنا نكـون قد اصبحنـا في موقف من يختار، ويبـدو ان هذا الاختيار يتركز فيما بين التعايش المهيأ الذي يعمل على الـــوفـاق بين مطـــالب الأقليـات والوحـــدة الـــوطـنية - وهو افـــتراض قلـيل الاحتـمال - والتفتت بشـــكل لانهـائي ،مـادام ان مــــصير الافـــراد ســـيكون دائمــاً في اتجاه الأقلية التـابعـة لكائن ما.

والواقع ان جوزيف يعقوب تعرض في كتـابـه عن الاقليـــات ومسألــة حمايتها لإيضاحـات اكثر تفصيلا وتحليـلا بحيث تـوحي لنـا وكأن القرن الـواحد والعشريـن سيكون عصر الاقليــــات ذات الهويــــات البارزة. ■



الإسلام نظام وسلوك علمي في مختلف جوانب الحياة، فهو علاقة الإنسان بالمجتمع والدولة، بل هو نظام في الاقتصاد والتقاليد والملبس والمأكل والتعليم. وللدين الإسلامي علاقة بالأدب والفن والصحافة والأذاعة والتفاز، فالدين هو الحياة والواقع الذي يعيشه الإنسان في مختلف قارات العالم، فالإسلام هو دين الوسطية، هو الروح والجسد معا، قال تعالى ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ [١٣٤:البقرة] ولذلك فقد تدهورت احوال المسلمين حين نظروا إلى الإسلام كدين فقط، ولم يراعوا خاصيته التي ينفرد بها عن سائر الأديان وهو أنه دين ودولة.

الإسلام بين الشرق والغرب

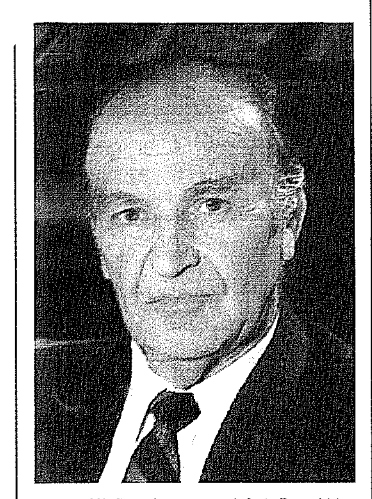
تأليف : علي عـزت بيجوفيتش
رئيس البوسنة والهرسك
عرض :بهاء الدين رمضان السيد

من هذا المنطلق يقدم لنا الأستاذ (علي عزت بيجوفيتش) () كتابه «الإسلام بين الشرق والغرب»،وهذا الكتاب يدل على عقلية مفكرة واسعة الاطلاع والثقافة، كما أن الكتاب ليس كتابا بسيطا أو سهلا وانما هو كتاب فلسفي ــ كما وصفه المترجم ــ ذا منهج أخاذ بأسلوبه وقوة منطقه، فهو دراسة متعددة لأبرز الأفكار العالمية في تاريخ البشرية، وهو بحث عن موقف الإسلام من ذلك الصدام الهائل بين النظرة المادية والنظرة الدينية، ويفرق المؤلف بين كلمة دين كما يعرفها الغرب من أنها علاقة الإنسان بربه فقط، وبين الإسلام فهو أكثر من دين، بهذا المنظور، لأنه يحتوي الحياة كلها.

وقد قسم المؤلف كتابه إلى قسمين يقعان في أحد عشر فصلا ثم ملحقا حول المفاهيم المضادة وكشافا للاعلام. القسم الاول مقدمات: نظرات حول الدين، وهو يعد تمهيداً للقسم الثاني: الاسلام ـ الوحدة ثنائية القطب.

مقدمات : نظرات حول الدين:

يعد هذا القسم مناقشة للالحاد والمادية لاثبات وحدانية الله عز وجل، من خلال ستة فصول يستهلها المؤلف بقضية الخلق والتطور، فعلى جانب يستعرض آراء الماديين وعلى رأسهم« داروين» واعتقادهم أن الانسان نتيجة لعملية طويلة من التطور ابتداء من أدنى أشكال الحياة وعلى الجانب الآخر يستعرض رأي الدين عن خلق الإنسان. فالخلق ليس عملية وانما فعل الهي، فيثبت المؤلف ذلك من



خلال آراء الماديين من العلماء، فيستعرض وظائف الكبد والدماغ وتكوينهما وتحركات النمل والطيور، ثم يذكر رأي «تشارلز يوجين باي Ch.Eugene Guye عالم الطبيعة السويسري حين قام بحساب احتمالية الخلق بالصدفة لجزيء واحد من البروتين فوجد ان خلق مثل هذا الجزيء يحتاج الى ١٠٢٤٣ بليون سنة، ثم أعاد هذا الحساب « مانفريد ايجن Manfred Eigen بألمانيا فأثبت ان جميع المياه الموجودة على كوكبنا ليست كافية بأن تنتج بطريق الصدفة جزيئا بروتينيا واحدا.

وبذلك نتساءل مع المؤلف: أليس في انكار الإنسان لله هوى مبين؟ وأليس من الخرافة أن يقبل العقل أن عين الإنسان مثلا بتركيبها وماهي عليه من الكمال والتعقيد قد خلقت بمحض الصدفة؟!

أما في الفصل الثاني «الثقافة والحضارة» فيبين لنا المؤلف أن الثقافة هي تأثير الدين على الإنسان، فهي الفن والأخلاق والدين، بينما

الحضـــارة هي تأثير الــذكـــاء على الطبيعـة أو العـــالم الخارجي، وهي استمـرار للتقدم التقني لا الـروحي فعلى عكس حكمة الإســـلام في « كبح الرغبات» فان الحضارة ترفع شعار أطلق الرغبات دائما وأبدا أيـا كانت هـذه الـرغبات. ومـن هنا كـان هـذا التقـدم المادي أو الحضـــارة سببـا مباشراً في انحطاط الكثير من جوانب الحيـاة، فكثــرت الجرائم وعمليات الانتحـار والادمـان وشيـوع الأدب الاباحي، ولايعني هذا النقد للحضارة دعـوة لـرفضهـــا من قبل المؤلف او الإســلام وانما هـــو عمليـة تحطيم لـــلأسطـورة التـي تحيط بها حتى يؤدي ذلك الى مـزيد من أنسنـة هذا العالم.

ثم يستعـــرض المؤلف في الفصل الثـالث« ظـاهـرة الفن» وعـلاقتهـا بـالــدين والفن في بحثـــه عما هـو انساني، أصبح باحثا عن الله، فالفن طريقـة للعمل وليس طـريقة للتفكير محل العمل، ولـذلك فهو في تعـارض مع « الـداروينية» الماديـة حتى وان كان هنـاك فنان ملحد فلا يـوجد فن ملحـد لأن الفن يبحث عن المجهـول، يبحث عن العالم الآخـر، فهو ينتمي الى عالم الصدق الداخلي، وليس لعالم الـواقع الخارجي، وهـــذا هـو الخط الفـاصل بين الفـن الحقيقي والفن المزيف من جهة نظر المؤلف.

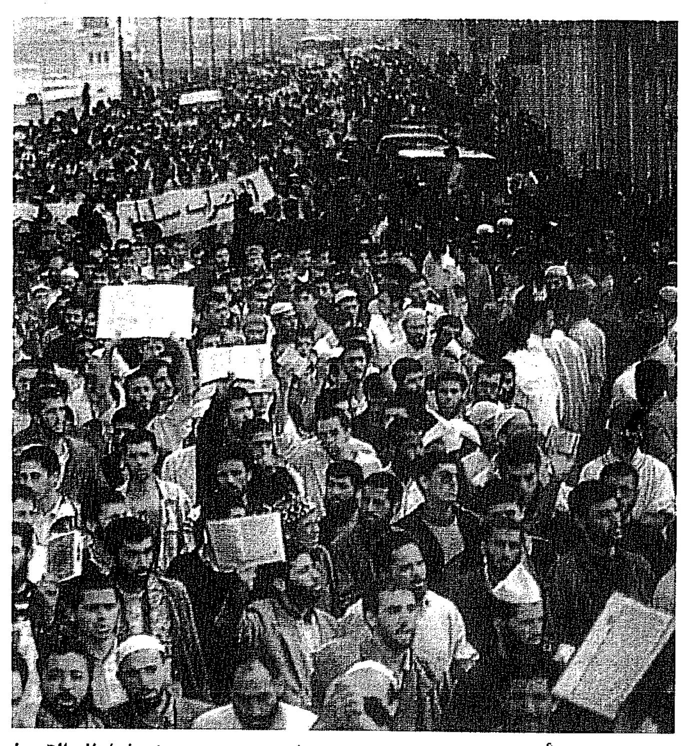
ويستمـــر في بـــاقي الفصـــول الخاصــة بهذا الجزء في المقارنـة بين النظرة الماديـة والروحيـة ، فيثبت في الفصل الرابع الخاص بـالأخلاق انه لا يمكن بنـــاء نظـام أخــلاقي على الالحاد لأنه لا يملك الوسيلة لحماية المبـدأ الأخـلاقي، فـالالحاد عاجـز تماما امام دعاة اللاأخلاقية لانه من منطقهم اذا كـان الانســان سيعيش مرة واحـدة فلماذا لايعيش كما يحلو له دون قيد عليه، وعلى ذلك فلا يمكن بناء الأخلاق إلا على الدين، ومع ذلك فليس الـدين والأخلاق شيئـا واحدا وانما مايـربط بينهما العالم الـآخر الأسمى. ثم يستمــر المؤلف في هــذا الجزء من الكتـــاب إلى ان يصل في نهايتـــه إلى الحديث عن (الـدرامـــا والطـوبيـا) (فـالمؤمن يعتقـد أن الخير والشر كـلاهمـا مــوجـود في الإنســـان، وهما مثل الـــدرامـــا والطـــوبيـا بـــالنسبــة للمجتمع، فـــالـــدرامـــا حـــدث يقع في النفس الانسانية، أما الطوبيا فحدث يقع في المجتمع الإنسـانـي ، والدرامـا أعلى أشكال الوجود الممكـن، أما الطوبيا فهي حلم للجنــة على الأرض، فهما خصـام بين الإنســان والعلم وبين الفـرد والمجتمع، فهي آليـة كـاملـة ولكنها لا انسانيـة يوضحها المؤلف حين يستعرض جمهورية أفلاطون والشيوعيـة عند مـاركس ، ويرجع هذه الأفكـار إلى الداروينيـة المادية، فالطوبيـا نوع من العلم المادي، أما الدراما من حيث جوهرها وتاريخها فهي نتاج الدين الـذي لايرى نهاية لكل شيء وانما هنـاك يـوم القيامـة والحساب.

ثم يحدثنـا عن الطوبيـا والأسرة، ويبين أن هناك تنـاقضا بينهما، لأن الأسرة تقـوم على الحب والعاطفـة، أمـا مجتمع الطـــوبيـا فيقـوم على المصلحـــة، ومن هنـــا يبين المؤلف انفصـــال الأسرة في العـــالم المادي الغـــربي، ودعـــوة(مــــاركس) و(سيمون دي بوفـوار) الى القضاء على الأسرة، وكيف ألحقت الحضارة الخزى بـالمرأة والأمهـــات، كما أنها قضت على الأمـومة بـاحتراف الفتاة مهنة البيع، أو أن تكون سكرتيرة أو (موديلا) بعكس الـدين الذي يمجد الأم والأمــومــة، فالأسرة والأمــومـة معها ينتميان إلى المفهوم الديني، أما الحضـارة بمــوظفيهـا فتنتمي إلى مفهوم آخر.

هكـــذا استطـــــاع المؤلف أن يستعرض في هـذا الجزء من الكتاب كل الحياة المادية الموجودة في الغرب ومقارنتها بالحيـاة الروحية ليدخل بنا في الجزء التالي إلى الإسلام وكيف أنه دين الوحدة ثنائية القطب قاصدا بـذلك أنه دين الـوسطية وأنـه دين الحياة.

الاسلام ـ الوحدة ثنائية القطب :

في بداية هذا الجزء يتحدث المؤلف في الفصل الــرابع(مــوسى وعيسى ومحمد) عن علاقة الأديان وكيف أن اليهود لم يقبلوا فكـرة الخلود، وكان حلمهم بالعدالة التي لابد وأن تتحقق على الارض لا في العــالم الـآخـر، ويقولـون أن العهد القديم لم يـذكر



شيئا عن الخلود، ولذلك فاليهودية المادية اثارت الاهتمام بالواقع الخارجي أما المسيحية فقد لفتت الروح الانسانية الى نفسها ولكن من خلال بعد الكنيسة عن البيئة وسلطتها في نفس الوقت وتقسيمها الحياة إلى حياة خاصة للقساوسة والنظام الاكليروسي في مقابل الحياة العادية للعامة.. ولكن الاسلام قد جمع بين مادية اليهودية وروحانية المسيحية ـ كما سنرى فيما بعد ـ فالدين يؤثر في العالم عندما يصبح هو نفسه دنيويا بمعنى أن يصبح معنيا بالسياسة، ومن هنا فالاسلام هو الوسط بين المادية والروحية.

وفي الفصل الخامس (الإسلام والدين) يبين المؤلف ثنائية أعمدة الإسلام الخمس فيبدأ بالصلاة، ذلك لأنها ليست مجرد تعبير عن موقف الإسلام من العالم، وانما هي انعكاس للطريقة التي يريد بها الإسلام تنظيم هذا العالم، فهي أكمل تصوير لما اطلق عليه المؤلف (الوحدة ثنائية القطب) فالصلاة في الإسلام باطلة بدون وضوء بينما في الدين المجرد يمكن أداء الصلاة مع وجود «القذارة المقدسة» كما تطلق عليها بعض نظم الرهبنة. فالوضوء والحركات في الصلاة تمثل الجانب العقلي، فليست الصلاة قاصرة على الجانب الروحي أو المجرد، وانما يضيف اليها النظام والصحة، فالصلاة نظام عسكري، وتلاحم اجتماعي، ونظام علمي، فمواقيت الصلاة، وكذلك الصيام والحج تعتمد جميعا على حقائق فلكية معينة.

أما عن الزكاة فبعد أن كانت تطوعية في مكة اصبحت التزاما قانونيا في المدينة، وفرض الزكاة استجابة لظاهرة ليست في حد ذاتها واحدية الجانب، فالفقر ليس سببه العوز، وانما أيضا الشر الذي تنطوي عليه النفس البشرية، فالحرمان جانب خارجي، أما الجشع فجانب باطني، وقد عالج الإسلام ذلك ليس بالقضاء على الاغنياء وانما بالقضاء على الفقر عن طريق الزكاة، ثم يستمر المؤلف في توضيح فكره من خلال دراسته عن باقي الأعمدة الاسلامية الخمس.

ثم يبين أن ثنائية القطب التي يتميز بها الإسلام واضحة في أمور كثيرة، فمثلا يكرس (العهد القديم) فكرة الأذى بالأذى، ويكرس(العهد الجديد)العفو، بينما القرآن الكريم يركب جزئيا من هاتين الذرتين، قال تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لايحب الظالمين﴾[٤٠:الشورى].

ومن هنا فاذا ماصرفنا النظر عن أي شيء أخر في الاسلام، لوجدنا أن المجتمع المسلم بدون أن يمارس أي شيء سوى هذه الأعمدة الخمس، يجب عليه أن يبلغ حدا أدنى من الحضارة، ويعني هذا أن الانسان لايستطيع أن يكون مسلما ويبقى متخلفا، ثم يبين المؤلف الطبيعة الاسلامية للقانون ففي الإسلام نوع من (وحدة الهوية) بين القانون والدين، فأغلب رجال الفكر الديني قد ألفوا كتبا في الفقه وأصوله، وانه ليصعب على الأوروبيين أن يميزوا بين القانون والدين في هذه المؤلفات، لأن الاسلام لايعترف بهذا لانفصال، كتب «ألفريد كريمر» ان العرب المسلمين هم الأمة الوحيدة خلال القرون الوسطى الأولى التي — في تطويرها للقانون — استطاعت أن تحقق انجازات باهرة، وقد بدأ الإسلام باالقصاص، فما أن توسع المجتمع الإسلامي في المدينة حتى استوعب عناصر حماية المجتمع.

ويستمر المؤلف فيعرض في الفصل الأخير«الأفكار والواقع» فيوضح الأفكار المسيحية والأفكار الماركسية.

وينهي « علي عزت» كتابه بقوله:(ان الإسلام لم يأخذ اسمه من قوانينه ولا نظامه ولا من محرماته ولا من جهود النفس والبدن التي يطالب بها الإنسان، وانما من شيء يشمل هذا كله ويسمو عليه : من لحظة فارقة تتقدم فيها شرارة وعي باطني.. من قوة النفس في مواجهة محنة الزمن.. من التهيؤ لاحتمال كل مايأتي به الوجود من حقيقة التسليم لله.. والاسم اسلام)

وقفة مع الكتاب :

ان كتاب (الإسلام بين الشرق والغرب) كتاب فلسفي يوضح عداء الغرب للإسلام، وأن هذا العداء قائم على عجزهم عن فهم الإسلام الفهم الصحيح، واللغة عندهم عاجزة عن استيعاب المصطلحات الإسلامية استيعابا دقيقا. كما أن نظرتهم للإسلام كانت نظرة أحادية، فالماديون الغربيون يرونه دين غيبيات، أما المسيحيون الغربيون فيرونه حركة اجتماعية سياسية، لذلك فهم يرفضون الاسلام لسببين متعارضين، ولذلك فقد وضع المؤلف يد هؤلاء على ماأسماه (وحدة ثنائية القطب) في الاسلام، وقد وضح المؤلف لنا أن الدين في الغرب يعني الروح فقط (اعط ماللقيصر لقيصر ومالله لله) أما الإسلام فهو الدين والدنيا، الروح والجسد. ■

الهوامش :

[١] الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيجوفيتش، صدر عن مؤسسة بافاريا للنشر ومجلة النور الكويتية طبعة دار الشروق ١٩٩٤م، ويقع في ٤١٢ صفحة.

علي عزت بيجوفيتش رئيس البوسنة والهرسك، ولد سنة ١٩٢٥م، من أسرة مسلمة بمدينة(كروبا) حصل على درجات في القانون والآداب والعلوم، حكم عليه بالسجن خمس سنوات، ثم صدر له كتاب(الاعلان الإسلامي) وسجن من اجله أربعة عشر عاما، أما كتاب الإسلام بين الشرق والغرب فقد هربه صديقه حسن قرشي حتى يتمكن من نشره، وقد ترجمه الى العربية الأستاذ (محمد يوسف عدس).

[٢] الطوبيا تعني الرؤيا النظام المثالي للمجتمع الانساني على طراز مجتمع الحيوان، مثل مجتمع النحل.

الحب الصادق النقي

بقلم الشيخ :
جاسم المهلهل الياسين

النفس المشرقة الأولى هي نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي فاضت منه معالم الهدى والنور للناس كافة، فلقد كان من صفاء النفس وحب الخير والعمل على نفع الناس في منزلة عالية بين قومه قبل أن يتلقى الرسالة، فلما تلقاها توهجت منه هذه الجوانب وغيرها وزادت إشراقا بهدى الله الذي أتاه، ولاعجب فإن النور لاينبعث من مصباح أغبر، وقد كانت نفس الرسول هي خير النفوس التي تتلقى هدى الله، لتبلغه للعالمين، فينتفعون به بعد ان يروا المبلغ قدوة أمامهم في العمل بما يقول، باطنه كظاهره وسره كعلانيته، ولم لايكون كذلك وهو المبلغ عن الله ﴿كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالاتفعلون﴾[الصف:٣] وكان من آثار عمله بأقواله والتزامه في جميع جوانب الحياة بدعوته أن أحبه الصحابة حباً جماً فقدموه على أنفسهم وعلى أموالهم، وبذلوا معه في سبيل الدعوة كل عزيز نفيس، جاء اليه عمر بن الخطاب قائلاً: (يارسول الله لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي) .فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم «لا ياعمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك » فقال عمر: (لأنت أحب إلى من كل شيء حتى نفسي).

ودفع الحب الصحابة يوم أحد لأن يتترسوا على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لاتصيبه اسلحة المشركين، ونزع أبو عبيدة حلقتي المغفر اللتين انغرستا في وجه الرسول بثنيته فنزعتا، ودفع الحب خبيب بن عدي أن يعلن في المشركين وهو يصلب في مكة قوله: لا أحب أن أكون في بيتي ومحمد صلى الله عليه وسلم في بيته تصيبه شوكة، وقال عروة بن مسعود الثقفي: مارأيت أحداً يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمداً.

إنه الحب الذي يدفع إلى البذل والفداء في سبيل رضا المحبوب، والمؤمنون الأولون دفعهم هذا الحب العظيم لله والرسول أن يبذلوا من اموالهم وأن يجاهدوا بأنفسهم ابتغاء مرضاه الله ،وطلباً لمثوبته، والمهاجرون الأولون تركوا ديارهم واموالهم وأقاربهم وعشيرتهم، وخرجوا مهاجرين اتباعا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وحباً في الدنو منه والتقرب اليه، لما يلحقهم من اشراق نفسه، فيجدون لذة الإيمان، وحلاوة اليقين، لقد جاء اليه احد المحبين حزينا بائساً ويسأله الرسول عن سبب حزنه فيقول: (إني اذ لم أرك اشتقتك فذكرت الآخرة حيث تكون انت في درجة النبيين وحتى لو دخلت انا الجنة اكون في درجة بعيدة) إنه الحب المتين للرسول الكريم الذي جعل هذا الصحابي يفكر في رؤية الرسول واللقاء به في الآخرة في الجنة فلم يشغله نعيم الجنة عن التفكر في الاجتماع بالرسول فكان حزينا لذلك، ويطمئنه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله« المرء مع من أحب».

ونحن إذا أردنا أن نعرف درجة حب الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم تأملنا في توزيع غنائم حنين حيث لم يعط الرسول صلى الله عليه وسلم الأنصار شيئا منها، مما جعل بعض النفوس تتكلم عن ذلك لان حنيناً كانت أول غزوة بعد فتح مكة، وكانت غنائمها كثيرة عديدة فوق غنائم كثير من الغزوات فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل مكة، مما جعل بعض الأنصار يقول: لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه. وبلغت مقالتهم الرسول فسأل سعد بن معاذ عن ذلك فأقر بما قيل، وطلب منه الرسول أن يجمع الأنصار في مكان واحد، وخطب فيهم فكان مما قال: «ألاترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله» فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً فقال لهم الرسول: «لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء أبناء الأنصار».

لقد كان حب الأنصار للرسول في اعلى الدرجات حتى انهم يرضون أن يصحبوه وان يتخلوا عن المئات بل الآلاف من الابل والشاة وغيرها من اصناف الأموال، ليتركوها للمؤلفة قلوبهم أو للفقراء والمحتاجين من المسلمين.

وظل هذا الحب للرسول من بين المسلمين اجمعين، حتى الذين كانوا يبغضون الرسول صلى الله عليه وسلم قبل إسلامهم كانوا حين أسلموا من اشد الناس حباً له، ودفاعاً عنه.

لقد كان الحب العظيم للرسول من الممكن ان يحدث فتنة عظيمة عند موته، لولا ثبات اليقين وقوة الإيمان التي جعلت أبا بكر يقرأ الآية الكريمة: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾[آل عمران: ١٤٤] فيقول ابن الخطاب وقد عاد إليه ثباته أمام هذه النازلة: لكأني لم أسمع هذه الآية إلا الآن.

كانت اشراقة نفس النبي سبباً في إيمان كثير من المسلمين، وسبباً في ثباتهم، وسبباً في جهادهم،وعاملا مساعداً على تخفيف الأذى والعذاب والبلاء الذي ينزل بالمسلمين.

ومازال إشراق تلك النفس ظاهراً تتملاه النفوس المؤمنة فيتوهج فيها الايمان، وتعلو في قلوبها درجة الاطمئنان■

منتقاة مما تصدره إدارة الأفتاء والبحوث الشرعية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..



معجزة السيدة زينب عليها وعلى ابويها السلام

هناك فتاة مريضة منذ ١٤ عام حتى عجز عنها الاطباء فبكت ونامت وفي المنام رأت السيدة زينب عليها السلام تضع قطرات من الماء في فمها وعندها افاقت من النوم رأت نفسها قد شفيت من المرض. وقالت السيدة زينب عليها السلام اكتبي هذه المعجزة ١٣ مرة ووزعيها. ووصلت الرسالة الاولى ليد طفل فكتبها ووزعها فنال ماتمناه ،ووصلت الرسالة الثانية ليد رجل فأهمل كتابتها وبعد ١٣ يوماً فقد عمله ، ووصلت الرسالة الثالثة ليد رجل فكتبها ووزعها وبعد ١٣ يوماً نال ماتتمناه ، ووصلت الرسالة الرابعة ليد رجل فأهمل كتابتها وبعد ١٣ يوما فقد ثروته، وان كنت تريد التأكد من هذا فاكتبها ١٣ مرة ووزعها حتى تنال ماتتمناه ان شاء الله والله على كل شيء قدير..

واجابت اللجنة بمايلي:

لايخفي علي أي عاقل له بصيرة كذب هذا الادعاء المشار إليه في الرسالة بأنها تضمنت معجزة السيدة زينب وطلب كتابتها كذا مرة لتحقق الآمال، وان من اهملها يتضرر، ومن استجاب لهذا الادعاء فهو ،مبتدع والله اعلم.

حكم ذبح الخراف لاستجلاب البركة

جماعة من الأهل يذبحون الخروف داخل المنزل بعد الانتهاء من مشاريع انشائية بنائية لأجل (دفع البلاء) و(احلال البركة) بحجة أن جميع الناس يفعلون هذا الامر لدفع العين ولابأس به، وينكرون على المنكر عليهم ان يكون هذا العمل من ضروب الشرك الاكبر ارجو من حضراتكم ان تتكرموا بكتابة فتوى رسمية لهذا السبب ولا ابرزها إلالهؤلاء الجماعة من الأهل حيث ان الحاجة محصورة ومحدودة فيهم. وارجو أن يكون التنبيه والتركيز علي امور(دفع البلاء) و(احلال البركة) و(دفع العين) وان كانت هذه الذبائح كما يزعمون تعطي للفقراء والمساكين، وانه لايحل للفقراء أن يأكلوا من هذا الحرام. وبيان حكم من فعل هذه الشركيات على جهل وتكبر. وجزاكم الله خيرا.

-واجابت اللجنة بما يلي:

ان ذبح الذبائح واراقة الدماء على اساسات البناء أو السقوف بنية طرد الشياطين واستجلاب البركة عمل محرم، واعتقاد فاسد ينشأ عن الجهل لانه لاأصل له في الشريعة، ولايصل الى درجة الشرك لان فاعله لايعتقد ان ذلك سبب مستقل للنفع او دفع الضرر بل يعتقد انه يؤثر في ذلك باذن الله، وانما المشروع في مثل هذه الاحوال صنع وليمة والدعوة اليها لمن شاء من الفقراء او الاغنياء، وتسمى هذه الدعوة الى الطعام عند تمام بناء البيت(الوكيرة) ويجب الاعتقاد انها شكر لله تعالى، وتودد الى الاقارب، وبر بالفقراء وأنها لاتدفع ضررا ولاتجلب نفعا بل النفع والضرر بيد الله تعالى، وكذلك من البدع المحرمة وضع المصحف أو غيره في أساسات البيت لان فيه امتهانا للمصحف وتعطيلا له بالاضافة إلى فساد الاعتقاد بحصول النفع أو دفع الضر بهذا العمل، والله اعلم.

حكم الخروج من المسجد بعد الأذان

مارأيكم في حكم خروج المرء من المسجد بعد أذان المؤذن دون حاجة؟ مع عزمه على الرجوع لاداء الصلاة؟وماهو ضابط هذه الحاجة التي يمكن الخروج بها؟

وقد أجابت اللجنة بالتالي:

يكره الخروج من المسجد بعد الأذان بلا عذر أو نية رجوع إلى المسجد ،ومن الأعذار التي يجوز الخروج لها الوضوء وسماع درس العلم، وان يكون إماماً راتباً في مسجد آخر، والله أعلم.

حكم المشاركة في الندوات والمحاضرات

دأبت إدارة الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف على إقامة الندوات والمحاضرات في المناسبات الدينية مثل ذكرى الهجرة النبوية، والمولد النبوي، والاسراء والمعراج، في كل عام.

١ـ فما حكم المشاركة في هذه المناسبات الدينية وإلقاء المحاضرات فيها ؟

٢ـ وما حكم تخصيص هذه المحاضرات في نفس يوم الذكرى من كل عام؟

٣ـ وهل الحكم في تخصيص هذه المحاضرات في يوم المولد النبوي، يختلف عنه في باقي أيام المناسبات الدينية؟

وقد أجابت اللجنة بالتالي:

لامانع شرعاً من المشاركة في إحياء مناسبة الهجرة النبوية، والمولد النبوي، والإسراء والمعراج، وذلك بإلقاء المحاضرات الخاصة بموضوعاتها، ولا مانع من تخصيص أيامها من كل عام، ولايختلف المولد النبوي في هذا عن سائر المناسبات الأخرى، شريطة عدم الاعتقاد بسنية إحيائها أو التعبد بها وإلا كانت من البدع المستحدثة وحينئذ لاتجوز،وإنما يجوز إحياء هذه المناسبات لتذكير الناس بما فيها من أحداث عظيمة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، والله اعلم.

مصافحة المرأة الأجنبية

أرجو إخباري عن حكم مصافحة المرأة الأجنبية؟

وقد أجابت اللجنة بالتالي:

لاتجوز مصافحة المرأة الاجنبية، وقد في جاء الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:« إني لاأصافح النساء»رواه الترمذي والنسائي، ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه فعله ولو كان جائزاً لفعله ولو مرة واحدة لبيان جوازه، كما ان المصافحة ابلغ من النظر في إثارة الشهوة لما فيها من المماسة ويستثنى من حرمة المصافحة، مصافحة الرجل الأجنبي للمرأة العجوز، ومصافحة المرأة للرجل العجوز، والله أعلم.

نوافذ على هيئة صليب

لاحظت في الآونة الاخيرة ان كثيرا من البيوت قد وضعت نوافذ على هيئة الصليب. وبشكل واضح.. واكثر هؤلاء وضعوها عن حسن نية(توجد صور مرفقة بنماذج من البيوت اشتملت نوافذها على صورة صليب)

والسؤال : هل هذه النوافذ تعتبر صليبا؟

ـ وأجابت اللجنة بما يلي:

لايجوز لمسلم ان يبقي في بيته مااتخذ صليبا بل يجب عليه ازالته.

أما ما كان على هيئة الصليب ولم يقصد اتخاذه صليبا فالاولى تغيير هيئته تنزها عن مشابهة الصليب لحديث عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم« لم يكن يترك في بيته شيئا فيه تصاليب إلا نقضه ـــ أي قطع موضع التصليب فيه ـــ» رواه البخاري والله اعلم

أحكام التبرع لبناء المساجد

تقوم لجنتكم ـــ لجنة الدعوة الإسلامية ـ كما تعلمون بالعمل في مجال الاغاثة والتي من بينها بناء بيوت الله عز وجل، وتعتمد في ذلك على مايردها من تبرعات مخصصة لهذا الأمر، وتختلف تكاليف المساجد باختلاف مناطق بنائها وقيمة التبرع المخصص لها.

والسؤال:

أ ـ لو أن أحد المتبرعين خصص مبلغ ٥٠٠٠ د.ك (فقط خمسة آلاف دينار كويتي) مثلاً لبناء مسجد، وقامت اللجنة بتنفيذ البناء بالمبلغ المخصص مع تحميله كافة المصاريف الإدارية من اشراف وإدارة حتى تمام البناء، بمعنى أن التكلفة الفعلية لبناء المسجد كانت ٤٥٠٠د.ك و ٥٠٠د.ك عبارة عن مصاريف إدارية، فهل يكون تصرف اللجنة صحيحاً شرعاً؟

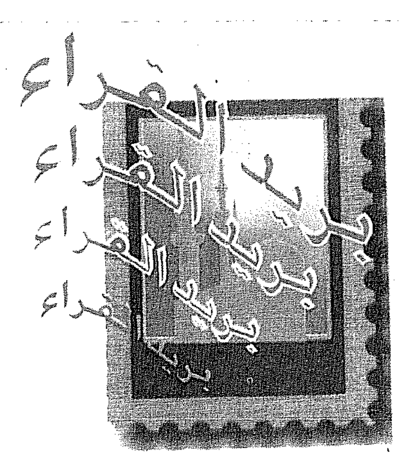
ب ـــ وهل يجوز استقطاع مبلغ من قيمة التبرع للإنفاق منه على المصاريف الإدارية اللازمة لبناء المسجد؟

ج ـ أم أن الأصل إقامة المسجد بإجمالي المبلغ المتبرع به وهو ٥٠٠٠ د.ك، وتتحمل اللجنة المصاريف الإدارية او تطلبها منفصلة من المتبرع؟

وقد أجابت اللجنة بالتالي:

إذا كانت المصاريف الإدارية الواردة في السؤال من إشراف وإدارة داخلة في الأعمال اللازمة لإنشاء المسجد، فيجوز عندئذ حساب مايقابلها من قيمة التبرع، لأنها داخلة في تكلفة إنشاء المسجد، أما إذا لم تكن كذلك فلا يجوز عندئذ حساب مايقابلها من قيمة التبرع، لانها داخلة في تكلفة انشاء المسجد، اما اذا لم تكن كذلك فلايجوز استقطاع شيء من التبرع وصرفه لغير ماجعل له، والله اعلم.

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـــ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـــ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية : ٢٤٤٤٤٠٥ و ٢٤٦٦٩١٤ و ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩.. ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □



الزواج مصلحة اجتماعية

للزواج في الإسلام فوائد عامة ومصالح اجتماعية وهذه ترتبط اشد الارتباط بالتربية فمن وجه ارتباطها بالتربية:

ـ المحافظة على النوع الإنساني:

فبالزواج يستمر بقاء النسل الإنساني ويتكاثر ويتسلسل ولايخفي مافي هذا التكاثر والتسلسل من محافظة على النوع ،وقد نوه القرآن الكريم عن هذه الحكمة الاجتماعية والمصلحة الانسانية حين قال﴿والله جعل لكم من انفسكم ازاوجاً وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة﴾[النحل:٧٢].

ـ المحافظة على الأنساب:

فبالزواج الذي شرعه الله لعباده يفتخر الابناء بانتسابهم إلى آبائهم وماقي هذا الانتساب من اعتبار ذاتي واستقرار نفسي.

ـ سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي:

بالزواج يسلم المجتمع من الانحلال الخلقي ويأمن الافراد من التفسخ الاجتماعي ومأصدق ماقاله عليه الصلاة والسلام في إظهار حكمة الزواج الخلقية وفائدته الاجتماعية حين كان يحض فئة من الشباب على الزواج «يامعشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

ـ سلامة المجتمع من الأمراض:

وبالزواج يسلم المجتمع من الامراض السارية الفتاكة التي تنتشر بين ابناء المجتمع نتيجة الزنى وشيوع الفاحشة والاتصال الحرام فمن هذه الامراض مرض الزهري وداء السيلان «التعقيبة» وغيرها من الامراض التي تقضي على النسل وتوهن الجسم وتنشر الوباء.

ـ السكن الروحاني والنفساني:

وبالزواج تنمو روح المودة والرحمة والألفة بين الزوجين ،فالزوج حين يفرغ آخر النهار من عمله ويركن عند المساء إلى بيته ويجتمع بأهله وأولاده ينسى الهموم التي اعترته في نهاره ويتلاشى التعب الذي كابده في سعيه وجهاد.

وكذلك المرأة حين تجتمع مع زوجها وتستقبل عند المساء رفيق حياتها وهكذا يجد كل واحد منهما في ظل الأخر سكنه النفسي وسعادته الزوجية وصدق الله العظيم عندما صور هذه الظاهرة بأبلغ بيان واجمل تعبير﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[الروم:٢١]

مهندس ـ محمد قرني عبد الحميد

من أجل القضاء على الايدز

أكدت التحاليل الطبية ان مرض الايدز سببه الزنا والشذوذ الجنسي، وأصبحت الدول الأوروبية وامريكا، تسهرليلاً ونهاراً لوضع حد لهذا الوباء الذي ادخل الرعب على البشرية، ومع الاسف انتقل هذا المرض الى بعض دولنا الإسلامية التي فشت فيها الفاحشة، مع أن الشريعة الإسلامية الطاهرة الذكية ـ الفريدة من نوعها ـ قد جعلت حداً نهائياً لهذا الشبح ، وهو ان تطبيق حد الله في مرتكبي الفواحش ،ينقذ البشرية من الخراب والدمار وصدق الله تعالى ﴿واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾الانفال ٢٥- صدق الله العظيم.

محمود أحمد عطا الله

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها مايتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الاخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

تكرار لامسوغ له!

من خلال متابعاتي المستمرة لمجلتكم وجدت ان هناك تكراراً في بعض الموضوعات التي تتناول قضايا معينة مثل الادمان على المخدرات ، الحضارة الإسلامية، التراث الإسلامي .

آمل ان يكون هناك تنويع في اختيار الموضوعات عن طريق: معالجة قضايا معاصرة هامة تمس جوانب من حياة المسلمين في مسيرتهم للحاق بركب الحضارة الانسانية المعاصرة والله من وراء القصد.

اسامة احمد ابراهيم ـ قطر

الوعي الإسلامي: **نشكركم على متابعاتكم لمواضيع المجلة ونأمل ان نتلافى مثل هذا التكرار في المستقبل القريب ان شاء الله تعالى وجزاكم الله كل خير.**

ستعود

ستعود فلسطين ستعود
حتي اذا مرت العهود
ستعود فلسطين ستعود
مهما يفعل اليهود
ولن تمنعنا طلقات الرصاص من السجود
أو ذبح كل مولود أو تقطيع أجسادنا من الصمود

أميرة صلاح عبدالعال حسن

الفنون بين الحلال والحرام

لاشك ان الفن يثلج الصدر وهو الشيء الذي يعبر به الفنان عما بداخله من مشاعر كره أو حزن أو فرح.

والفنانون اناس حباهم الله عن غيرهم بالحس المرهف في كل أمور حياتهم المباشرة أو غير المباشرة.. ومن لم يكن فيه ذلك الحس فهو مدعٍ للفن.

ولكل فنان وسيلة يعبر بها عن احساسه فالرسام وسيلته الريشة والالوان ،والشاعر والاديب الورقة والقلم وهكذا.

ولاننسى ان الشعر والشعراء كانوا بمثابة جهاز دعاية للدين الإسلامي في بداية ظهور الإسلام.

ولكن متى يصبح الفن حراماً؟ والجواب انه يصبح حراما عندما ينزلق إلى نشر المفاسد وهدم الاخلاق .

اما الفن الذي يهذب النفس ولايحطها ويعلو بصاحبه إلى مرضاة الله دون مخالفته لشريعته فهذا بلا شك امر مباح والله تعالى سيسأله عن تلك الموهبة وكيف استخدمها؟

اسامة علي محمد شافعي ـ مصر ـ المنيا

أخطاء في الأخطاء المطبعية؟!

الإخوة في مجلة الوعي الإسلامي ..السلام عليكم ورحمة الله بركاته وبعد.

قرأت تنويهاً في مجلتكم الغراء في العدد ٣٥٣ محرم ١٤١٦ هـ تضمن بعض رسائل القراء التي اشار اصحابها لبعض الاخطاء المطبعية المتكررة في المجلة ولأنني من الغيورين على مجلتكم ومن المتابعين لها فقد وجدت ان اشير إلى ان الاخطاء التي أشرتم اليها في ذلك العدد قد حصل فيها اخطاء أيضا فأين المتابعة التي وعدتمونا بها وبارك الله فيكم.

جاسم محمد ـ الكويت

أين جمعيات حقوق الإنسان؟

لو ان دموع عيني تتحول لجنود تحارب في البوسنة وفلسطين ولبنان لبكيت حتى ابدل الدموع دماً ــ فلو اتيت بكلمات الحزن والأسى جميعها منذ ان خلقت الدنيا وحتى تنتهي لايعبر عما بداخلي من مرارة على خير أمة اخرجت للناس. فالذي يحدث في البوسنة من قتل يومي لمئات المسلمين وتيتيم الاطفال ، لدرجة انهم يتراهنون على مابداخل احشاء المرأة اذا كان الجنين ذكراً ام انثى، ويقومون بفتح احشائها ليروا من يكسب الرهان ،بدون مراعاة ـ ولو ذرة من الانسانية ـ لحقوق الانسان لقد حطموا الارقام القياسية في سفك الدماء وهتك الاعراض وتشريد الاطفال الذين لا حول لهم ولاقوة .

وفي فلسطين يصطادون المسلمين بالبنادق كما يصطاد الحمام. والذي يقع في ايديهم من رماة الحجارة يقوم احد جنود الصهاينة بتثبت يده على الارض ويحضر احدهم حجرا كبيرا ويظل يضرب على يده التي رشقتهم بالحجارة حتى يكسرها او يحطمها تماماً .. ترى أين جمعيات حقوق الانسان التي تتغنى بها وسائل الإعلام ليل نهار؟!

اسامة علي محمد.

مفاهيم جديدة

المسلمون اليوم في حاجة إلى هجرة فاعلة ترتكز على معطيات جلية توضح جوهر الإسلام ومعالم تحديده لأوجه علائق الاتصال بين المسلم وخالقه.

هجرة تنطلق من قاعدة الإيمان بالله وبرسالة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام الخاتمة للكون جميعاً، وتكريم الإسلام للإنسان، واحترام عقليته وابداعاته داخل إطار المجتمع الإسلامي، وتوقير آدميته التي ذكرها الله في كتابه العزيز ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[الاسراء :٧٠].

هجرة توضح أدوار المسلم في حمل أمانة خلافته وتبعاتها في الكون التي كلفه الله بها.

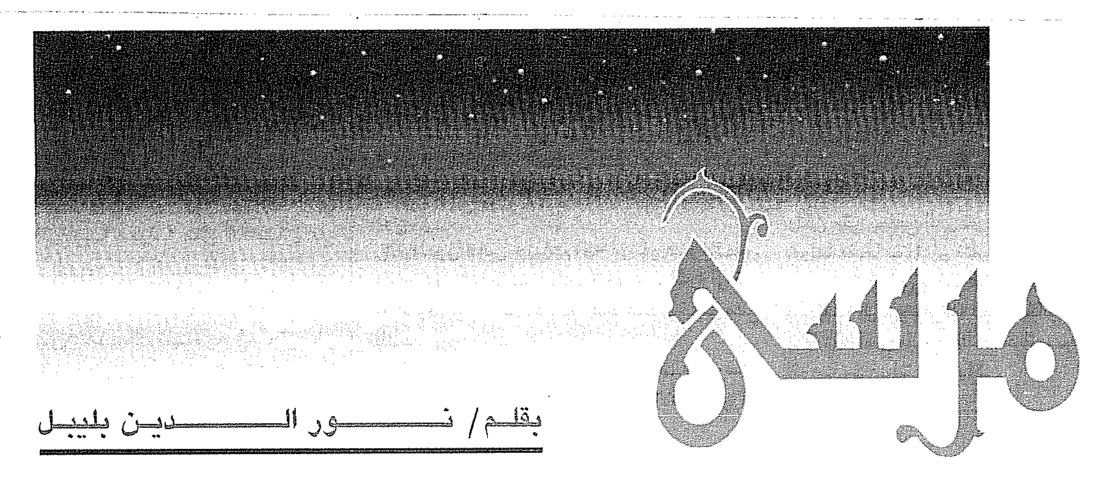
﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾[الأحزاب:٧٢].

هجرة تعتبر محبة الله ورسوله أساس كل عمل وأداة إنجاح كل دعوة وتحقيق كل هدف والوصول الى كل غاية ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[آل عمران:٣١].

فالمحبة سر بين العبد وربه لايراها ويلمسها سوى العارفين بالله وأوليائه الذين ينيرون طريقهم بمحبته التي تستوجب منهم الخوف منه ومراقبته في السر والعلن، والصبر على بلائه والرضا بقضائه، والتوكل عليه والإنابة اليه والتسليم له، والزهد في دنياه وطلب أخرته، والشوق إلى لقائه، والشكر له على سرائه وضرائه.

هجرة نجدد بها العهد مع الله لنستضيء بها في غمار الحياة الدنيا ودروبها الصعبة الوعرة..

حاتم محمد أبو العباس



بقلم/ نور الدين بليبل

إعلامنا.. وإعلامهم

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

«... إعلامنا يقرر ما عنده كله، وسيكون هناك خلاف بين ما يقرره وما تقرره ملل ومذاهب أخرى كثيرة، وهنا لابد من إبراز الشخصية الإسلامية دون ميوعة أو تفريط إبرازاً يؤكد شرعيتها ووجهتها ومنهجها».

صاحب هذا القول هو الداعية المعروف الشيخ محمد الغزالي ذو التجربة الأكيدة في حقل التبليغ والبيان والإقناع.

إن دعوة الشيخ الغزالي هذه، هي في حقيقة الأمر تكليف لتحمل عبء مسؤولية كبرى بغية تأكيد الذات في عالم تبرز فيه الشخصية التي تعوزها الصلابة أو التي تذوب عقب تعرضها للهيب الأفكار البراقة والوهاجة.

وصراع الأفكار ـ اليوم ـ لايقل شأناً عن الصراعات الجارية على الأصعدة الأخرى، بل يكون ـ أحياناً ـ أشد احتداماً وشراسة.

بيد أن القانون الذي يحكم هذا الصراع هو أن حجة الأقوى هي دائماً الأحسن. والأكثر تأثيراً وقد نبه نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام إلى هذه الحقيقة بقوله: «إن من البيان لسحراً».

والآن، إذا كان تنافس العقائد والملل من طبيعة الأشياء بسبب تنوع شعوب العالم وتعدد مشاربهم الفكرية، فإن الأمر غير الطبيعي هنا، هو الانزواء في السلبية أمام عمليات تذويب وابتلاع الثقافة الغربية للثقافات الصغيرة، وخاصة أنها لا تكتفي بالسيطرة عليها، بل تسعى لتدميرها من حيث الجوهر، والتشكيك في نبل انتماءاتها.

وقد أدت هذه الوضعيات إلى تكريس هيمنة مفاهيم الحضارة الغربية إلى حد مثير للانتباه، ومحدق بالمخاطر في آن واحد.

ومن جراء ذلك، فقد أصبح الوعي بضرورة النهوض بمهمة إبراز الوجه الحقيقي والطبيعي لشخصيتنا الإسلامية أكثر انتشاراً وإلحاحاً من ذي قبل.

بيد أن النيات الحسنة وحدها لا تكفي، بل يجب تعزيزها ببرامج عمل واقعية من أجل المنافحة عن دين أراد له الأعداء طمساً، وكذلك من أجل تصحيح ضروب التشويه التي يقوم بها أصحاب الملل والمذاهب الأخرى ولا سيما عبر قنواتها الإعلامية والدعائية.

والإعلام الإسلامي إذا لم يحمل هذا الهم ـ أي هم إبراز الشخصية الإسلامية ـ هو بكل تأكيد إعلام بدون طعم ولا لون أو بصريح العبارة إعلام بلا قيم ولا مُثل عليا، ولا مبادىء؟! ولا مبرر لوجوده بهذه الصيغة ■